رئيس مجمع اللغة العربية

مجمع اللغة العربية بالقاهرة
١٥ شارع عزيز أباظة
(المعهد السويسرى سابقا) بالزمالك

اهداءات ٢٠٠٣

أ.د / شوقى ضيف
رئيس مجمع اللغة العربية

مجلة مجمع اللغة العربية

(تصدر مرتين فى السنة)

الجزء السادس والسبعون

ذو القعدة ١٤١٥ هـ - مايو ١٩٩٥ م

رئيس التحرير :

إبراهيم الترزى

أمين التحرير :

سعد توفيق

مساعدة أمين التحرير :

سميرة شعلان

الفهرس

افتتاح المؤتمر

فى تمام الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الاثنين ٢٠ من شوال سنة ١٤١٣ هـ ، الموافق ١٢ من أبريل (نيسان) سنة ١٩٩٣ م ، كان موعد جلسة افتتاح مؤتمر المجمع فى دورةانعقاده التاسعة والخمسين ، وقد شهد الجلسة الدكتور إبراهيم مدكور رئيس المجمع ، والدكتور شوقى ضيف نائب رئيس المجمع ، والأستاذ إبراهيم الترزى الأمين العام للمجمع و الدكتور إبراهيم السامرائى (العراق) ، والدكتور إبراهيم عبد الرازق البسيونى ،والدكتور أبو شادى الروبى ، والدكتور أحمد طالب الإبراهيمى (الجزائر) ، والدكتور أحمد عز الدين عبد الله ، والدكتور أمين على السيد ، والدكتور بدوى أحمد طبانة ، والأستاذ حمد الجاسر (السعودية) والدكتور سليمان حزين ، والدكتور سيد رمضان هدارة، والدكتور عبد الحافظ حلمى محمد ، والدكتور عبد الرحمن محمد السيد ، والدكتور عبد السميع محمد أحمد ، والدكتور عبد العزيز صالح ، والدكتور عبد العظيم حفنى صابر ، والدكتور عبد الكريم خليفة (الأردن) ، والأستاذ عبد الكريم العزباوى ، والدكتور عبد الله الطيب (السودان) ،والدكتور عدنان الخطيب (سورية) ، والدكتور عطية عبد السلام عاشور ، والدكتور كمال محمد بشر ، والدكتور كمال محمد دسوقى ، والدكتور محمد رشاد الطوبى . والدكتور الشيخ محمد نايل أحمد ، والدكتور محمد يوسف حسن ، والدكتورمحمود حافظ إبراهيم ، والدكتور محمود على مكى ، والأستاذ محمود محمد شاكر ، والدكتور محمود مختار ، والأستاذ مصطفى عوضين حجازى .

وحضر الجلسة من أعضاء المجمع المراسلين :

الدكتور إبراهيم عبد الله رفيدة (ليبيا) ، والأستاذ أحمد شفيق الخطيب (فلسطين) ، والدكتور أحمد صدقى الدجانى (فلسطين) والأستاذ حسن عبد الله القرشى (السعودية) ، والدكتور داود كاون (بريطانيا) ،والأستاذ سر الختم الخليفة (السودان) ، والأستاذ عبد الرزاق البصير (الكويت) .

كما حضر جلسة افتتاح المؤتمر الأستاذ الدكتور حسين كامل بهاء الدين ، وزير التعليم وجمع من أساتذة الجامعات والأدباء والعلماء ، ورجال السلك الدبلوماسى والصحافة والإذاعة والتليفزيون ووكالات الأنباء .

وقد افتتح الدكتور إبراهيم مدكور رئيس المجمع ، المؤتمر بكلمة رحّب فيها بالسادة الأساتذة الأعضاء الذين وفدوا من الأقطار العربية والإسلامية وغيرها ، لشهود المؤتمر ، متمنيا لهم طيب الإقامة فى مصر ، ثم أتبعه الدكتورحسين كامل بهاء الدين وزير التعليم الذى تحدث عن منجزات المجمع فى مجال تعريب العلوم وإصدار المعجمات العلمية والتعاون الوثيق القائم الآن بين المجمع ووزارة التعليم ، ثم تلاه الأستاذ إبراهيم الترزى الأمين العام للمجمع ، الذى ألقى كلمة جامعة تحدث فيها عن المجمع ورسالته المجمعية فى خدمة اللغة العربية التى أداها ويؤديها خير أداء منوها بنشاطه المجمعى بين مؤتمر الدورة السابقة ومؤتمر هذه الدورة . كما ألقى الدكتور عبد الله الطيب عضو المجمع من السودان (ورئيس مجمع الخرطوم) كلمة الأعضاء العرب ، واختتمت الجلسة بقصيدة أنشدها الأستاذ الشاعر حسن عبد الله القرشى عضو المجمع المراسل من المملكة العربية السعودية .

كلمة الأستاذ الدكتور حسين كامل بهاء الدين
وزير التعليم

بسم الله الرحمن الرحيم

أستاذى الجليل رئيس المجمع :

الأساتذة الأعضاء الأجلاَّء :

إنه لشرفٌ عظيمٌ لى أن أشاركَ فى افتتاح مؤتمرِكم السنوىّ ، فى دَوْرَتِكُم المَجْمَعِيَّةِ التاسعةِ والخمسين ، كما يُسْعِدُنى أن أشاركَ فى الترحيب بأعضاء المجمع الوافدين إلينا من بلاد شقيقة أو صديقة ، لِيُسهموا فى أعمال مجمعِهم بالقاهرة ، وهى حافلةٌ بمئاتِ المصطلحات العلمية ، وما أعدَّته لجان المعجم الكبير ، والألفاظ والأساليب ، واللهجات ، والأصول ، إلى جانب ما أعدَدْتُموه من بحوثٍ علميَّة ، وما تُلقونَه من محاضراتٍ عامَّة .

هذه المنْجَزات المجمعيَّة الجليلة قد أَخَذَتْ تتوارد عامًا بعد عام ، على مَدَى تسعةٍ وخمسين عامًا ، حتى قارَبَتْ مئة وخمسين ألفَ مصطلح علمىّ ، ومئات القراراتِ اللُّغوية ، التى تَستَهْدِفُ تَيْسيرَ قواعد اللُّغَةِ العربيَّة ، وتَصْوِيبَ ألفاظٍ وأساليبَ شائعة ، تُتَّهَمُ بالخَطَأ اللُّغوىّ ، والخروج على ضوابط العربيَّة ، فَتَمْنَحُونَها بقراراتِكم - بعد البحث الدقيق العميق - شهادَةَ صِحَّتِهَا اللُّغويَّة ، وصلاحِيَّتِها للاستعمال . وإنِّى بوصفى وزيراً للتعليم سأَعْمَلُ على أن نُفيدَ من تَيْسِيراتِكم فى قواعدِ اللغة العربيَّةِ ، وألفاظِها وأساليبِها وهِجائِها ، فى إعداد الكُتُبِ المدرسيَّة لقواعد اللغةِ العربيَّةِ ، والقراءة ، بمراحل التعليم: الابتدائى ، والإعدادىّ ، والثانوىّ ؛ فَمرَاحلُ التعليمِ هى أُولَى ما يُفيدُ من تَيْسِيرَاتِكم اللُّغويَّة ، وأولاها بذلك . . . . كما أنَّ التعليمَ العالى والجامعىَّ هو أوَّلُ وأَوْلَى ما يُفيدُ من مُصْطلحاتِكم العلميَّة والفنِّية . ولقد كان تعاونُ المجمع ووزارةِ التعليم فى طَبْع

مُعْجَمِكم الوجيز ، وتقريره على تلاميذِ المرحلَة الثانويَّة بادِرَةً علميَّةً جليلة ، أفاد منها المُعَلِّمُ والطالب ، وأعادتْ عَهْداً حَمِيدًا تَوَلَّى ، حين كانت وزارةُ المعارف تُقَرِّرُ طَبْعَ « مختارِ الصِّحاح» أو « المصباح المُنِير » على طُلاَّبِها . وإننا لَنَحْرِصُ كُلَّ الحِرْصِ على أن نُفِيْدَ من تيسيراتِكم اللُّغويّة، وأنْ نُعِيْدَ طَبْعَ مُعْجَمِكُم الْوَجِيز ، ففي هذا وذاك ما يَنْهَضُ وَيْرقى بمستوى تعليمِ اللُّغةِ العربيَّة لدى ناشِئِيْنا ، ولَدَى مُعَلِّمِيهم ، كما أنَّ فيه علاجًا لظاهرة الضَّعْفِ العامِّ فى لُغَتِنا القَوْمِّية ، الذى استشرى داؤه فيمن يكتبون ويقرأون !!

أيُّها المجمعيُّون الأجلاَّء :

لقد أسعدنى اختيارُكم موضوعَ «المعجمِ العربىّ » لبحوث مؤتمركم هذا العام ، فإنَّ من أهمِّ الظواهر الصِّحيَّة التى تَشْهَدُ بحيويَّة اللّغة ونموِّها وتَطَوُّرِها ، ما يُوضَعُ لها من معاجمَ عامَّة وخاصَّة ، فى شَتَّى المجالات ، وعلى مُخْتَلَفِ المستويات، وأشْهَدُ أنَّ لِمَجْمَعِكُم - مجمعِ الخالدين - القِدْحَ المُعَلَّى ، والنصيبَ الأوْفَى فى إِصدار المعاجم العربيَّة ؛ فقد أخْرَجْتُم من المُعْجمَات العامَّة : الوسيطَ ، والوجيزَ ، وأجزاءً ثلاثةً من المُعْجَم الكبير، ومن المُعْجَمات المتخَصِّصَة : معجم ألفاظ القُرآن الكريم ، وجُزءيْن من معجم المصطلحات الطِّبيَّة ، وجُزْءَيْن من مُعجم الفيزيقا الحديثة ، ومعجماتٍ أُخْرى فى الكيمياء والصَّيدلة ، والفيزيقا النَّوَوِيَّة ، والجيولوجيا ، وعلوم الأحياءِ والزراعة ، والتربية وعلم النفس ، والفلسفة ، والجغرافيا ، والحاسب الآلى ، وألفاظ الحضارة ، ومُصطلحات الفنون ، وقد صدر مُنْذُ أيَّامٍ « مُعْجم النفط » آخر مواليد مُعْجَماتكم العلميَّة ، التى يتوالى صدورُها - بحمد الله - مُبَشِّرَةً بتحقيق أمَلِنا المنشود فى تعريب التعليم الجامعىّ .

أَسْأَلُ الله تعالى أن يَرْعاكُم أَيُّها الخالدون ، بخلودِ لُغَتِنا العربيَّة الشَّرِيفة ، وبإنجازاتكُم الجليلة فى إِعْلاء شأنِها ، واستيعابها كُلَّ جديد فى العلوم والآداب والفنون والحضارة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

بين مؤتمرين
كلمة الأستاذ إبراهيم الترزى
الأمين العام للمجمع

أستاذي الرئيس شيخَ المجمعيين :

الأستاذ الدكتور وزير التعليم :

أيها السادة :

سلامُ الله عليكم ورحمتُه وبركاتُه ، وبعد .

فإن من حقِّ اللغاتِ على الأُمَمِ أن تنشئَ لها مجامعَ تتعهَّدُها ، وتحفظُ عليها صحتَها وعافيتَها ، وتُهَيِّئُ لها أسبابَ النَّماءِ والبقاء ، والازدهار والانتشار .

فإذا مَوْردُ اللغةِ عذب .. كلما استَقَيْنا منه لايَغيض ، بل يَفيض !

وإذا شبابُها لا تُدركُه شَيْخوخةٌ ولاتُبْليه الأيام .. بل يَتَجدَّدُ مع الأيام ، ويزدادُ فَتَاءً وبَهاءً !

وإذا أُكُلُها دائم .. لايُنقِصُه إعطاء .. بل يزيدُ ويَزْكُو كلما ازداد عطاؤه سخاء !

ولاعَجَبَ في أن تكون لغتُنا كذلك ؛ فقد شرَّفَها الله فجعلَها لغةَ وحْيِه المُبين ، وحمَّلَها أمانة إعجازِه إلى العالمين ، وكَتَبَ على نفسه حِفْظَها إلى يوم الدِّين .

وقد أتَى على لغتنا حِينٌ من الدهر ، تَنَزَّلَتْ فيه على أقلام مُبْدِعيها من فنون الأدبِ آياتٌ وآيات ، وصارتْ وحدها لغةَ العِلمِ والحضارة ؛ فانعقدَ لها لواءُ الرِّيادةِ والسِّيادةِ على سائر اللغات !

ثم أتَى على أهلها حِينٌ آخَرُ من الدهر ، أخذتْهم فيه عِزَّةُ السلطان بالغرور والاستعلاء ، وأدْرَكَهُم داءُ الرخاء .. فتحوَّلَ التَّرَفُ إلى سَخَف ، والرَّفاهةُ إلى سفاهة ، وترهَّلُوا وتكاسَلُوا ، فضَعُفُوا واستكانوا ! .. وحانت الفرصةُ للمُتَربِّصين بهم من الأعداء ، فخرجتْ سيوفُهم من أغمادها ، وانطلقتْ سهامُهم

من جِعابِها . . فَاحْتُزَّ « أندلسُهم » الشهيد على مـذبح فُرقتِهم واسـتكانتِهـم . . كما تُوشِكُ الآنَ فى البَلْقان أن تُحْتَزَّ «بُوْسناهم» وتسقطَ شهيدة ، على مذبح قراراتٍ هزيلةٍ قَعِـيَـدة ! . . وهى التـى أَعْلَـتْ شَـأْن الـعـربيـة ، وأخـرجـتْ علـماءَ وأدبـاءَ وشـعـراء ، أَنْتَجُوا ويُنْـتِجُون علـمًا وأدبًا عـربىَّ الـلســانْ ، إســلامىَّ الـفكـرِ والوِجـدان !

مَضَتْ الأعوامُ قرنًا وراء قرن ، وعالمنا العربىُّ والإسلامىُّ مُستبـاحُ الحِمَى ، يَجْتَرُّ تُراثًا غـائبا ، ومجدًا ذاهبـا . . ولكن الله عَصَمَ لـغةَ ذِكْرِه الحكـيم ، فَظلَّـتْ عزيزةً بقرآنِه ، مُعجزةً ببـيانه . . على الرغم من انحسار ظلالِها عن ساحة العلم ، وجَفافِ ينـابيـعِ الإبداعِ لَـدَى أبنـائـها الـشعـراءِ والأدبـاء !

ومع إشراقةِ العصرِ الحديثِ . . . أخذَ العالم العربىُّ يَصْـحُو ، ويستنهض قُواه ، ويَسْتَفِزُّ هِمتَه وعزيمتَه . . فانطلق يَتحرَّر ، ويأخذُ بـأقطار العـلمِ والحضارة ؛ يَـحْدُوه أَمَلُ الـلَّحــاقِ بمن سَبَقَـه من شـعوب متـحضِّرَة ، قَطـعت أشواطًـا بعيدةً عـلى طريق الرقىِّ بالـعلوم والآداب والفنون . . ولم يـكن من سبـيلٍ إلى ذلك إلاَّ بـعودة عالَمنا العربىِّ إلى لغته ، بخبراتها الحضارية العـريقة ،وقُدرتِـها الفَذَّةِ عـلى استيـعاب مُعْطَيَاتِ العلم ، ومُسْتَحْدَثَاتِ الحضارة .

وكان إنشـاءُ المجامعِ اللغويـةِ هو مَلاذَ الإنقاذِ ؛ لتعـود لغتُنا من جديد لـغة عِلمٍ وأدبٍ وحضارة ؛ فكان « مجمعُ البكرىِّ » بالقاهرة فى أواخر القرن الماضى ، ثم كان لنادى دارِ العلومِ فى أوائل هذا القرنِ دعوةً حثيـثةً ، انطلقـتْ من ندوة أقامهـا لإنشاء مجمعٍ لُـغوىّ ، تَلاها إنشاءُ « مـجمَعِ دارِ الكتـبِ المصرية » ، الذى غابَ صـوتُه فى هَديرِ الثورة المـصريةِ الشعبيةِ ، عـامَ تسعةَ عشر . . فتَلَقَّفَتْ دمشقُ الرايةَ من شقيقتها القـاهرة ، وأنشأتْ – فـى العام نفـسه – مجمعَها العلمىَّ العربىّ . . وظَلَّتْ تيّاراتُ السيـاسةِ تَزْحَمُ السـاحة فى مصـر ، حتى انطـلقتْ من بَـرائنها فـكرةُ إنشاءِ المجـمع

اللغوىُّ المنشود ؛ فصدر فى ديسمبر من العام الثانى والثلاثين مرسومٌ ملكىٌّ بإنشاء مجمعنا ، وقد انفرد بين سائرِ المجامعِ بالطابعِ العالمىِّ فى تكوين أعضائه ، وعلى الرغم من أن الفوجَ الأولَ منهم لم تتجاوز عِدَّتُه العشرين ، فقد كانوا ينتمون إلى مصرَ ، وتُونُسَ ، وسوريَّةَ، ولبنانَ ، والعراق ، وإلى بريطانيا ، وفرنسا ، وألمانيا ، وهولندا ، وإيطاليا . . كما كان منهم الحاخامُ ناحوم ، والأب أنستاس !

ثم اطَّرَدتْ زيادةُ أعضائه ، مع زيادة أعبائه ، حيث بلغتْ عِدَّةُ لجانه اللغويةِ والعلميةِ والأدبيةِ والفنيةِ خمسًا وعشرين لجنة ، وأخذ النشاطُ المجمعىُّ يدورُ فى سبعة محاور :

أولُها : تيسيرُ العربية قاعدةً ولفظًا وأسلوبًا وكتابة .

ثانيها : وَضْعُ معجماتٍ لغويةٍ عامة .

ثالثُها : وضع معجماتٍ متخصصةٍ فى العلوم والآدابِ والفنونِ وألفاظِ الحضارة .

رابعُها : إصدارُ دورياتٍ تتمثَّلُ فى مجلته ومجموعةِ مصطلحاتهِ ومحاضرِ جلساتهِ .

خامسُها : إحياءُ نفائس تراثنا اللغوىِّ بتحقيقٍ دقيقٍ وثيق .

سادسُها : معالجةُ أهمِّ قضايانا اللغوية والعلميةِ والأدبيَّة .

سابعُها : إقامةُ مسابقاتٍ أدبيةٍ ولغوية .

والحصادُ المجمعىُّ من هذه المحاورِ كلِّها غزيرٌ مُتنَّوع ، على امتداد أعوامِه التى تُشارِفُ السِّتِّين !

وقد دَأَبَ المجمعُ على أن يجعلَ لمؤتمرِه السنوىِّ موضوعًا رئيسًا لبحوث أعضائه . . فَنَصَبَ لهم فى هذا المؤتمر موضوعَ «المعجمِ العربىّ » .

وقد تَواردتْ على أمانة المجمع - بحمد الله - بحوثٌ عديدة ، عالجت الموضوعَ من مختلِف مَناحِيه .

وموضُوعُ « المعجم العربىِّ » عظيمُ الخَطَر والأثر ؛ فقد تَوالَتْ على الصَّعيدِ

المُعَجمِىَّ العربىَّ معجماتٌ كثيرة ، زاحَم بعضُها بعضا ، وخالَف بعضُها بعضا . . وفى هذا التَّزاحُمِ المُعجمىِّ تَدافُعٌ قد يؤدِّى إلى تصارُع ، لا يُفيدُ منه سوى الناشرين . . كما أن فى هذا التَّخالُفِ المُعجمىِّ فى المصطلحات والتعريفاتِ بَلْبَلَةً للقارئين والكاتبين !

ومصدرُ هذه الفوضى المُعجمية أن كثيراً ممَّن يتخصَّصون فى علم أو أدب أو فنّ ، يَظُنُّون بأنفسهم قُدرةً على التأليف المُعْجمىِّ فيما تَخَصَّصُوا فيه ، فَيَشْرَعُون أقلامَهم ترجمةً عن معجمات أوربية ، ويُبيحُون لأنفسهم أن يَضَعُوا بالعربية مصطلحاتٍ وتعريفاتٍ لِمَا يُتَرْجِمُون ، بألفاظ وعباراتٍ قد يبلغُ من ركاكتها وفَجاجتِها أنها لاتنتمى إلى العربية إلا فى أشكال الحروف والكلمات ! . . ومثلُ هذا قد يرتكبه بعضُ دُور النشرِ والهيئات ، وإن كُنّا لا نُنكرُ جُهودًا حميدةً لبعض واضِعِى المعجماتِ العربيةِ من هؤلاء وهؤلاء ، تَتَّسِمُ بالصحة والدِّقةِ ، والاجتهادِ السديدِ فى اختيار المصطلحات والتعريفات . . ولكن المصطلحَ العلمىَّ العربىَّ سَيَظلُّ فى تَنافُر وتَناكُر ، لا يستقيمُ على جادَّة ، ولا يرتفع له شأن ، ولا ينعقدُ له سلطانٌ فى لغة العلم . . وبذلك يفتقد المصطلحُ مُهِمَّتَه وأهَمِيَّتَه ؛ فالاصطلاحُ اتفاق يلتزمُ به أهلُه ، من العلماء والأدباء ، وأصحابِ الفنونِ والصناعات . . فكيف يتحققُ معناه وَجَدْواه وَمغْزاه بافتراق كلمته ، واختلاف مَشارِعِه ؟

لا سبيلَ لأن يكونَ للغتنا العلمية شأنٌ بين لغاتِ العلِم العالمية ، إلاّ إذا اعتصمتْ مصطلحاتُها بِحَبْلِ اصطلاحٍ علمىٍّ واحد ؛ فاجتمعتْ على كلمةٍ سواء ، وصارتْ عربيةَ المَنْبَعِ والمَشْرَع !

ولعلَّ المعجماتِ العلميةَ لمجمعنا خيرُ ما يُحَقِّقُ ذلك ؛ فمصطلحاتُها وتعريفاتُها قد أقَرَّها مؤتمرُ مجمعِنا ، الذى تَتمثَّلُ فيه وحدتُنا العربية ، حيث يَضُمُّ أعضاءً أشقاءَ من وطننا العربىّ ، كما يضم أعضاءً أصدقاءَ من أوطان أُخرى فى الشرق والغرْب . . كلُّ أعضاءِ مجمعِنا هؤلاء ، من عربٍ ومستعربين ، ينظرون أعمالَ مجمعِهم فى مؤتمرهم السنوىّ ، وما

يقرؤونه منها يَظْفَرُ بشهادة ميلاده ، ويكتسب شرعيَّة الاستعمال ، وَحقَّ التداول وبهذا كلِّه تُصبح مصطلحاتُ مجمعنا مُؤَهَّلَةً لتحقيق وحدةِ المصطلحِ العلميِّ العربيّ . . ولعلَّ اتحادَ مجامِعنا اللغويةِ العلميةِ العربيةِ يضطلعُ بهذا الأمر ، فهو الجديرُ بأن يحملَ أمانةَ هذه الرسالةِ العلميةِ الجليلة ، فى وطننا العربىّ .

أيها السادة :

تقليدٌ مجمعىٌّ قديم . . أن يقوم الأمينُ العامُّ ، فى جلسة افتتاح المؤتمر ، بعرضِ بيانٍ تقريرىٍّ عن أعمال المجمع ، من مؤتمره السابق إلى مؤتمره اللاحق . . فأرجو أن يَسَعَ صبرُكم ما أقول !

وإن الذاكرة تعودُ بى - وأنا فى موقفى هذا - إلى شيخ أُمناءِ المجمع - أو كاتب سِرِّه كما كانَ يُلقَّب - المرحوم الدكتور منصور فهمى ، أول الأُمناء المجمعيِّين . . فقد كان يُداعبُ مُستمعيه فى مُفْتَتح كلِّ مؤتمر ، وهم يستمعون إلى تقريره المجمعىِّ السنوىّ . . وأَذْكُرُ من ذلك قولَه :

« إنى أَتحمَّلُ مهمةَ حديثٍ لا يتناولُ أَلاسَرْدَ أعمالٍ أَنجزَها المجمع . . ولذلك أَشْعُرُ بأن حديثى قد يكونُ فيه بعضُ ما يبعثُ على السَّأم ، ولكنها طبيعةُ المهمةِ التى وُكلَتْ إلى كاتب سِرِّ المجمع ، وَحظُّ رامرِ الحَىِّ الذى لا يُطْرِب » !

« وتَحْضُرُنى فى موقفى هذا أُسْطُورةٌ من أساطيرِ يُونان ؛ إذْ يُحْكَى أن كبيرَ الآلهة اليونانية أشار على زوجته أن تبتغىَ لها قَصّاصةً تُؤْنسُها بما تَحْفِلُ به حافظتُها من روائع الأخبار والأسمار ؛ فتَتَسلَّى بما تستمع إليه من عذب الحديث » .

« ولما التقتْ زوجةُ كبير الآلهةِ بتلك القَصّاصةِ استهواها قَصَصُها . . ولكنها لسببٍ مَّا غضبتْ على تلك القَصّاصةِ السَّيِّئة الطالع ؛ فاستخدمتْ قُوّتَها السِّحرِّيةَ فى أن تجعَل القَصّاصةَ بَكْماءَ ، لا تُحْسِنُ من النُّطقِ إلا مَقاطعَ الكَلِم ، وأواخِرَ الحروف ؛ فأصبحت تلك القَصّاصةُ من

أثَر هذا السِّحْرِ هى الصَّدَى لِمَا يَتَرَدَّدْ من كل كلام ! » . ثم يمضى الدكتور منصور فهمى قائلا :

« ولعلَّ بين كاتب سِرِّ المجمعِ وهذه القَصَّاصةِ العاثرةِ الحَظِّ بعضَ الشَّبَهِ فى موقفهما . . فإنى أَسْرُدُ هنا قراراتٍ للمجمع هى فى الواقع أصداءٌ خاطفة ، ومَقاطِعُ أخيرة ، ونهاياتٌ وخَواتمُ مُقْتَضَبَةٌ ، لأحاديثَ طِوال ، ومُحاوراتٍ كثار ، دارتْ خلالَ العام فى المجمع ، بين مؤتمره ومجلسه ولجانه . . وفى ذلك ما قد تأباه الآذان ، وتَضيقُ به الأسماع . . ولكنِّى فى طاعة مُهمتى أَمْضِى ، لا حيلةَ لِى ولا لكم إلا بالصبر الجميل » !

ولعلَّ خيرَ شفيعٍ لِى إليكم ما قاله شيخُنا ، وإمامُ أُمنائِنا المجمعيِّين . فأقولُ وبالله التوفيق :

المؤتمر السابق :

عَقَد المؤتمرُ اثنتى عشرةَ جلسة ، كان منها ثلاثٌ علنية ؛ هى جلسةُ افتتاح المؤتمر ، وجلسةُ تأبين عضوِ المجمعِ الراحل ، شيخِ علماءِ المغرب ، المرحومِ الأستاذ محمد الفاسى ، وقال كلمةَ المجمع فى تأبينه الدكتور عبدُ الهادى التازى عضوُ المجمع من المغرب ، أما الجلسة العلنية الثالثةُ فخُصِّصَتْ لمحاضرةٍ عامَّةٍ للمرحوم الدكتور حامد جوهر ، وهى بعنوان « على هامش تفسيرِ بعضِ آياتٍ من القرآن الكريم » . . أما الجلساتُ التِّسعُ الباقيةُ فكانت مُغلقة ، عُرضت فيها ما أَقَرَّه مجلسُ المجمع من أعمال اللجان ، وهى مصطلحاتٌ فى الطبِّ والفيزيقا وعلوم الأحياء والزراعة والجيولوجيا والهندسةِ والرياضياتِ والجغرافيا والتربيةِ الرياضية ، وكذلك قراراتُ لجانِ الأصولِ ، والألفاظِ والأساليبِ ، واللهجات ، كما نَظَرَ المؤتمرُ طائفةً جديدةً من موادِّ « المعجم الكبيرِ » (من الحاء والقاف إلى الخاء واللام) .

وقد كان الموضوعُ المقترحُ لبحوث المؤتمرِ السابقِ « تعريبَ التعليم الجامعىِّ » قُدِّمَت فيه بحوثٌ عديدةٌ من الأعضاء العاملين والمراسلين ، إلى جانب بحوثٍ

أخرى ، فى موضوعات شتَّى . . ستُنْشَرُ كلُّها فى مجلة المجمع ، فى جزء منها يُخَصَّصُ كلَّ عام لبحوث المؤتمر ، مع ما صَدَحَ به الأعضاءُ الشعراء من شعرٍ عَطَّرَ أجواءَ المؤتمر .

وفى الجلسة الختامية للمؤتمر أصْدَرَ قراراتٍ وتوصياتٍ أَهَمُّها ما يلى :

● يُوصى المؤتمرُ حكوماتِ الدولِ العربيةِ بإنشاء مؤسسةٍ على مستوى الوطن العربىّ ، تَكْفُلُ لها استقلالَها ، وتكونُ مُهِمتُها ما يلى :

أولا : نَقْلُ العلومِ والمعجماتِ العلميةِ المتخصصةِ والموسوعاتِ والدورياتِ وما أَشْبَهَ ذلك إلى اللغة العربية .

ثانيا : نَقْلُ تراثِ الفكرِ والأدبِ العالَمِيَّيْن إلى اللغة العربية .

● يُوصى المؤتمرُ حكوماتِ الدولِ العربيةِ بالحرص على أن تكون اللغةُ العربيةُ هى اللغة التى تلتزمُ بها جميعُ وسائلِ الإعلام ، المقروءةِ والمسموعةِ والمرئيَّةِ .

● يؤكدُ المؤتمرُ توصيتَه السابقةَ بدعوةِ اتحاد المجامعِ اللغويةِ العلميةِ العربيةِ ، والجامعات ، والهيئات ، إلى توحيد المصطلحات العلميةِ فى الوطن العربىّ ؛ حتى تنتهىَ البلبلةُ فيها ، ويتعاونَ علماؤُنا على نهضةِ العلومِ ببلادنا نهضةً جماعيةً عربية .

● يؤكدُ المؤتمرُ توصيتَه السابقةَ بزيادة عددِ الساعاتِ فى تدريس اللغةِ العربية ، مع العنايةِ بالضبط الكاملِ للنصوص ، ومع تيسيرِ القواعدِ للناشئة ، ويُسْتَعانُ فى ذلك بما أَقَرَّه المجمع من تيسير لهذه القواعد .

● يؤكدُ المؤتمرُ توصيتَه السابقةَ بضرورة إصدارِ تشريعاتٍ تَقْضِى بكتابة اللافتاتِ على المحالِّ التجارية ، والشركاتِ والفنادقِ بالعربيةِ ، إلى جانب اللغةِ الأجنبية ، كما تَقْضِى بِحَظْرِ كتابةِ الأسماءِ الأجنبيةِ عليها بحروفٍ عربية .

● يَدْعُو المؤتمرُ رجالَ الدولةِ وجميعَ المسئولين فى الوطن العربىِّ أن يَلْتَزِمُوا

اللغةَ العربيةَ السليمــةَ فى خُطَبهم وبياناتهم الموَجَّهةِ إلـى الجماهير ؛ لِمَـا فى ذلك من تأثير عميقٍ فى نفوســهم ، وتمثيلِها القويمِ للسانِ العربىّ .

المجلس واللجان :

عقد المجْلــس ستّاً وأربعين جـلسة ، نظر فــى ثمانٍ وثلاثيــن منها أعــمالَ لجانِ الطبِّ ، والفيزيقا ، والجيولوجيا ، وعلومِ الأحياءِ والزراعــة ، والفيزيقا ، والكِـيمياء والـصــيدلـة والنـفــطِ ، والجغــرافيـا ، والهندسةِ ، والريـاضياتِ ، والحاسباتِ ، والفـلسـفةِ ، وعـلـمِ النـفسِ والـتربـية ، والقــانونِ ، والـتاريـخِ والآثار ، وألـفاظ الحضارة ، كـما نظر المجلسُ أعــمالَ لجانِ الأصـولِ ، والألــفـاظِ والأســـاليــب ، واللهــجاتِ ، وستُعْــرَضُ على المؤتمــر مع موادَّ جديدةٍ أَعَدَّتْها لجنةُ المـعجمِ الكبيرِ من حرف الحاء .

أما الجلساتُ الثمانــى الباقياتُ فكانت علـنية ؛ منــها خمسٌ لـلتأبيــن ، وثلاثٌ للاستقبال ؛ فقد رُزِىءَ المجمعُ بوفاة خمسةٍ من شــيوخ أعــضائه ، هــم المرحــومون : الدكتور على عبد الواحد وافى ، الذى أبَّنَه الدكـتور كمـال بشر ، والأسـتاذ محــمد شوقى أمين ، الذى أبّنــه إبراهيم الترزى ، والدكتور مـحمد مهدى علام ، الـذى أبَّنه الدكتور شوقى ضيف والدكتور كمال بشر، والدكتور عــبدُ الحليم منتصــر ، الذى أبَّنه الدكتور مــحمود حافظ ، والدكـتور حامد جوهر ، الذى أبَّـنَه الدكتور محــمد رشاد الطُّوبى .

وإذا كان المجمــعُ قد هالَه فَقْدُ خــمسةٍ من شيــوخ أعضائه ، فـقد خَفَّفَ مُـصابَه فيهم أن الله تعــالى عوّضــه عنهم بـتسعةِ أعضاءٍ جُــدُد ، كلُّهم فارسٌ فى مـيدانه ، وقد خَصَّصَ المجمُع لاستقبالهم ما بقِىَ من جلساته العلنيةِ ، وهى ثلاثة :

الأُولى : استُقبل فيهــا العَلاّمةُ العالمىُّ فى الرياضيات الدكتور عطية عاشور ، وقد أَلْقَــى كلمةَ اســتقبــالِه الدكـتور محمـــود مختار ، كما استُقبل فى هذه الجلسةِ علاّمةُ

علم النفس المُعْجَمىُّ الفذّ الدكتور كمال دسوقى ، وألقى كلمةَ استقبالِه الدكتور كمال بشر . . وفى الجلسة العلنية الثانية استُقبل فيها عالِمُ الفيزياءِ الكبير الدكتور سيد رمضان هدارة ، وقد ألقى كلمةَ استقبالِه الدكتور محمود مختار ، كما استقبل أستاذُ علومِ الأحياءِ الألمعىُّ الدكتور عبد الحافظ حلمى ، وألقى كلمةَ استقبالِه الدكتور محمد يوسف حسن ، واستُقبل فى هذه الجلسة شيخُ المؤرخين فى التاريخ القديم والآثار الدكتور عبد العزيز صالح ، وألقى كلمةَ استقباله الدكتور محمود حافظ . . أما الجلسةُ العلنيةُ الثالثة فقد خُصِّصَتْ لاستقبال أربعة من مشيخة النحوِ واللغةِ ، والبلاغة ، وهم : شيخَ نُحاةِ الأزهر ، الدكتور إبراهيم البسيونى ، وشيخُ البلاغةِ والنقد ، الدكتور بدوى طبانة ، ومُجَدِّدُ مدرسةِ الألسن ، الدكتور عبدُ السميع محمد أحمد ، والزميلُ المَجْمَعِىُّ المُعْجمِىُّ ، المُحقِّقُ الجليل ، الأستاذ مصطفى حجازى، وقد شرُفَ باستقبالهم جميعًا فى هذه الجلسة إبراهيم الترزى .

مطبوعات المجمع :

أصدر المجمعُ المطبوعات التالية :

- الجزءَ الثالثَ من المعجم الكبير .
- الجزء الرابعَ من غريب الحَديث .
- الجزءيْن : الثلاثين والحادى والثلاثين من مجموعة المصطلحات .
- الجزءين : السادسَ والستين والسابعَ والستين من مجلة المجمع .
- معجمَ النفط .

صلاتُ المجمع الثقافية :

لا يَدَّخِرُ المجمعُ وُسْعاً فى توثيق صلاتهِ بالمجامعِ والهيئاتِ العلمية والثقافية؛ ففى الندوة التى أقامها اتحادُ المجامع اللغويةِ العلميةِ العربيةِ بتُونِس ، فى موضوع « تعريب العلومِ الطِّبِّيَّة » ، ناب الدكتور شوقى ضيف عن رئيس الاتحادِ أستاذِنا الدكتور إبراهيم مدكور ، ومَثَّلَ

المجمعَ فى هذه الندوة من أعضائه الدكتور أبو شادى الروبى ، ومن خبرائه الدكتور محمد عماد الدين فضلى . . وقد اختار المجمعُ الدكتور شوقى ضيف نائب رئيس المجمع لتمثيله فى الندوة التى أقامتها المنظمة الإسلاميةُ للتربية والعلومِ والثقافة احتفالاً بمرور خمسةِ قرونٍ على وفاة العلامةِ الشيخِ « جلالِ الدين السيوطىّ » ، وفى المؤتمر الذى عقدته وزارةُ التعليم لتطوير مناهجِ التعليم الابتدائى .

وقد مَثَّلَ المجمعَ الزميلُ الدكتور كمال دسوقى فى الحفل الذى أُقيم بالخرطوم ؛ احتفاءً بإنشاء مجمع اللغة العربيةِ بالسودان الشقيق ، فألْقَى كلمةَ المجمعِ فى هذا الحفل . وإنى من موقفى هذا ، وباسم مؤتمرنا ، أُقَدِّمُ تهنئةً خالصةَ للمجمع الشقيق ، وتحيةً مشفوعةً بترحيبٍ حَفِىٍّ بانضمامه المرتقبِ إلى اتحاد المجامعِ اللغويةِ العلميةِ العربية .

كما نُرَحِّبُ بمولودٍ مجمعىٍّ جديد ، سنلتقى به فى دورتنا المجمعيةِ القادمةِ – إن شاء الله – وهو المجمعُ التونسىُّ للعلوم والآداب والفنون .

أيها السادة :

لا يكادُ عامٌ يمرّ دون أن يَتَبَوأ بعضُ أعضاءِ مجمعنا مكانةً رفيعة ؛ بما يَحْظَوْنَ به من تقديرٍ عالمىٍّ أو محلىّ ، أو جوائزَ فى العلومِ والآداب . . حتى صار لمجمعنا فى سماء العلمِ والأدبِ مَجَرَّةٌ تَسْطَعُ نجومُها متألِّقة ، على مدى نصف قرنٍ من الزمان . . وقد انْضَمَّ إلى المَجَرَّةِ المجمعيةِ نجوم أربعة ، منذ مؤتمرِنا السابق حتى مؤتمرنا هذا . . وهم : الدكتور محمود حافظ ، الذى اختير عضواً فخرياً مدى الحياة فى المجلس الدولىّ لعلوم الحشرات ، وذلك فى مؤتمره الدولىّ الذى انعقد فى « بكين » بالصين ، فى شهر يولية الماضى ، وهو بذلك أحدُ ثمانيةِ أعضاءٍ فخريِّين فى هذا المجلس ، على الصعيد العالمىّ ، وأولُ عربىٍّ يَحْظَى بهذا التكريم . . وثانيهم الدكتور عطية عاشور، الذى انْتُخِبَ رئيساً للمركز الدولىّ

للرياضياتِ البحتة والتطبيقية ، التابع لهيئة اليونسكو ، وذلك فى شهر سبتمبر من العام الماضى ،بمدينة « نيس » بفرنسا ، وهو بذلك أولُ رئيسٍ لهذا المركزِ من غير الفرنسيين ، وأولُ عربىٍّ يُنْتَخَبُ رئيسًا له .. وفى شهر فبراير من هذا العام صدَرَ مرسومٌ ملكىٌّ فى إسبانيا ، بمنح الدكتور محمود مكى الوشاحَ الأكبرَ للاستحقاقِ المدنىِّ برتبة فارس ، وهو أعْلَى وِسامٍ يمنحه ملكُ إسبانيا .. ولم يَفُتْ مصرَ تكريمُ المجمعيِّين فى هذا العام ؛ فقد منحت الدكتورِ كمال بشر جائزةَ الدولةِ التقديرية فى الآداب .

أيها السادة :

يُسعدنى أن أُنَوِّهَ تَنْويه الشكرِ والترحيب بأعضاء المجمع ، الذين تَجَشَّمُوا عناء الرحلةِ من بلادهم إلى القاهرة ؛ ليُشارِكُوا فى أعمال مؤتمرِهم المجمعىّ ، وهم :

- شيخُ علماءِ الجزيرةِ العربية الأستاذ حمد الجاسر (عضو المجمع من السعودية) .
- رئيسُ مجمع اللغةِ العربية الأردنىِّ الدكتور عبدُ الكريم خليفة (عضو مجمعنا من الأردن) .
- رئيس مجمع اللغة العربيةِ السودانى الدكتور عبدُ الله الطيب (عضو مجمعنا من السودان) .
- الأستاذ الدكتور أحمد طالب الإبراهيمى (عضو مجمعنا من الجزائر).
- الأمينُ العامُّ لمجمع اللغةِ العربيةِ بدمشق الدكتور عدنان الخطيب (عضو مجمعنا من سورية) .
- الدكتور إبراهيم السامرائىَ (عضو المجمع من العراق) .
- الأستاذ سِرُّ الخَتْم الخليفة(عضو المجمع المراسل من السودان) .
- الأستاذ أحمد شفيق الخَطيب (عضو المجمع المراسل من فِلسطين) .
- الدكتور إبراهيم رفيدة (عضو المجمع المراسل من ليبيا) .
- الدبلوماسىُّ الشاعر الأستاذ حسن عبد الله القرشىَ (عضو المجمع المراسل من السعودية) .

• الدكتور أحمد صدقى الدجانى (عضو المجمع المراسل من فلسطين) وعلى الطائر الميمونِ يصلُ - إن شاء الله - بعضُ الأعضاءِ الذين أبْرَقُوا إلينا بحضورهم ، وهم :

• رئيس المجمع الملكىّ للحضارة الإسلامية الدكتور ناصرُ الدين الأسد (عضو مجمعنا من الأردن) .

• الدكتور عبد الهادى التازى (عضوُ المجمع من المغرب) .

• الدكتور أحمد طالب الإبراهيمى (عضوُ المجمع من الجزائر) .

• الدكتور يوسف عز الدين (عضوُ المجمع المراسلِ من العراق) .

• الدكتور حسن الفاتح قريبُ الله (عضو المجمع المراسل من السودان) .

• الأستاذ عبد الرزاق البصير (عضُو المجمعِ المراسل من الكويت) .

• ابنُ مدينة قُرطبة الدكتور فِدريكُو كَورنتى كَوردُوبا (عضوُ المجمع المراسل من إسبانيا) .

• الدكتور بُول كونيتشن (عضُو المجمع المراسل من ألمانيا) .

• وقد عاقت بعضُ الشواغلِ والظروفِ أعضاءً آخرين ، كتبوا ، إلينا معتذرين ، راجين النجاحَ لمؤتمرنا ، ونَأْمُلُ أن نلقاهم فى مؤتمرنا القادم إن شاء الله وهم السادة :

• الأستاذ محمد بهجة الأثرى (عضو المجمع من العراق) .

• الأستاذ سعيد الأفغانىّ (عضو المجمع من سورية) .

• الأستاذ منير البعلبكىّ (عضو المجمع من لبنان) .

• الأستاذ أحمد على عقبات (عضو المجمع من اليمن) .

• الدكتور رُودلْف زلهايم (عضو المجمع من ألمانيا) .

• الأستاذ عبدُ العزيز الرفاعى (عضو المجمع المراسلَ من السعودية) .

• الدكتور مجيد خدُّورى (عضو المجمعِ المراسل من الولايات المتحدة الأمريكية) .

• الدكتور فؤاد محمد فخر الدين (عضو المجمع المراسل من إندونيسيا) .

• الدكتور أبو القاسم سعد الله (عضو المجمع المراسل من الجزائر) .

• الأستاذ أبو القاسم كِروٌ (عضو المجمع المراسل من تونس) .

• الدكتور محمد رشاد الحمزاوى (عضو المجمع المراسل من تونس) .

وقد كنا على موعد مع حفل استقبال الدكتور إحسان عباس (عضو المجمع المنتخب من فلسطين) ولكن ظروفاً طارئةً حالَتْ دون حضوره . فإلى لقائنا معه فى مؤتمرنا القادم ، إن شاء الله .

وباسم مؤتمرنا أبعث إلى أستاذنا الدكتور حُسين مؤنس عضوِ المجمع ، الذى قعد به المرضُ من شهود مؤتمرنا ، أطيبَ أمنيات الشفاء والعافية .

أيهاد السادة :

فى ختام كلمتى لا يفوتنى أن أحَيّىَ سلفى العظيم، أستاذى الدكتور شوقى ضيف ، وقد كابَدَ من قبلى هذا البيانَ المجمعىّ ، « ولا يعرفُ الشوقَ إلاَّ مَنْ يُكابِدُه » .. ومَنْ مِثلُ : « شوقى » فى معرفة ذلك ؟ !

أيها السادة :

أستَميحُكُم عذراً عن إطالةٍ جاهَدْتُها خشيةَ الإملال ، وشفيعى لديكم تقديرُكم ما يَفْرِضُه المؤتمرُ كلَّ عام ، على الأمين العام .. وشكرى لكم خالصاً على صبركم الجميل ، وإصغائكم السَّمْحِ الكريم .

والسلام عليكم ورحمةُ الله وبركاتهُ .

إبراهيم الترزى
الأمين العام للمجمع

كلمة الأعضاء العرب

للدكتور عبد الله الطيب

بسم الله الرحمن الرحيم،والحمد لله وحده،وصلى الله على سيدنا محمد وصحبه وأهله ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد .

سيدى شيخ شيوخ مجمع الخالدين الأستاذ الدكتور إبراهيم مدكور .

سيدى وزير التعليم بجمهورية مصر العربية .

أيها الجمع الكريم من الزملاء والحاضرين:السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد .

فإنه لتشريف لى كبير أن يطلب منى السيد رئيس هذا المجمع الكريم أن أقول كلمة الأعضاء العرب،باسم الخرطوم وباسم الإخوة الأعضاء العرب،وكأن هذا الطلب مزدوج،فآمل أن أستطيع أن أصل إلى مستواه فى هذا الجمع الكريم .

سادتى:إن مؤتمر المجمع حدث وموسم نترقبه كل عام بشوق شديد؛وذلك لأننا نلقى فيه زملاءنا العلماء الأفاضل القدماء منهم والجدد،ففى هذا اللقاء تجديد للمودة كما فيه استفادة من العلوم والمعاجم على اختلاف مشاربها،وفى الجلسات التى نجلسها نتبادل الآراء ونسمع أصواتا عربية فى أجود ما تكون عليه من وجوه الصحة والصواب. ومن نعم الله على مجمعنا فى مصر أنه أنشىء أول ما أنشىء من أجل الحفاظ على اللغة العربية وعلومها ومن أجل الغرض الأكاديمى فى البحث،وبهذه المناسبة فكلمة (الأكاديمى) تستوجب وقفة لأنها منسوبة إلى رجل يونانى كان يمتلك حديقة يجتمع

فيهاً أفلاطون مع تلاميذه فهل نعربها ؟ فنقول اجتماع (مربدى) نسبة إلى (مربد البصرة) أو نقول (أكاديمى) ؟ وهذه الكلمة الأخيرة هل نزعم أن فيها النفس العربى، لأنها عسى أن تكون قد أخذت من كلمة (قد موس) التى تعنى القديم والله تعالى أعلم .

هذا ومن حسن حظ مجمعنا فى القاهرة -كما قلت آنفا - أنه أنشىء لغرض علمى أكاديمى ، مربدى ، قدموسى، وهذا جعله أبداً مرتفعا فوق آفاق السياسة ولقد كان هذا ذا نفع عظيم،لأنه ظل رابطا بين العرب بالرغم من مختلف الأحداث وهذا الربط كان يؤكد وحدتهم،كما أنه بحكم عالمية عضويته يؤكد عالمية اللغة العربية لأنها لغة عالمية ولم تفقد عالميتها إلى يومنا هذا ولن تفقدها إن شاء الله فى يوم من الأيام.ويشرفنى جداً أن أتحدث إليكم وأن أقول هذه الكلمة باسم مجمع الخرطوم وباسم الإخوة الأعضاء العرب وأود الإشارة إلى أن مجمع الخرطوم مجمع جديد ، لهذه المناسبة أذكر أننى قد فوجئت سنة إحدى وستين وتسعمئة وألف مفاجأة سارة إذ قال لى بعض زملائى فى الخرطوم إن اسمك قد ورد فى جريدة الأهرام أو الجمهورية وتم اختيارك عضواً عاملاً بمجمع اللغة العربية بالقاهرة ووصل الخبر الصحيح الرسمى بعد ذلك.وفى سنة تسعين وتسعمئة وألف فوجئت أيضا مفاجأة سارة عند سماعى خبر تعيينى رئيسا لمجمع اللغة العربية بالخرطوم،وكانت المفاجأة ذات مفاجأتين معا وفى وقت واحد:الأولى أنه لم يكن يوجد مجمع للغة العربية فى الخرطوم فكيف يوجد له رئيس ؟ والمفاجأة الثانية أننى عينت رئيسا ولم تسبق لى عضوية.وأيضا كان من نعمة الله علىَّ أنى عينت رئيسا لمجمع الخرطوم بعد خبرة بلغت تسعًا وعشرين سنة فى مجمع الخالدين،فكان ذلك مما زودنى زادًا قيما مفيدًا لأستقبل هذه المهمة التى عرضت علىَّ ولا شك أننا ظللنا سنوات فى مجمع الخالدين نجتمع إما فى قاعات جامعة الدول

العـربية وإمـا فى غـيرها ثـم تستـقر بـنا الجلسات فى شارع مراد بالجيزة،وكنا نسمع من أمـين المجمع آنـذاك وهو رئيـسه الآن وشيـخ شيوخـه أستاذنـا الجليـل الدكـتور إبراهـيم مدكور : أنـنا سيكـون لنا مقـر وبالفـعـــل كان لنا مـقـر فـى هذا الدار العامرة بجهده المتواصل الموفق .

كان أول شيء جعلت أبـحث عنه هو المقر وقد سعيت سعيا حثيثا فى هذا،والحمد لله أن منّ عـلينا وأصـبح لنـا مقر جمـيل المنظر حـسن الإعداد فى شارع رئيـسى من شوارع الخـرطوم،وكان كل هـذا من نعـمة الرحمن لا مـن حيلتى ، كما قـال الشاعر الراعى :

من نعمة الرحمن لا من حيلتى

أنى أعـدّ له علىّ فضـولا

من نعـمة الله ومن نتائـج المجهودات والمساعى التى بذلت فى هذا الشأن والحمد لله أصبح مجمعنا فـى الخرطوم جميلاً كما رآه زميلنا الدكـتور كمـال محمـد دسوقى عندما شرفنا نائبـا عن مجمع الخالدين يوم افتتاح مجمعنا بالخرطوم،وكذلك رآه زميلنا الدكتـور عبدالكريم خلـيفة رئيس مـجمع اللـغة العربـية الأردنى الـذى شرفنا أيـضا بالحضور يوم الافـتتاح . والدكتـور أحمد عمر يوسف من مجمع التعريب بسوريا،ثم بعد ذلك حـاولنا وأقول حاولنـا لأننى أول ما فكـرت فكرت فى أن يكـون لى زملاء فبدأنـا بعشرة أعضـاء ثم ارتفع الـعدد إلى عـشريـن ومن أوائـل الأعـضاء الـزميـل الأستاذ سر الختم الخليفة،والزميل الدكتور حسـن الفـاتح قريب الله وهـما عـضوان مراسلان بهـذا المجمع الخالد فى مـصر.ثم زاد عددنا إلى أن أصبح عـشرين عضواً ثم زاد العدد بضم خمسة من رؤساء الجامعات ثم بـدأنا نـفكر مـاذا نصنـع،وماذا تـكون أهدافنا،كيف يكون دستورنا فى العمل،ومن أوائل ما فكرنا فيه أننا لا نستطيع ولا نريد أن نستطيع أن نكرر تجربـة مجمع اللغة فى الـقاهـرة؛فنـجعـل هدفـنا الـعمـل علـى استحداث المـعاجم الحديثة والتعـريب ولنا

مجلس ولجنة للتعريب منفصلة تعمل على تعريب التعليم الجامعى ورئيسها عضو عامل فى مجمعنا . فبدأنا نفكر فى أهدافنا

وجعلنا هدفنا الأول إصلاح المنطق وإصلاح المكتوب،ثم ما كانت تهتم به بلدنا منذ القدم من نشر اللغة العربية وتعليمها

ونحن إذ نقيم مجمعاً لأول مرة نعلم أن العربية والعروبة تمتد فى آفاق العالم بأسره من المحيط الهادى إلى الخليج العربى ففى أمريكا عرب وفى أوروبا عرب يهتمون بأمور اللغة العربية ولهم مجلات وكتب وغيرها وفى آسيا عرب وفيها المسلمون ولغة الإسلام هى العربية ومنهم علماء محققون فى العربية .وأفريقيا فيها عرب يتحدثون العربية لسانا لهم كما فيها مسلمون يتعلمون العربية ويحسنونها ويتقنونها ويجعلونها لغة أدبهم وعلمهم،نجد هذا فى السنغال وفى هوسا وتشاد وفى كثير من البلدان الأفريقية،وأحسب أننى قرأت أبياتا فى هذا المجمع للمعلم جنيد وزير سكتو منها :

صبراً قليلاً فإنا سوف تحملنا
رَعّادة فى الهوا ملمومة الراس
طيارة تتبارى فى تجاوزها
سحب السماءِ التى ترمى بأقباس
تعطى الدخان وتنهى عن تعاملنا
به عليها وهذا خلف مقياس

وقد كتبت كتب كثيرة باللغة العربية فى موضوعات شتى فى مختلف البلدان الإسلامية ولذا حرصنا فى مجمعنا على وجود أعضاء يمثلون مختلف البلاد الأفريقية والإسلامية وحرصنا كذلك على أن يكون جميع رؤساء المجامع اللغوية العربية أو من ينيبونه عنهم أعضاء فى مجمعنا ثم مع هؤلاء أعضاء من هذه المجامع سيكتب إليهم بعد ذلك نأمل أن ينضم مجمع الخرطوم إلى اتحاد المجامع ومن أهم ما اهتممنا به كما قلت آنفا إصلاح المنطق،والإعلامى منه المسموع والمرئى جل ما اهتممنا به ولذلك اتصلنا بالمسئولين وجعلنا نقيم فصولاً تصحيحية

المراد بهـا إصلاح القراءة الجـهرية ومعـرفة مسائل النحو التى تـتصل بها كما أن المراد بها معرفـة بعض علوم العـرب القـــديمة من فقه وفلسفة وغيرها .

وكذلك اهتممنا بتحسين الخط العربى لأن الخط العربـى بدأ ينحدر فى كـثير من مجالاتـه ومن الأشياء الـتى نبهـنا عليـها الاهتمام بـخط اللافتات كى تكـتب بخط صحيح سلـيم مقبول وأن يتجنب كـتابتها بالخط التشكيلى الجديد الذى يزعم أن مثل مشى الخنـفساء خط سريالى . ويهـتم فيه الخطـاطون بكـل ما يخـالف قواعـد الخط العربى الصحيح .

ومن أهم ما اهتممنا به أيضا أننا نبهنا المسئولين إلى ضرورة أن يراجع المطبوعات أستاذ متخصص فى كل مكان يتولى الطبع لكثرة أخـطاء الطبع هذه الأيام فـى المطابع وفى الآلات الكاتبة وفى كـل مكان ينهض بالطبـع لأن ذلك سوف يعين على تـقليل الأخطـاء وهذه الأيام ظهـر ما فتن الـناس وهـو مـا يـسـمـى (بـالحـاسـوب) أو (الكمبـيوتر) أو (الكاتوب) فـهذه الآلة رغم جمالها وسرعتها تحدث عنها فى اللغة أخطاء فادحة فهل هذه الأخطاء نتجت من الآلة نفسها أو من الإنسان الذى يعمل على هذه الآلة أى أهى من أخطاء العقل البشرى أم من أخطـاء العقل الآلى أم وصـلت من العقل البشرى إلى الآلى - لذلك لابد من علاج هذه الأخطاء وإلا أُفسد التعليم وبعد لا أريد أن أعـرف بمجمعـنا أكثر مـن هذا، ولكنى إذ أقف هذا الموقف أحس أننا فقدنا فى العام الحالى بـعض الزملاء الأعزاء من علماء مجـمع اللغة العربية بالـقاهرة نسأل الله سبحـانه وتعالى أن يـتغمدهـم بواسع رحمـته . وقبـل أن أغادر هذا المـكان أود الإشارة إلى أنى قبل أن انـتخب عضواً فى هذا المجمع الـكريم كان مما مهد لانـتخابى فيه أنـنى ألفت كتـابا بعنـوان (المرشد فى فهـم أشعار الـعرب وصناعـتها) قـدم له المرحـوم الأسـتـاذ الدكـتـور طه حـسين وكانت هذه المـقدمة سببا فى ترشـيحى فى هذا المجمع الكريم وقبيل مجيئى إليكم هنا

وبعد انتخابى رئيسا لمجمع اللغة العربية بالخرطوم خرج جزء حاولت أن أطبعه فى السنوات الماضية ولم أتمكن من ذلك لضخامته ولأن الطابعين أصروا أن يطبعوه هو ولا يطبعوا الأجزاء التى تقدمته وذلك لأن الأجزاء التى تقدمته سرقها لصوص المطابع ومن أهم ما نبهنا إليه الدولة فى مجمعنا ضرورة رعاية الأدباء وحمايتهم من لصوص النشر وذلك بتكوين لجنة من كبار المحامين والقضاة فى كل دولة لحماية حق المؤلفين والدفاع عنها لأن الناشرين فى كل زمان ومكان فى أعماق نفوسهم احتقار المؤلف لأنه مفكر ولأنه فقير وفى ظن هيئات النشر أنها تنشر له مقابل لا شىء بينما نجد فى أوروبا أن المؤلف رفعه الجهاد والنضال من جانبه حتى نال المؤلفون حقوقهم فنحن فى بلادنا نحتاج إلى عناية ورعاية ودفاع عن حقوقنا ومن حسن حظى أننى كسبت قضية ضد لصوص سرقوا كتابى ونشروه باسم آخر وهو كتاب «سمير التلميذ» وكان للمدارس وكتاب المرشد الذى ذكرته آنفا قد خرج جزؤه الرابع فى مجلدين وانتهز هذه الفرصة الطيبة لأتقدم بثمانى مجلدات لنسختين من المرشد أهديهما لمكتبة المجمع بالقاهرة .

وقد جعلتهما نسختين « أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى » .

وبعد هذا أشكر لكم اتساع صدوركم وحسن استماعكم لى ولا أنسى أن أشكر فى خاتمة هذه الكلمة حسن الثناء على ما نجد ههنا من السخاء والكرم والترحيب . وحسن الاستقبال جزاكم الله خيرا كثيرا والسلام عليكم ورحمة الله بركاته .

عبد الله الطيب

عضو المجمع من السودان

تحية مؤتمر المجمع اللّغوى

للأستاذ حسن عبدالله القرشى

عضو المجمع المراسل من السعودية

سَفَرتْ فهْىَ للأمانى نشُورُ
وَهَمتْ فهى لُؤلُؤ مَنثُورُ

وَهَفَتْ فالعبير يخترق الأفـ
ـقَ ، وَمِلءُ القُلوبِ نَجوَى طَهُورُ

وبَدتْ فى ثيابها الخُضْرِ حَوْرَا
ءَ ، وهَشَّت فالكونُ زاهٍ نَضِيرُ

أومَضَتْ فهْى جَنَّةٌ للمجيِّـ
ـنَ لهَا فى مَدَى المدَى تَأثيرُ

تامَهَا المُغرمون من آل (عَدنا
نَ) ، فكلٌّ بحسنِها مبهُورُ

مَهْرهَا للعيُون سُهْدٌ ، وللرُّو
حِ حنينٌ وللكفاح حُضُورُ

إنَّها (الضّادُ) من عَذير فُؤادى
إن جَفَا وِردَهَا وأين المصيرُ ؟

المَنَارات ضَوَّأتْ من سَنَاها
فَهْىِ فَجرٌ ، مُستَشرِفٌ مَنْشُورُ

وظِلال الوَحْىِ آحتَوتْها رِغابًا
فَهْىَ للفِكرِ حَافزٌ ، مُسْتنيرُ

يغمرُ الكَونَ وَمْضُها ما تَراءتْ
فَهْى شمسُ الشُّموسِ أنَّى تَدورُ

لغةُ الحِكْمةِ العليَّةِ نَبْضُ الشّـ
ـعرِ ، دَومًا مَعينها مَوفُورُ

لغةُ المحكَمِ العظيم كتابِ الـ
ـلَّهِ ، هَدْىٌ مرتَّلٌ مَسْطُورُ

فَنِعمًّا بها وأكْرِمْ بمجْلَى
نِعمةٍ ، ما لَها بحَقٍ نَظِيرُ !

★ ★ ★

عَلِم اللهُ ما شكَتْ من نُضُوبِ

فهيَ نَبْعٌ أيَّانَ منه البُحورُ

خَصَّها الله بالبَقاءِ ومَرْحىً

للذّي يصطفيه رَبٌّ قَدِيرُ !

★ ★ ★

مجمع (الضَّادِ) لا عَدَتْك العَوادِى

أنتْ للضَّادِ حِصنُها المعْمُورُ

كلَّ يَومٍ آياتك الغُرُّ تَتْرى

هِيَ صَفْو مَحْضٌ وماءٌ نَميرُ

يتَبارى الأَفذاذُ فيك عَطَاءً

عبقريًّا ، وتَطْمئنُّ الصُّدورُ

الأُلى يَفْخَرُ الـزَّمــانُ بمجْدٍ

صـنعـــوهُ ، لا مِنَّةٌ لا غُرورُ

كـلُّهـم بـاهـرُ الـثَّقَافَةِ فَذٌّ

كَوكَبٌ فـي سَّمَائِه نحـــريـرُ

خَلَّدوا المعُجزَاتِ بالَّدأبِ المُضـ

ـنى ، فَدانتْ للسالكين جُسُورُ

فلهم تُخْفَضُ الرؤوسُ آعترافًا

وســيَجـــزيهم الإلـهُ الشَّكُورُ

فهو مُولى الكِرامِ أنْعمَه البيـ

ـضَ ، ونعم المولى ، ونعم النصير !

حسن عبد الله القرشى

عضو المجمع المراسل من المملكة العربية السعودية .

فضـــالة قولـــة حقّ:

واجب الحكومات العربية : إلزام كل منها جامعات قطرها تعريب التعليم[*]

للدكتور عدنان الخطيب

أيها الزملاء الأجلاء :

ما هذا الذى قاله الشيخ ديدات ؟

ألا تذكرون [١] وقفة فقيدنا الكبير عمر فروخ [٢] فى هذه القاعة يوم لعلع صوته قائلاً : « إن موقف (نولدكه) [٣] من القرآن الكريم لاغبار عليه بالنسبة لغيره من المستشرقين ، على كثرة أخطائه [٤] . . » والتفت فروخ نحونا صارخا : « أنا شخصيا أكره كثيرًا من المستشرقين ، ولكن هناك نفراً من المسلمين أساءوا إلى القرآن أكثر مما أساء إليه المستشرقون [٥] » .

(*) ألقى هذا البحث فى الجلسة الثانية من جلسات مؤتمر المجمع ، يوم الثلاثاء ٢١ من شوال سنة ١٤١٣ هـ . الموافق ١٣ من أبريل سنة ١٩٩٣ م .

(١) إشارة إلى آخر مؤتمر حضره الفقيد وكان سنة ١٩٨٥ . انظر محاضر دورة ٥٢ أو انظر وقائعها التى نشرناها فى مجلة مجمع اللغة العربية الأردنى ص ١٦٦ من العدد ٣١ ، الصادر عن شهرى تموز (يوليو) وكانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٦ م .

(٢) عمر فروخ زميل كبير من لبنان ، خسره المجمع بتاريخ ٨/ ١١/ ١٩٨٧، كان موسوعى المعلومات، غزير الإنتاج . انظر ترجمته فى كتاب « المجمعيون فى خمسين عامًا » ، تأليف محمد مهدى علام ص ٢٢٠ ، القاهرة ١٩٨٦ – وكتابنا « عمر فروخ وكفاح خمسة وستين عامًا دفاعًا عن العروبة والإسلام »دمشق ١٩٨٨ م .

(٣) تيودور نولدكه Theodor Nöldeke (١٨٣٦ – ١٩٣٠) مستشرق ألمانى يتقن عديدا من اللغات الشرقية والغربية ، وله مؤلفات كثيرة ، وكانت رسالته حول القرآن الكريم – انظر ترجمته فى أعلام الزركلى ٢ : ٧٩ الطبعة الثانية و « المستشرقون » لنجيب العقيقى ٢ : ٧٣٨ ، الطبعة الثالثة .

(٤) كان كلام الدكتور فروخ تعليقا على بحث أثارهزملاء أجلاء هاجموا فيه المستشرق نولدكه لموقفه من القرآن الكريم والإسلام وكثرة افتراءاته وأباطيله .

(٥) كان عمر فروخ معروفا بتشدده فى الرد على المبشرين والمستشرقين ودحض أباطيلهم ومن أشهر مؤلفاته كتاب بالاشتراك مع الدكتور مصطفى الخالدى حملا فيه حملات شديدة موثقة على التبشير ، وقد ظهرت طبعته الأولى فى بيروت سنة ١٩٥٣ ، وطبعته الثانية سنة ١٩٨٥ ، وقد أهدياه إلى كل شاب مسلم أو مسيحى وإلى كل شاب وشابة فى الشرق . انظر كتابنا المذكور آنفا .

حاور صحافى نابه الأستاذ احمد حسين ديدات [1] . فسأله :

- ما هى أكثر المشكلات التى تواجهكم على طريق الدعوة إلى الإسلام [2] ؟

أجاب الداعية بجرأة وصراحة اشتهر بهما قائلاً :

- قد تتعجب إذا قلت لك إن مشكلتنا الرئيسية : هى المسلمون أنفسهم !!

وتابع الداعية المسلم الحقّ يقول :

- إن هناك قصوراً كبيراً من جانب المسلمين فى فهم مضمون ورسالة الدعوة إلى الإسلام [3] .

هل يعقل أن يلقى داعية إسلامى كبير كالشيخ ديدات الكلام على عواهنه ، فيتهم المسلمين بالوقوف عثرة فى وجه الدعوة ؟

وهل يصدق أحد أن يتهم مسلم اشتهر بالدفاع عن الإسلام كالدكتور فروخ المسلمين ظلما ، أنا أعتقد بأن لاجواب من إنسان عاقل بغير النفى المؤكد فى الحالتين.

على أن نفى الظلم عن كل من الشيخ ديدات والدكتور فروخ لا يلزم المسلمين فحسب ، معرفة أسباب ذلك الإتهام وموجباته ، بل من واجب كل عاقل ومفكر أن يبحث عن الأسباب ويعرفها .

أنا لم أر أحدا عرف تلك الأسباب مثل ما شرحها قبل ما يقرب من خمسة عشر قرنا ، محمد عليه الصلاة والسلام على ما رواه لنا الصحابى الجليل ثوبان .

---

(١) السيد ديدات أشهر داعية إسلامى فى عصرنا ذو جذور عريقة فى الهندوكية ، مواطن مقيم فى جنوب أفريقيا النصرانى الوجه ، البروتستانتى العقيدة ، وكان فى الخامسة والسبعين يوم جرى الحوار معه .

(٢) أجرى الحوار السيد محمد عبد القادر الفقى من المملكة العربية السعودية ، أثناء زيارة الشيخ ديدات لها ، وكان قد منح جائزة الملك فيصل لخدمة الإسلام عام ١٤٠٨ هـ

(٣) نشرت الحوار مجلة « القافلة » فى عدد رمضان ١٤١٣ / آذار (مارس) ١٩٩٣ . مع ترجمة موجزة للداعية وبيان لأهم خدماته .

فمن هو ثوبان هذا ؟ وماذا روى لنا ؟

أولاً – من هو ثَوبان ؟

من جَـرْد أهم كتب التاريخ والسيرة النبوية وتراجم الصحابة ومعاجم العربية وأعلام المسلمين ، تبدو صورة (الإنسان الذى سحقته التقاليد ، وأدركته رحمة الخالق ، فعاش حياة مجاهد ، وكان على خلق عظيم) .

ثوبان بن بجدد مولى النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، ويكنى أبا عبد الله هو حميرى ، قد يكون من سعد العشيرة من مذحج فى اليمن ، غزيت عشيرته فأصابه سبى ، اشتراه بأخرة محمد عليه الصلاة والسلام ، وأعتقه قائلاً :

« إن شئت أن تلحق بمن أنت منهم ، وإن شئت أن تكون منا أهل البيت [1] » .

واختار ثوبان البقاء يخدم من منحه الحرية عرفانا بفضله على أن يلحق بأهله ليتمتع بالحرية التى افتقدها وهو منهم .

انصرف ثوبان إلى خدمة النبى عليه السلام سفرًا وحضرًا إلى أن قُبض ، فرحل إلى بلاد الشام ، ونزل بالرملة من فلسطين وفيها ابتنى دارا ، ثم رحل إلى مصر وشهد فتحها وابتنى فيها دارا ، ثم رحل إلى حمص ، وفيها توفى سنة أربع وخمسين (٦٧٤م) دون عقب ، تاركا دارا وقفا محبوسة [2] .

روى ثوبان عن النبى صلى الله عليه وسلم أحاديث ذوات عدد ، أثبت الشيخان : البخارى ومسلم منها ١٢٨ حديثا ، وروى عنه نفر من أعلام الرواة ومن طريف ما حدّث به قال :

---

(١) انظر أُسد الغابة ، ج ١ باب : الثاء والواو ٦٢٤ ص ٢٩٦ من كتاب الشعب . تاريخ الطبرى ٣/ ١٦٩ ، دار المعارف بمصر .

تاج العروس ، مادة : ث و ب .

(٢) انظر الأعلام للزركلى ، ج ٢ ص ٨٨ الطبعة الثانية ومصادره : الاستيعاب : ١ ، ٢١٢ وكشف النقاب – خ –

القاموس الإسلامى لأحمد عطية الله ١ / ٥٤٥ النهضة ١٩٦٣

الجامع فى السيرة النبوية لسميرة الزائد ص ٣٥٩ دمشق ١٩٩٢

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من يتقبل لى بواحدة وأتقبل له بالجنة ؟ » قال ثوبان قلت أنا ، فقال عليه السلام : « فلا تسأل الناس شيئا [1] » .

فكان ثوبان يقع سوطه وهو راكب فلا يقول لأحد ناولنيه ، حتى ينزل فيتناوله [2]

ثانيًا - ماذا روى لنا ثوبان ؟

حدثنا ثوبان مولى النبى عليه السلام قال [3] :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأَكلةُ على قصعتها » .

قال قلنا : يا رسول الله : أمن قلة بنا يومئذ ؟

قال عليه السلام : « أنتم يومئذ كثير ولكن تكونون غُثاء كغثاء السيل ينتزع المهابة من قلوب عدوكم ويجعل فى قلوبكم الوهن [4] » .

لقد ذهل ثوبان من تشبيه النبى صلى الله عليه وسلم هذا ، وظن أن قلة عدد المسلمين هى منشأ ضعفهم ، فأتاه الجواب منه - عليه السلام - بأنهم « غثاء » فما هو الغثاء يا ترى ؟!

الغثاء ، لغة ، هو ما يجرفه السيل إذا ما فاض ، من فتات الأرض وهشيمها وقماشها وأوساخها ، وكل ما هو خفيف الوزن لا جوهر فيه ، وغثاء الكلام : الجعجعة فيه دون عمل يفيد ، وغثاء الناس: السُّوقَة منهم وجماهير الدهماء .

---

(١) الحديث صحيح ، اخرجه أبو داود والحاكم .

(٢) صفوة الصفوة ، لابن الجوزى ، تحقيق الفاخورى بيروت ١٩٨٦ ص ٦٧٠

(٣) نص الحديث كما ورد فى ص ٢٧٨ من مسند الإمام أحمد ، فى المجلد الخامس ، طبع المكتب الإسلامى فى بيروت .

وللحديث صِيغ متعددة من أهمها ما ورد عن أبى هريرة ، وذكر فى ص ٣٥٩ من مسند الإمام أحمد ، المذكور آنفا ؛ فى المجلد الثانى ، طبعة ثانية سنة ١٩٧٨ ، ويبدأ نصه : «كيف أنت يا ثوبان إذا تداعت عليكم الأمم .. » .

(٤) ولقد ورد الحديث ، على ما فى المعجم المفهرس ، الصادر عن الاتحاد الأممى للمجامع العلمية فى ليدن سنة ١٩٣٦ - ١٩٦٩ ، فى كل من : سنن أبى داود ملاحم ٥ - ومسند أحمد ٥ / ٢٧٨ فى مادة (قصع) كما ورد فى سنن أبى داود ملاحم ٥ - ومسند أحمد ٢/ ٣٥٩ و ٥/ ٢٧٨ ، فى مادتى (تداعى ووهن) .

ولكن ما هو الوَهْن أو الوَهَن ؟ إنه جرثومة كل ضعف وفَرَق ، إنه خبيثٌ يتأتى للإنسان من عوامل قد يصعب على الخبير حصرها ، إنه يتأتى للإنسان من حبٍّ يعميه أو فساد فى التفكير يضلّه ، أو خور فى العزم يلجمه ، أو من فقدان التضامن مع أقرانه فيثبطهم ، أو من اختلاف مع إخوته فى الأهداف والمطامع فيفرّق كلمتهم ، وقد يتأتى للإنسان بمجرد رؤية وميض الملاحم .

أيها الزملاء الكرام :

أنا لا أريد استثارة عواطفكم بالتعريج فى حديثى على ما يسمى بالنظام العالمى الجديد [1] ، وكيف يُستساغ فيه اختلاف مفاهيم نصوصه وتفاوت الأخذ بمعاييره ، كما لا أريد ذكر وَشَلٍ مما جرى فى بلاد البوسنة ، وفيه ما حجبته تقارير رسمية عن وسائل الإعلام إذ يقرب حديثى عندئذ من لهيب السياسة ، وقد سبق لى أن باينتها وأقلعت عن سلوك أىّ واحد من مساربها منذ نيف وثلاثين سنة ، غير أنى ما جئت أتحدث إليكم اليوم ، جاهرا بصوتى إلا لأقرع أجراس الخطر الداهم على (الفصحى) ، لغة الذكر الحكيم فأعداؤها هم أعداؤها ، لقد بدلوا اليوم ثيابهم وصبغوا وجوههم بعد أن انهار سندهم وتفتت ، وبعد أن رأوا منافسه يكشر عن أنيابه ويتبجح ببلع الحديد .

إن أعداء الفصحى ، قد تحركت اليوم رؤوسهم ، ولمعت أسنانهم ورفعوا شعارات يضللون بها ضعاف الإيمان بالله محتمين بفئة من العَلمانيين المؤمنين بالغرب وبالشيطان ، فتراهم ينادون تارة بضرورة تيسير اللغة ، وتارة يقولون بلزوم إغناء العربية بتفصيح الدارج من الكلام

---

(١) كان أستاذنا السنهورى - رحمه الله - يحدثنا عما استشفه من أبحاث وكتابات اطلع عليها أثناء إقامته فى فرنسا يحضر لنيل درجة الدكتوراه من بغض يضمره الغربيون للإسلام وللخلافة فيه ، ومن محاولات لإقامة كيان دولى يحافظ على أسلابهم فى الحرب التى انتصروا فيها ويقف فى وجه نمو البلاد التى سلخوها عن الخلافة العثمانية ، فكانت مسألة الخلافة شغله الشاغل فجعلها موضوع « أطروحته » وقد انتهى فيه إلى ضرورة تطويرها لخدمة المسلمين .

وقد أضاف صديقنا الدكتور الشاوى إلى ما صنعه فى إحياء ذكرى السنهورى شيئا عن رأيه فى النظام العالمى الجديد والعمل على تطويره ليستطيع الوقوف فى وجه النظام الاستعمارى الذى يفكر فيه الغربيون .

وتـارة أخرى يجـهـدون إلالأخـذ بالأرقـام الغبـارية لتكون خطـوة تجبب الغرب فـينا عندما نهـجر أرقامنا المشرقيـة ، وفاتهم أن أرقامنا وأرقامـهم جميعها عربـية ولو أنكر عروبتها الجاحدون .

سادتي الأجلاء :

ما بـال أعداء العـربيـة ينادون دائـما بوجوب تـيسيرها ويـخفون ذكر قـواعدها وأصولها ؟ إن زميلنا الـكبير شوقى ضيف أَوْفَى موضوع تيـسير تعليم العـربية درسًا وبحـثـًا وأفـاض ومـازال مستعـدا لـمزيد من فيـض علمه ، فـهل من يزيد عليه ؟ إن كـان لا يضـمر لـلعـــربيـة إلا الخيـر فمـرحبـا به .

ومـا بال أعـداء الفـصـحى يـرددون أغنـيتـهم بضـرورة إغنـاء معاجـم اللـغة بالألـفاظ المـتداولة بـين النـاس ويخـفون غاياتهـم مما يتغنون به ، وهل بـعد جهود مجمـع اللغة الـعربية الحـثيثة ، وبـخاصة جهود زميلنا الكبيـر أمين على السيد ، فى جمعـه المقبول من الألـفاظ المتداولة طـالبا تفصيحها ، من يستطيع بذل جهود إضافية فى إغناء العربية ؟ إذن فليتفضل .

انظروا كيف أخذ (أعـداء الفصحى) الـيوم ، وفـى أكـثر مـن قـطر واحـد ، يجاهرون بـالدعوة إلى العامية ، بـعد فترة من الـتوارى عن عيـون حراس اللغـة فى الأقطـار التى يـعيشون فـيها ، بـل أخذوا يتبجـحون بصلافة مرددين الـقول بأن كل إبداع بالعامية تملـكه الشعوب ، مما يوجب عليها إحياؤه ، بل هم يريدون إحياء جثث أبلتها الـسنون ، بحجة أن أصحابـها كانوا من أنصار العامية التى عاشوا فيها .

ما بال المسلميـن يرون اليوم الذّل يكاد يرين علـى جموعهم وهم صـامتون . ما بال بعضـهم تعرض لتهمة الجهل من الشيخ ديدات ، وآخريـن تعرضوا لتهـمة الإساءة إلى القرآن الكريم من قبل الدكتور فروخ ، ولـم نـسمع واحدًا مـن المتهـمين قام لـيرد التهمة عن نفسه ؟

بل ما بال المسلمين يقتل بعضهم بعضا، هذا يقـتل انتقاما لـهجرهم الشـريعة وذاك

يقتل خوفا من تحكيم الشريعة ، وبعضهم يقتل لغرض السكينة والأمن ، وآخرون يقتلون هلعًا من اختلال الموازين، والإسلام لا يقر فئة منهم، فليس الانتقام ولا الخوف من الشيم التى يرضاها الإسلام . والإسلام يدعو للسكينة والأمن ولا يقرّ إلا الموازين العادلة التى لا حيف فيها.

أنا أكتب هذه الكلمات ، وعلى مرأى منى أخبار القتل فى الظلام والتفجير فى العتمة ، فإذا تبين من الشعر رويا عن علم كبير من أعلام الإسلام فى القرن الماضى[1] طواهما على تضمين للآية الكريمة (لو آطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِراراً وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعبًا[2]) يجيشان فى صدرى قال تغمده الله برحمته :

يا وَيْلَتَا من أُناسٍ يُعزَى الكمالُ إليهم
كالْمتَّقِينَ ولَكِنْ لو اطَّلَعْتَ علَيْهِمْ[3]

★ ★ ★

أيها الزملاء الأجلاء :

إن جهود مجمع اللغة العربية فى سبيل تعريب التعليم الجامعى غير منكورة إلا من قبل جاحد للفضل أو مغرض ، إخفاء لما فى نفسه ، لقد قضى مؤتمرنا العديد من جلساته فى الأعوام الفائتة يبحث الأمر الذى تهتم به جامعات أكثر الأقطار العربية .

وأنا أكتفى بتذكيركم بجلسات الدورة الحادية والخمسين[4] فقد استمعنا خلالها إلى أحاديث فى غاية الدقة وحسن المعالجة ولعلّى لا أخطىء إذا اكتفيت بالإشارة إلى حديثى زميلين كريمين هما المحمودان :

---

(١) راوى البيتين ، الشيخ عبد الله العلايلى ، وقد سجلهما فى الصفحة ٦٠ من كتابه « أين الخطأ ؟ تصحيح مفاهيم ونظرة تجديد .. » دار العلم للملايين بيروت ١٩٧٨

(٢) الكهف ١٨ : ١٨

(٣) قائل البيتين : الشيخ مصطفى نجا . مفتى بيروت حتى أوائل الثلاثينات من هذا القرن ، وكان من كبار أعضاء البعثة العلمية إلى دار الخلافة الإسلامية ، خلال الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ - ١٩١٨ م .

(٤) انظر محاضر الدورة المذكورة التى عقدت سنة ١٩٨٥ أو وقائعها التى نشرناها فى العدد المزدوج ٢٨-٢٩ ، من مجلة مجمع اللغة العربية الأردنى - تموز وكانون الأول ١٩٨٥

١ - الدكتور حافظ ، وقد وفى التعريب الجامعى فى مصر حقه مؤكداً أن اللغة العربية هى الأداة الطبيعية للتعليم لاعتبارات قومية وعلمية واجتماعية ، مفصلاً الكلام فى كل منها ، وفى كيفية التغلب على العثرات التى تحول دونها . وأنهى حديثه بنتيجة منطقية قائلا : « على الدولة أن تتبنى التعريب بقرار سياسى ملزم » .

٢ - الدكتور مختار ، وقد بحث معوِّقات التعريب الجامعى وفنده تفنيداً مذهلا ، مطلقـًا على التعليم بغير العربية وصف « مأساة » نتيجة جرثومة وضعها المشرِّع فى نصوص قانون الجامعات ، وما على المشرِّع إلا القضاء على الجرثومة التى زرعها بقرار سياسى ملزم .

وإذا كان الشىء بالشىء يذكر ، فلا أرى ما نعا من أن أذكر لكم خبر ندوة عقدت بدمشق قبل أشهر باسم « ندوة لعمداء كليات الطب فى الوطن العربى [١] » كان من أهدافها « تعريب التعليم الطبى مع التأكيد على البدء به وتذليل أية صعوبات تعترضه » ؛ وفيما يلى بعض ملاحظات وتعليقات حول تلك الندوة وما انتهت إليه .

لقد لاحظت من تتبع أخبار تلك الندوة عدم مهاجمة أى عميد كلية عربية فكرة التعريب ، التى يعلن بعض أساتذة الطب فى جامعات مصر ، ومن ضمنها جامعة الأزهر ، وعلى صفحات الأهرام أن فيها القضاء على علم الطب ووقف تقدمه فى مصر ومن يلحقُ بها [٢] .

كما لاحظت عدم لجوء أى عميد لنعى الطب وتقدمه العلمى فى سورية ، كما يعلن ذلك على صفحات الأهرام بعض أساتذةُ الطب فى مصر ومن جملتهم أساتذة فى الأزهر [٣]

(١) عقدت الندوة بتاريخ ١٤ - ١٥ من رجب ١٤١٣ وفق ٧ - ٨ كانون الثانى (يناير) ١٩٩٣ ، وكان دعا إليها « المجلس العربى للاختصاصات الطبية » بمساهمة كل من اتحاد الجامعات العربية ومنظمة الصحة العالمية - المكتب الإقليمى لشرق البحر الأبيض المتوسط .

(٢) سبق لى فى حديث ألقيته فى مؤتمر الدورة السابعة والخمسين سنة ١٩٩١ أن سفهت آراء بعض أعداء التعريب وتطاولهم على أنصاره .

(٣) لقد وصل الأمر بأعداء التعريب إلى آراء غريبة يطعنون فيها بكفاءة الأطباء السوريين لمجرد دراستهم الطب وتدريسهم الطب وتدريسهم لعلومه بالعربية ، وقاموا بنشر آرائهم على صفحات (الأهرام) ، وقد نوهت بذلك فى حديثى الملمع آنفا .

وإذا كان ذكر بعض الطرائف يملّح الأحاديث فإليكم هذه الطرفة :

لقد التقيت مصادفة بطبيب عالم من أصدقائي [1] ، وكان خارجا لتوه من اجتماع لهذه الندوة حاملا أوراقا تحمل شعارها ، فلم ألبث أن مددت يدى أتناولها مستأذنًا بالاطلاع عليها ، فإذا بأعلاها ملف يحوى خطاب عميد إحدى كبريات كليات الطب فى الوطن العربى ، واسترعت نظرى عبارة دونها الطبيب الصديق فى أسفل الصفحة الأولى يقول فيها : « هذا خطاب كتب بالإنكليزية وترجم إلى العربية ترجمة سيئة لا تليق بعميد كلية عربى » [2] .

وكان مما توصل إليه بعض المتحذلقين ضرورة مقارنة مقدار فهم الطلاب للطب إذا تلقوه بالعربية وفهمهم له إذا ما تلقوه بالإنكليزية ، مع ضرورة مقارنة متابعة الأطباء السوريين للتقدم العلمى بمتابعة زملائهم أطباء العالم المتحضر ؟

عن الشق الأول من طلب المقارنة فأنا أوكد ، كما أكّد كثيرون قبلى بأن فهم من يتلقى العلم من أستاذ يلقيه بالعربية يفوق فهم من يتلقاه بلغة أجنبية .

أما عن الشق الثانى من طلب المقارنة فليس مجديًا سؤال السوريون عنه ، إنما الحق أن يوجه الطلب إلى كبار الأساتذة فى العالم والمستشفيات العريقة فيه عمّن يساعدهم أو يعمل فيها من أطباء سوريين استوطنوا فى كل من أمريكا وألمانيا وبريطانيا وفرنسا .

لهذا فلا عجب من أن أنهى حديثى بتوجيه الخطاب إلى من بأيديهم مقاليد حكم الشعوب العربية قائلا :

بادورا - لحفظ عروبة بلادكم ولحفظ تراثها المجيد - إلى إلزام جامعات القطر الذى تحكمون فيه بتعريب التعليم .

والسلام على من وعى الهدى وعمل به .

عدنان الخطيب

عضو المجمع من سورية

---

(١) طبيب سورى درس فى الجامعة ودرّس فيها بالعربية ، وسبق له أن حاضر فى بعض كليات الطب فى كل من : بلجيكا والولايات المتحدة ، كما حضر العديد من المؤتمرات :

(٢) أعفى نفسى من ذكر اسم العميد أو الكلية ، غير أن لهما من الشهرة ما يدل على علم باهر ومستوى رفيع . كما أعفى الزملاء من ذكر سطر واحد من خطاب العميد ، لما تضمن من عجائب النحو .

حديث عن المعاجم العلمية العربية (*)

للدكتور محمد رشاد الطوبى

السيد الأستاذ الدكتور

إبراهيم بيومى مدكور رئيس المؤتمر

السادة الزملاء الأفاضل أعضاء المؤتمر

إن اختيار المجمع الموقر لموضوع «المعجم العربى ، مناهجه ومصادره» ليكون المحور الرئيسى ، الذى تدور حوله بحوث هذا العام ، هو اختيار موفق تماماً ، ويسعدنى أن أساهم فى هذا المؤتمر - كما ساهمت فى المؤتمرات السابقة - بحديث موجز عن المعاجم العربية ، وسوف يقتصر حديثى على موضوع «المعاجم العلمية» ، تاركا كل ما يتعلق «بالمعاجم اللغوية» لمن هم أقدر منى على ذلك ، من الزملاء الأفاضل المتخصصين فى اللغة العربية .

ونحن نشاهد اليوم جهودا صادقة ، ورغبة حقيقية ، يتردد صداها فى مختلف أرجاء الوطن العربى من المشرق إلى المغرب، فبالأمس القريب - وبالتحديد فى الفترة من الثلاثين من يناير إلى الرابع من فبراير من العام الحالى ١٩٩٣ (ثلاثة وتسعين وتسعمائة وألف) - حضرت إلى القاهرة مجموعة من زملاء لنا فى المغرب العربى ، ينتمون إلى « مكتب تنسيق التعريب بالرباط » لعقد اجتماع خاص تحت رعاية « اتحاد المجامع اللغوية العربية » بالقاهرة ، وذلك لمناقشة أربعة معاجم علمية أعدها المكتب ، وتتناول الموضوعات التالية :

١ - علوم الزلازل .

٢ - الطاقة الجديدة والمتجددة .

٣ - العلوم السياحية .

٤ - علوم البيئة .

(*) ألقى هذا البحث فى الجلسة الثانية من جلسات المؤتمر يوم الثلاثاء ٢١ من شوال سنة ١٤١٣ هـ ، الموافق ١٣ من أبريل سنة ١٩٩٣ م .

وقد شكل مجمع اللغة العربية بالقاهرة لجنة خاصة من أعضائه للتباحث معهم فى أمر هذه المعاجم الجديدة ، وتزويدهم بالإرشادات والخطوات اللازمة لإنجاز هذه المشروعات وخروجها إلى دائرة الضوء .

أما فى المشرق العربى فقد عقدت فى البحرين خلال شهر فبراير الماضى ندوة عنوانها :

« تعريب الطب والعلوم الطبية »

وكان من المفروض أن أسافر مع زميلى الأستاذ الدكتور أبو شادى الروبى لتمثيل مجمع اللغة العربية بالقاهرة ؛ فى هذه الندوة ، ولكن حالت بعض الظروف التى لم نتوقعها دون السفر ، وذلك بعد استعدادنا له تماما ، وعندئذ تمثلنا بقول شاعرنا الكبير حافظ إبراهيم : « صح منى العزم والدهر أبى » . ويهمنى فى هذا المجال أن أنوه بأن الموضوع الرئيسى لمجمعكم الموقر فى مؤتمره السنوى (الثامن والخمسين) فى العام الماضى كان بعنوان :

« تعريب التعليم الجامعى »

والمعروف أن « تعريب الطب والعلوم الطبية » هو فى حقيقته جزء لا يتجزأ من «تعريب التعليم الجامعى » ، فالعنصر الأساسى فى كل منهما يعتمد اعتمادا كبيرا على تعريب « المصطلح العلمى » ، وهو كما ذكرت فى حديث فى العام الماضى أمام هذا المؤتمر الموقر ، هو الركيزة الأساسية لكل مشتغل بالعلوم ، وبالأخص العلوم الحديثة مثل الهندسة الوراثية والبيولوجيا الإشعاعية والفيزيقا النووية والحاسابات الإلكترونية وغيرها ؛ كما ذكرت أيضا أن مشكلة « المصطلحات العلمية » ، هى التى يلجأ إليها ، ويتوارى خلفها ، كل محب للإبقاء على التدريس باللغات الأجنبية فى معاهدنا العلمية ، كما أنهم يقولون أيضا إن تدريس تلك العلوم باللغة العربية سوف يهبط بالمادة العلمية إلى ما دون المستوى المطلوب ، وهو قول لا يستند إلى الحقيقة أو المنطق ، فليس هناك فى جميع أنحاء العالم من يقومون

بالتدريس فى معاهدهم العلمية بغير لغتهم القومية ، ومع ذلك لم يتخفض المستوى العلمى عندهم على الإطلاق .

وليس هناك من شك فى أن لغتنا العربية -وهى لغة القرآن الكريم - قادرة تماما على استيعاب المعطيات العلمية الحديثة بكافة أنواعها ، ولا توجد أمامنا من صعوبات سوى نقل المصطلحات العلمية - ترجمة أو تعريبا - إلى اللغة العربية ، وهو على ما أعتقد ما تقوم به مجامع اللغة العربية فى الوطن العربى ، ففى مجمع القاهرة - على سبيل المثال - ترد إلينا تلك المصطلحات العلمية سنويا بالمئات ، وتتلقفها اللجان العلمية بالمجمع، لنقلها إلى اللغة العربية أولا بأول ، ومن تلك اللجان على سبيل المثال :

لجنة العلوم الطبية .

لجنة علوم الأحياء والزراعة .

لجنة الكيمياء والصيدلة .

لجنة الفيزيقا (أو الفيزياء) .

لجنة علوم الأرض (الجيولوجيا) .

لجنة البترول وغيرها .

وقد أصدرت كل من تلك اللجان فى السنوات العشر الأخيرة معجما واحدا أو أكثر ، يشتمل على المصطلحات العلمية التى عالجتها فى خلال تلك السنوات ، وذلك بإشراف وتشجيع الأستاذ الدكتور إبراهيم بيومى مدكور رئيس المجمع ، وهو الذى لا يسعده شئ أكثر من مشاهدة أحد تلك المعاجم العلمية ، وقد خرج إلى دائرة الضوء ، وأصبح شائع الاستعمال فى مختلف الأوساط العلمية العربية .

سيادة الرئيس :

أنتقل الآن إلى موضوع المصطلحات العلمية :

المصطلحات العلمية :

إن حجر الزاوية فى إصدار المعاجم العلمية العربية ، فى مختلف المواد المتداولة بصفة عامة ، هو التعرف على مشكلة « المصطلحات العلمية » ، وتقديم الحلول

العلمية ، لإيجاد ما يقابلها من ألفاظ عربية سليمة ، عن طريق الترجمة أو التعريب .

إن تلك المصطلحات البراقة ، ذات الرنين المرتفع ، لا تخرج فى مضمونها عن بعض المقاطع التى اشتقت من اللغة الإغريقية أو اللغة اللاتينية أو منهما معا ، وهذا هو ما درج عليه العلماء والباحثون منذ قديم الزمان . إن معرفةً قليلة بخفايا هاتين اللغتين تجعل من الأمور الهينة على أى باحث علمى ، لديه الرغبة الصادقة فى اجتياز عقبة المصطلحات العلمية ، تجعله قادرا تماما على اجتياز تلك العقبة بدقة كاملة . ونجاح كبير ، وهاك بعض الأمثلة :

أولاً – مصطلحات علمية مشتقة من اللغة اللاتينية :

١ – العضلة ذات الرأسين **Biceps m.**

مشتقة من **Bis** = مزدوج و **Caput** = رأس

(وهو نموذج للترجمة) .

٢ – غربالى الشكل **Cribriform**

مشتق من **Cribrum** = غربال

و **Forma** = شكل

(نموذج آخر للترجمة) .

ثانيا – مصطلحات علمية مشتقة من اللغة الإغريقية :

١ – خيشوم كاذب **Pseudobranch**

مشتق من **Pseudes** = كاذب

و **Branchia** = خيشوم

(وهو نموذج للترجمة) .

٢ – إكتودرم **Ectoderm**

مشتق من **Ektos** = خارجى

و **Derma** = جلد

(نموذج للتعريب) .

٣ – إندودرم **Endoderm**

مشتق من **Endon** = داخلى

و **Derma** = جلد

(نموذج آخر للتعريب)

٤ - أسماك غضروفية

Chondrichthes

مشتق من **Chondros** = غضروف

و **Ichthyes** = سمك .

(نموذج للترجمة) .

ثالثا - مصطلحات علمية أحد شقيها لاتيني والشق الثاني إغريقي :

١ - الجهاز البولي التناسلي

Urogenital s.

مشتق من **Ouron (g)** = بول

و **Genitalis (L)** = تناسلي .

(نموذج للترجمة) .

٢ - مُدْمَجْ العجز (عصعص)

Synsacrum

مشتق من **Syn (g)** = ملتحم

و **Sacer (L)** = عظم العجز .

(نموذج آخر للترجمة) .

٣ - المشط اليدوي **Metacarpus**

مشتق من **Meta (g)** = بعد

و **Carpus (L)** = رسغ

(نموذج من الترجمة ، الترجمة أصلا ما بعد الرسغ) .

٤ - كريات ليمفية **Lymphocytes**

مشتق من **Lympha (L)** ليمفا

و **Kytos (g)** = كرية (نموذج للترجمة والتعريب معا في نفس المصطلح) .

٥ - الليمف الداخلي **Endolymph**

مشتق من **Endon (g)** = داخلي

و **Lympha (L)** = ماء أو سائل .

(نموذج للترجمة والتعريب معا في نفس المصطلح) .

★ ★ ★ ★ ★

أسماء العلماء :

إلى جانب الآلاف المؤلفة من مثل تلك المصطلحات العلمية التي تم نقلها إلى اللغة العربية « ترجمة أو تعريباً » ، يستطيع الباحث في كتب التشريح البشري أو التشريح المقارن العثور على تسميات أخرى كثيرة العدد ، أطلقت على بعض أجزاء الجسم ، أو أنسجته المختلفة ، وترجع تلك التسميات إلى أسماء العلماء أو الباحثين الذين عثروا عليها ، أو قاموا بوصفها لأول مرة . ومن ذلك على سبيل المثال :

١ - قناة كوفييه (Cuvierian duct)

وهى قناة وريدية تنتج عن إتصال الوريد الرئيسى الأمامى والوريد الرئيسى الخلفى ، وتمتد عرضيا لتصب فى الجيب الوريدى فى الأسماك والفقاريات الدنيا ، وقد تحورت تلك القناة المهمة إلى أجزاء وريدية أخرى فى الفقاريات العليا لا داعى للدخول فى تفصيلاتها فى هذا المجال .

وقد سميت نسبة إلى عالم التشريح الفرنسى (Cuvier) .

٢ - جسم ملبيجى

(Malpighian body)

وهى الوحدة الأساسية التى يتركب منها نسيج الكلية فى الإنسان وجميع الفقاريات الأخرى ، وهى تتكون من شبكة دقيقة من الشعيرات الدموية تحيط بها حوصلة رقيقة مزدوجة الجدار .

وقد سميت نسبة إلى عالم التشريح الإيطالى (Malpighi) .

٣ - محفظة بومان

(Bowman's capsule)

وهو الاسم الذى يطلق على الحوصلة مزدوجة الجدار السابق ذكرها ، الجدار الداخلى يلتصق بجسم ملبيجى ، والخارجى يبعد عنه قليلا ، وفى التجويف الفاصل بينهما تتدفق الإخراجات السائلة التى تتجمع من الكلية عن طريق جسم ملبيجى .

وقد سميت تلك المحفظة نسبة إلى عالم التشريح البريطانى (**Bowman**) .

٤ - غدد ليبركون

(Lieherkùhn glands)

وهى غدد دقيقة غاية فى الأهمية فى عمليات هضم الغذاء ، وتوجد بين خملات الأمعاء الدقيقة للثدييات .

وقد سميت نسبة إلى عالم التشريح الألمانى (**Lieberkühn**) .

٥ - قناة برتولين (Bartolin's duct) .

وهى قناة الغدة اللعابية تحت اللسانية .

وقد سميت نسبة إلى عالم التشريح الداغركى (Bartolin) .

٦ - الحركة البراونية

(Browniam's movement)

وهى التى تطلق على اهتزاز الجسيمات الدقيقة الموجودة فى داخل البروتوبلازم ، وسميت كذلك نسبة إلى عالم النبات البريطانى (Brown)

٧ - قناة استاكتيوس

(Eustachian tube)

قناة تمتد بين البلعوم وتجويف الأذن الوسطى ، وهى ذات أهمية قصوى فى جعل الضغط على جانبى طبلة الأذن متساويا من الناحيتين ، ومساويا للضغط الجوى ، وبذلك تتمكن الطبلة من حرية الاهتزاز ، ونقل التموجات الصوتية إلى الأذن الداخلية ، فيستطيع الإنسان إدراكها والتعرف على مدلولاتها .

وقد سميت نسبة إلى الطبيب الإيطالى (Eustachio)

٨ - كريات باسينى

(Pacinian corpuscles)

وهى كريات بيضاء اللون ، بيضاوية الشكل ، تستقر فى الجزء الداخلى من أدمة الجلد ، وظيفتها الإحساس بالشد والضغط ، وهى كبيرة الحجم نسبيا (أى بمقارنتها بالمستقبلات الحسية الأخرى) كما تحيط بها حوصلة سميكة مميزة .

وقد سميت نسبة إلى العالم الإيطالى (Pacini)

٩ - فانوس أرسطو

(Aristitle's lantern)

وهو مصطلح علمى قديم يطلق على جهاز الأسنان فى قنافذ البحر ، وهو يشبه فى شكله العام الفانوس العادى ، الذى كان يستخدم منذ قديم الزمان فى عمليات الإضاءة وكان أول مكتشف لهذا التركيب التشريحى هو الفليسوف الإغريقى أرسطو أو أرسطوطا ليس (Aristotie) .

فإذا انتقلنا بعد ذلك من تسميات الأعضاء والأنسجة التشريحية إلى تسميات الأمراض ، لوجدنا أن هناك فيضاً من المصطلحات العلمية التى أطلقت نسبة إلى بعض العلماء النابهين ، الذى أفنوا فترات غير وجيزة من حياتهم فى البحث والتنقيب لكشف أسرار تلك الأمراض ، وتخليص البشرية من آثارها المدمرة ، وهاك بعض الأمثلة :

١ - مرض البلهارسيا :

ولعل « مرض البلهارسيا » هو أشهر الأمراض البشرية وأكثرها إنتشاراً فى منطقتنا العربية ، وترجع تسميته بهذا الاسم إلى عالم الطفيليات الألمانى «تيودور بلهارس » (**Theodor Bilharz**) وكان قد حضر إلى مصر عام ١٨٥٠ ليعمل مدرسا للطفيليات فى مستشفى قصر العينى ، وقد هاله تماماً كثرة المرضى الذين يفدون إلى هذا المستشفى للعلاج ، كما هاله أيضا الضعف والهزال الشديدين ، الواضحين على جميع المرضى ، وكان السبب فى حدوث هذ المرض - الذى كان يعرف حينئذ بمرض البول الدموى - غير معروف على الإطلاق ، ولم يمض على وجوده فى مصر سوى عام واحد حتى اكتشف (عام ١٨٦١) إحدى الديدان الدقيقة فى الوريد الكبدى البابى ، لمريض توفى فى المستشفى نتيجة لهذا المرض . وقد أطلق بلهارس على تلك الدودة اسم **(Distomum)** وأعاد عالم آخر دراستها (عام ١٨٥٨) ، وأطلق عليها اسم **Bilharzia** تخليدا لذكرى « بلهارس » إذ كان اكتشافه هذا فتحا جديداً فى دراسة الطفيليات وطب المناطق الحارة على حد سواء .

٢ - مرض أديسون

(Addison's disease)

وقد وصف هذا المرض لأول مرة الطبيب البريطانى « أديسون » عام ١٨٤٩ ، ولا يزال يعرف إلى يومنا هذا باسم «مرض أديسون » . وقد نشر عنه بعد ذلك بحثا مستفيضا ، غاية فى الدقة والإتقان ، مما جعل الباحثين بعد ذلك لا يضيفون إليه سوى النذر اليسير ، ومن أهم مميزات هذا المرض الضعف العام ، وانخفاض ضغط

الدم ، وتلوين الجلد ، والاضطرابات الهضمية ، وهو ينشأ نتيجة لضعف غدة الكظر ، وقلة إفرازاتها الهرمونية . ويعتبر تلوين الجلد من أهم الأعراض وأكثرها وضوحا ، فيكتسى الجسم كله بلون بنى داكن ، وبالأخص فى الحالات الحادة .

٣ - مرض جرافز (Graves disease)

وهو أيضا من الأمراض الهرمونية ، وينشأ من زيادة إفراز الغدة الدرقية ، ويصيب السيدات أكثر مما يصيب الرجال ، ومن أهم مميزاته جحوظ العين ، كما يتعرض المرضى لكثير من اضطرابات الدورة الدموية ، وخفقان القلب ، واحتقان الدم فى مختلف أجزاء الجسم ، كما يكون هناك تضخم واضح فى الغدة الدرقية ، وقد سمى هذا المرض نسبة إلى الطبيب البريطانى (Graves)

٤ - مرض البرى برى (Beri beri) :

ولا يقتصر اسم المرض على الباحث الذى يميط عنه اللثام ، ويقدمه إلى العالم العلمى ، بل يمتد أحيانا إلى الكلمات المحلية البسيطة ، التى يستخدمها الأهالى للدلالة على هذا المرض ، ومنها على سبيل المثال كلمة « برى برى » التى شقت طريقها إلى قاموس المصطلحات العلمية ، وذلك لأن هذا المرض شائع الانتشار فى جنوب شرقى آسيا ، وبالأخص فى الهند والصين وجزر الهند الشرقية والفلبين وشبه جزيرة الملايو وغيرها ، وهو من الأمراض الفيتامينية ، وينتج عن نقص «فيتامين ب » من الغذاء .

٥ - الأسقربوط (Scurvy's disease) :

ويطلق عليه أيضا اسم «مرض الحفر»، وهو أيضا من الأمراض الفيتامينية ، إذ ترجع الإصابة به إلى نقص فيتامين ج من الطعام ، ومن خواص هذا الفيتامين أنه يتحلل سريعا بفعل الحرارة ، ولذلك فإن الاعتماد على المعلبات اعتمادا كاملا فى غذاء الإنسان ، يؤدى إلى الإصابة بمرض الأسقربوط ، وهذا هو السبب الذى كان من أجله الكثير من بحارة السفن يصابون

به ، نظرا لبقائهم فترة طويلة من الزمن على ظهور السفن ، دون تناول طعام طازج . وكلمة (Scurvy) قد تم تعريبها إلى أسقربوط .

وإذا انتقلنا بعد ذلك من الإنسان إلى عالم الفقاريات الأخرى ، لوجدنا أن هناك طرقا عديدة لإطلاق الأسماء العلمية على مختلف الأنواع ، ولكل من تلك الطرق مدلولات محددة ، نذكر البعض منها فيما يلى :

١ - السلوك :

كثيرا ما يكون لسلوك الحيوان وطبائعه ما يلفت الأنظار ، ولذلك لم يتوان علماء الحيوان - وبالأخص علماء الطيور - من الاستفادة من تلك الظاهرة عند التسمية ، ومن أمثلة ذلك :

اللواء (Wryneck) :

وسمى كذلك ، لأن من عادته أن يلوى رقبته جانبيا مرات متتالية .

الأطيش (Booby = silly) :

وهو يهبط على سطح السفن لالتقاط ما يصادفه من طعام ، ولا يغادر مكانه حتى يمسك به البحارة .

البستانى الأسمر :

(Brown gardner)

طائر استرالى ، يجمع الزهور من النباتات البرية ويزين بها عشه فى موسم التكاثر .

نقار الخشب (Woodpecker) :

من عادته نقر جذوع الأشجار ، له منقار صلب مدبب يثقب به تلك الأشجار ، لالتقاط الحشرات المختبأة فى داخلها والتهامها .

٢ - الطعام :

هناك حيوانات كثيرة تعتمد فى غذائها أساسا على نوع واحد من الطعام ، من أشهرها :

الثعبان آكل البيض :

(Egg - eating snake)

ثعبان إفريقى يتسلق الأشجار بحثا عن أعشاش الطيور ، ولا يتناول أى طعام آخر غير ذلك إطلاقا .

حوام النحل (Honey buzzard) :

نوع من الصقور يحوم حول خلايا النحل البرى ، ويتخذ من النحل والعسل الموجود فى داخل الخلايا طعاما له ، يسترشد به أهالى المناطق الاستوائية فى العثور على خلايا النحل البرى .

آكل المحار (Oyster - Catcher) :

نوع آخر من الطيور يلتقط المحارات من البحر ، ثم يطير بها إلى ارتفاعات شاهقة ، ويسقطها على صخور الشاطىء فتتهشم صدفتها الخارجية ، ثم يهبط عليها ليتغذى على اللحم اللين الموجود بداخلها.

٣ - اللون :

يعتبر اللون من العلامات المميزة فى علميات التصنيف ، وبالأخص فى تصنيف الطيور ، وقد يكون اللون العام للجسم كله ، أو لون جزء معين من الجسم .

البجع الأبيض (White Pelikan) :

وهناك أيضا البجع الرمادى .

الحدأة السوداء : (Black Kite) ،

وهناك أيضا الحدأة الحمراء .

البلشون الأرجوانى (Rurple heron)

(وهناك أيضا البلشون الرمادى .

الأوز أحمر الصدر :

(Red - breasted goose)

البط أبيض الوجه :

(white - faced duck)

الغرة : بطة لها بقعة بيضاء على الجبين (Coot) .

٤ - الموطن :

كثيرا ما يكون الموطن الذى يعيش فيه الحيوان ويتكاثر من السمات الأساسية ، التى يأخذها علماء التصنيف فى الاعتبار عند التسمية ، أمثلة :

النسر المصرى (Egyptian Vulture) :

البجع البلقانى :

(Dalmatian pelikan)

الشحرور الشامى :

(Syrian blackbird)

الكروان السنجال :

(Senesm stene - Carlaw)

التمساح النيلى :

(Nile Crocodile)

تمساح المسيسبى :

(Alligator missisipiensis)

سيادة الرئيس :

تلك بعض اللمحات التى جالت بخاطرى عند قراءة عنوان مؤتمرنا الحالى . أثبتها هنا لتكون دليلا واضحا ، على إمكانية التغلب على مشكلة المصطلحات العلمية ، التى يعتبرها البعض منا من العقبات الكؤود ، وهى ليست كذلك على الإطلاق . فإذا كانت لدينا الرغبة الصادقة ، والعزم الصحيح ، فلن يقف فى طريقنا عائق ، ولتكن القدوة لدينا متمثلة فى أسلافنا من العرب الأوائل ، الذين لم يتركوا ميدانا واحدا من ميادين العلم والمعرفة ، دون أن يلجوه ، فى قوة وصبر وثبات ، فلغتنا العربية قادرة ، والحمد لله ، على تخطى كافة العقبات ، ولنتمثل فى هذا المجال بقول شاعرنا الكبير حافظ إبراهيم ، عندما وصفها بأنها : « البحر فى أحشائه الدر كامن » ، ولنسر فى طريقنا نحو إثراء تلك اللغة ، بكل متطلبات الحياة العصرية، من المصطلحات العلمية المبتكرة، إما عن طريق التعريب أو الترجمة ، إذ ليس أمامنا طريق آخر على ما أعتقد ، والله ولى التوفيق .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

محمد رشاد الطوبى

عضو المجمع

منهج أبى ذر الخشنى فى تفسير غريب السيرة (*)

للدكتور عبد الكريم خليفة

كانت سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فيما يروى عن نسبه وأخباره قبل البعث وبعده ، تكوّن جزءا مهما مما عنى المحدِّثون بروايته . وما لبث هذا الموضوع المهم أن استقل فى مؤلفات خاصة . . . . وتوالى المصنفون فى هذه السيرة العطرة فى سلاسل متوالية من الطبقات حتى نجد أنفسنا أمام محمد بن إسحاق بن يسار (المتوفى سنة ١٥٠هـ) ، عمدة من أتى بعده فى أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم ومغازيه .

وقد روى أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميرى المعافرى (المتوفى سنة ٢١٨ هـ) سيرة ابن إسحاق عن زياد ابن عبد الله البَكَّائى (المتوفى سنة١٨٣هـ)، وأصبحت تعرف باسم «سيرة ابن هشام» .

وفى القرن السادس الهجرى تناول الإمام أبو القاسم عبد الرحمن السهيلى المالكى الأندلسى (المتوفى سنة ٥٨١هـ)، سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فتعقَّب ابن اسحاق وابن هشام ، فيما أخبرا بالتحرير والضبط ، وبالشرح والاستدراك عليهما ، فوضع كتابه الموسوم « الروض الأنف » ، ونهج فى تصنيفه هذا منهجا موسوعيا ، فجاء كتابه هذا كتابا آخر فى السيرة .

وفى هذا القرن نجد الإمام أبا ذر الخشنى أحد أئمة العربية المشهورين فى الأندلس، (المتوفى بمدينة فاس سنة٦٠٤هـ) وهو من معاصرى السهيلى ، يتناول كتاب « سيرة ابن هشام » فيشرح غريبه ، وينهج

(*) ألقى هذا البحث فى الجلسة الثالثة من جلسات المؤتمر يوم الأربعاء ٢٢ من شوّال سنة ١٤١٣ هـ الموافق ١٤ من ابريل سنة ١٩٩٣ م .

فى تصنيفه هذا منهجا لغويا يختلف عن منهج السهيلى .

والخشنى صاحب شرح غريب سيرة ابن هشام هو مصعب بن محمد بن مسعود بن عبد الله بن مسعود الخشنى ، من أهل جيان ، يكنى أبا ذر ، ويعرف بابن أبى رُكَب . والأرجح أن نسبة الخشنى تعود إلى قبيلة خشين القضاعية [(١)]

وقد وصفته المصادر بأنه كان أحد الأئمة المتقدمين ضبطا وتقييدا ، وأحد المعتمد عليهم فى علم اللغة والآداب ، إماما فى العربية ، عالما بكتاب سيبويه . وكان نقَّادا للشعر عالما به ، مطلق العنان فى معرفة أخبار العرب وأيامها وأشعارها ولغاتها .

ومن أهم مصنفات أبى ذر الخشنى كتابه الموسوم : « الإملاء المختصر فى شرح غريب السير » وهو فى حقيقة الأمر شرح غريب السيرة التى صنفها ابن هشام

ولا شك أن هذا هو الدافع الذى جعل السيوطى ، وهو متأخر،يذكره فى كتابه البغية بقوله : « من تصانيفه (أى الخشنى) الإملاء على سيرة ابن هشام » [(٢)] .

وضع الخشنى مصنفه هذا فى عشرين جزءا ، وذكر أنه روى له كتاب سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبد الملك بن هشام عن زياد بن عبد الله عن محمد بن إسحاق . ومن الواضح أن هذا المصنف كان ثمرة مجلسه للإقراء والتدريس فقد جاء فى مقدمة الكتاب ما يوضح الغاية من وضع هذا الكتاب ، ويحدد السمات الأساسية لهذا المنهج اللغوى الذى نحا به نحوا يخالف منهج معاصره السهيلى فى كتابه « الروض الأنف». يقول أبو ذر الخشنى فى مقدمته:«وبعد ، فهذا إملاء أمليته من حفظى بلفظى على كتاب سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، التى

(١) فى ترجمة حياة أبى ذر الخشنى ، أنظر : مقدمة كتابنا « الإملاء المختصر فى شرح غريب السير » ص ١١ - ٣٦ .

(٢) البغية ج ٢ ص ٢٨٨ .

تقدم محمد بن إسحاق إلى جمعها وتلخيصها ، وعنى عبد الملك بن هشام بعده بتهذيبها وتخليصها ، أوَانَ سُمع هذا الكتاب مني وقيدت رواياته بطرقها عنى ، قصدت فيه شرح ما استبهم من غريبه ومعانيه ، وإيضاح ما التبس تفسيره على حامله وراويه مع اختصار لا يُخل وإيجاز يتمُّ به البيان ويستقل ، لم يُقصد فيه قصد التأليف فتمد أطنابه ، ولا يُنحى به نحو التصنيف فتمهد فصوله وأبوابه ، وإنما هى عجالة الخاطر وغنية الناظر ، ثم عُرِض علىّ هذا الإملاء بعد كماله فتصفحته ، ورُغب فى حمله عنى ، فبعد لأى ما أذنت فى ذلك وأبحته ، والله سبحانه ينفعنا بما قصدنا ، ويجزل ثوابنا على ما ابتغيناه وتوخيناه . . إلخ » [1] .

ففى هذه المقدمة المقتضبة ، حدد الخشنى طبيعة وضع هذا العمل اللغوى ، وبين أهدافه وأشار إلى معالم المنهج الذى اتبعه . فهو إملاء على كتاب « سيرة ابن هشام » ، سُمع منه وقيدت رواياته بطرقها عنه إبان تصدره للتدريس . فمن المعروف أنه كان يقرىء العربية فى أهم مراكز الإشعاع الثقافى والعلمى فى ذلك الوقت فى الأندلس والمغرب . فتحدثنا الروايات أنه كان يقرىء العربية بمسجد ابن الرمَّاك بأشبيلية ، وكذلك بجيَّان وغيرها من المدن التى أحبها ، إلى أن استوطن بأخَرة مدينة فاس وأقام بها يقرىء العربية [2] .

وتسترعى انتباهنا فى هذه المقدمة قضايا عدة تستحق الوقوف عندها والتأمل فيها . فهو « إملاء من حفظه بلفظه أملاه على طلبته أوَانَ سُمع هذا الكتاب منه ، وقيدت رواياته بطرقها عنه وإن كان مع الأسف لم يحدد لنا زمان سماعه منه ولا المكان الذى أملاه فيه .

وأوضح كذلك الهدف الذى توخاه من وضع هذا الكتاب إذ يقول : « قصدت فيه شرح ما استبهم من غريبه ومعانيه » ، فلا بد من أن نحدِّد مفهوم « الغريب » عند

(١) الإملاء المختصر ، ج١ ص ٧٢

(٢) انظر : تكملة الصلة ، السفر الأول ، ص ٣٨٦

أبى ذر ، وأن نبين منهجه فى « شرح ما استبهم من المعانى » ففى ذلك يتجاوز شرح الغريب من الألفاظ إلى الحديث عن « معنى المعنى » ، فيما استبهم مر المعانى . . و « فيما التبس تفسيره على حامله وراويه » . . وأن أسلوبه فى ذلك كله هو الاختصار الذى لا يُخل والإيجاز الذى يتم به البيان ويستقل . . وإن قوله فى وصف منهجه « لم يُقصد فيه قصد التأليف فتمد أطنابه ، ولا ينحى به نحو التصنيف فتمهد فصوله وأبوابه » ، ليَضع على عاتق الدارس البحث عن السمات المعجمية التى تَمَيَّز بها منهج الخشنى فى شرحه لما استبهم من غريب الكتاب ومعانيه . . وإن كان أجمل القصد من ذلك كله عندما وصف مبادرته هذه بقوله : « وإنما هى عجالة الخاطر وغنية الناظر » .

لقد نهج أبو ذر الخشنى فى كتابه هذا منهجاً لغوياً خاصاً تظهر فيه كثير من سمات المنهج المعجمى ، وهو فى الوقت ذاته يبتعد من حيث الغاية والأسلوب عن كونه كتابا فى السيرة .

كان الخشنى كما وصفه ابن سعيد من عظماء نحاة الأندلس ، وقد تصدَّى لتدريس كتاب سيبويه . ومن مصنفاته الشهيرة : مصنف كبير فى شرح سيبويه ، وكتاب « شرح الإيضاح » وكتاب « شرح الجمل » [1] وكان على حد تعبير ابن الأبار « رئيساً فى صناعة العربية ، عالماً بها ، قائماً عليها ، درسها حياته كلها » [2]

وإن لغوياً هذا شأنه ، لابد أن يكون على صلة وثيقة بالمناهج المعجمية العربية التى تطورت تطوراً واسعاً منذ الخليل بن أحمد فى القرن الثانى الهجرى حتى وفاة أبى ذر الخشنى فى أوائل القرن السابع الهجرى ، ومن أقصى المشرق فى «فاراب» وخراسان إلى الأندلس ، مروراً بالعراق والشام ومصر . . ومن أشهر هذه المعجمات : كتاب العين للخليل بن أحمد

(١) انظر : سير أعلام النبلاء ، ج ٢١ ص ٤٧٧ .
(٢) انظر : تكملة الصلة ، السفر الأول ، ص ٣٨٥-٣٨٦ .

(المتوفى سنة ١٧٠هـ) والتهذيب للأزهرى. (المتوفى سنة ٣٧٠ هـ) . والصحاح للجوهرى .(المتوفى سنة٣٩٣هـ) والمحكم لابن سيده . (المتوفى سنة ٤٥١ هـ) والأمالى لابن برى (المتوفى سنة ٤٥١ هـ) والنهاية فى غريب الحديث لابن الأثير (المتوفى سنة ٦٠٦ هـ) . وإذا تذكرنا أن الخشنى توفى سنة ٦٠٤ هـ ، بدا لنا واضحاً ، مكانة هذه المعجمات فى تكوين المنهج المعجمى بصورة عامة ، ومنهج أبى ذر الخشنى فى تفسير غريب السيرة . وربما كان من الأهمية بمكان طرح التساؤل حول مدى العلاقة بين « النهاية فى غريب الحديث » لابن الأثير بصورة خاصة وشرح غريب السيرة للخشنى . وإذا استثنينا كتاب « العين » ، نجد أن المعجمات الخمسة الأخرى هى المصادر التى اعتمدها ابن منظورفى القرن الثامن الهجرى ، فى وضع معجمه المشهور « لسان العرب » . ولا شك أن اختيار ابن منظور هذه المعجمات بالذات له دلالات منهجية ولغوية وثقافية واجتماعية لا يتسع المقام لبحثها . ونحن إذا نظرنا إلى جميع هذه المعاجم والمصنفات الأخرى التى عنيت بجمع ألفاظ القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف وكذلك الألفاظ الاصطلاحية وشرحها وتفسيرها ، إنما تنحو جميعها منحى معيناً فى دراسة معانى الألفاظ .

وربما كانت أبرز ظاهرة تميز المنهج اللغوى الذى سلكه أبو ذر الخشنى فى شرحه غريب السيرة ، حرصه على تفسير الألفاظ بحسب السياق ومن خلال النصوص . فهو يبحث عن استيعاب المعنى من خلال الدلالة التى تحملها اللفظة فى سياق الكلام ، سواء أكان ذلك من خلال سياق المقال أم من خلال سياق المقام . فقد يكون للفظة الواحدة معان متعددة تتناوب فى الظهور بحسب سياق الكلام وإيحاءاته وما يضفيه من ظلال على المعنى .

فالخشنى يورد العبارة التى تشتمل على اللفظة التى يريد شرحها ، وغالباً ما يبدأها بكلمة « وقوله » وهذا منهج عام يطَّرد فى هذا الكتاب الجليل ، ونمثل على ذلك بما يلى : قوله : « مِنْ ظُلُمَهْ يعنى من جهة البحر » (ج١ ص ٧٧) .

فالخشنى يرى أن معنى « ظُلُمَهْ » في هذا المقام هو « أنه من جهة البحر » وهو بحسب رأيه ما عناه القائل ، ولم يعرض الخشنى المعانى المعجمية لهذه اللفظة.

وكذلك قوله « إنَّها حَرْبٌ رَباعيَّة . أراد إنها حَرْب فتية . فاستعار لها سِنّ الرَّباعيَّة» (ج١ ص ٧٩) .

واستدل الخشنى على هذا المعنى من السياق ، فقال : « كما قال : الحربُ أوَّلَ ما تكون فتيةً تسعَى بسيرتها لكلِّ جَهُول » .

وقوله : « وأبدانها جمع بَدَنٍ وهى الدِّرع هنا » .

فكلمة « بدن » تدل على معان مختلفة، ولكن الخشنى يرى أنها فى هذا السياق تعنى . . الدِّرع » وقد نص على ذلك بقوله : « هنا » .

وقوله : « ذات الرؤوس السبعة ، يعنى بالرؤوس هنا القرون التى على رأسها» . (ج١ ص ٨٣) .

فكلمة « الرؤوس » تدل على معان مختلفة ، ولكن الخشنى يرى أنها فى هذا السياق تعنى « القرون » ، وقد درج على استعمال كلمة « هنا » لتدل على معنى خاص فى هذا السياق .

وقوله : « وأسطوان جمعُ أُسطوانة وهى السارية ، وأراد بها ها هنا موضع الراهب المرتفع » (ج١ ص ٨٥) .

أورد الخشنى لفظة « أسطوان » فى صيغة الجمع وذكر مفردها ، ووضع معناها اللغوى ، ثم وضع معناها المقصود فى سياق الكلام ، فقال : وأراد بها ها هنا « موضع الراهب المرتفع » .

وقوله : « الوِتْر هنا طلب الثأر » (ج١ ص ٨٨) .

فالخشنى يرى أن « الوِتْر » فى هذا المقام يعنى طلب الثأر .

وقوله « والحاصب هنا الحجارة » (ج١ ص ٩٤) .

ويستعمل الخشنى للإشارة إلى ما يقتضيه سياق الكلام من معنى ألفاظاً مثل : « هنا » و « ها هنا » و « يعنى »

و« يعنى به » و « يريد » والأمثلة على ذلك كثيرة ومطردة فى جميع أجزاء الكتاب . . . ومنها :

« السافى هنا الذى غطّاه التراب . يقال : سَفَت الريحُ التراب (ج١ ص ٩٥) أورد الخشنى المعنى السياقى ، ثم ذكر المعنى اللغوى من خلال المثال الذى أورده إذ إن اسم الفاعل من الفعل الثلاثى «سفى» هو « سافى » ، ولكن المعنى السياقى جاء على غير ذلك .

وقد يستعمل الخشنى فى تفسيره المعنى السياقى كلمة « يعنى » كما ذكرنا ، ومثال ذلك : « وبنو الأحرار يعنى الفرس » (ج١ ص ٩٩) .

« وَشُدُفُ عِظامُ الأشخاص يعنى به القِسى » (ج١ ص ٩٩) .

فقد أورد المعنى اللغوى ثم أورد المعنى السياقى الذى يقتضيه المقام .

وقوله : « والزَّمْخَر القَصَبُ اليابس يعنى قَصَبَ النُّشَّاب » (ج١ ص ٩٩).

وقوله : « الإسبال إرخاء الثوب ، وهنا يريد به الخيلاء والإعجاب » (ج١ ص ٩٩) .

فقد شرح الخشنى معنى « الإسبال » فى اللغة ، وشرح معناها فى سياق الكلام، وهذا ما عبَّر عنه فى مقدمته فى حديثه عن قصده من وضع هذا الشرح بما أسماه « غنية الناظر » .

وقد يستعمل الخشنى لفظة « يريد » فى الإشارة إلى المعنى السياقى أو المعنى الذى يقتضيه المقام ومن ذلك :

قوله : « وُلاةُ مُلك » يريد « الذين يدبِّرون أمر الناس ويصلحونه » والأمثلة على ذلك كثيرة ومطردة ومنها :

قوله : « وتوالبها جمعُ تَوْلب . والتَّوْلَبُ ولد الحمار ، فجعله هنا للبغال » (ج١ ص ١٠٠)

وقوله : « يَرِيشُ الله فى الدنيا ويَبْرِى» يريد أن « الله تعالى ينفع ، وهذا الصنم لا ينفع » (ج١ ص ١٠٤)

وقوله : « فلا وَرَبِّ الآمنات القُطَّن ، يعنى حمام مكة ، والقُطَّن المقيمات . يقال قَطَن بالمكان إذا أقام فيه » .

فقد أورد الخشنى المعنى وفق سياق الكلام ، ثم أورد المعنى اللغوى ، وهكذا يستمر الخشنى فى هذا المنهج اللغوى فى تفسيره غريب السيرة ، ألفاظا ومعانى .

ولا شك أن الخشنى لم يكن مبتدعاً لهذا المنهج اللغوى ، ولكنه نحا فيه منحًى معجميًا مد ظلاله بصورة رئيسية على القصائد والمقطوعات التى وردت فى السيرة . . وأخذ تفسيرُ الألفاظ بحسب السياق طابعًا علميًا واضحا .

فهذا الراغب الأصفهانى ، وهو من أوائل القرن الخامس الهجرى ، يحدثنا عن العلوم اللفظية ، فيقول : « وذكرت أن أول ما يُحتاج أن يُشتغل به من علوم القرآن العلومُ اللفظية ، ومن العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة ، فتَحَصَّلُ معانى مفردات ألفاظ القرآن ، فى كونه من أوائل المُعاون لمن يريد أن يدرك معانيه . . . وليس ذلك نافعا فى علم القرآن فقط ، بل هو نافع فى كل علم من علوم الشرع . فألفاظ القرآن هى لُبُّ كلام العرب وزبدته وواسطته وكرائمه . . »[1] .

وقد أشار الزَّركشى فى كتابه البرهان إلى عناية الرَّاغب فى فهم مفردات الألفاظ ومدلولاتها واستعمالها بحسب السياق ، وذلك فى أثناء حديثه عن القِسْم من القرآن الكريم الذى لم يَرِد فى تفسيره النقلُ عمَّن يُعتبر تفسيرُه . . يقول الزركشى :

« . . . . الثانى ما لم يرد فيه نقل عن المفسرين ، وهو قليل ، وطريق التوصل إلى فهمه ، النظر إلى مفردات الألفاظ من لغة العرب ومدلولاتها واستعمالها بحسب السياق ، وهذا يعتنى به الراغب كثيرا فى كتاب « المفردات » . فيذكر قيدا زائدا على أهل اللغة فى تفسير مدلول اللفظ لأنه اقتنصه من السياق »[2] . ويستدل الطَّبْرسى ، وهو من أكابر علماء الإمامية فى القرن السادس الهجرى (المتوفى سنة ٥٤٨ هـ) على أن معنى «الدين » فى الآية الكريمة

---

(١) الراغب الأصفهانى ، ص ٣ .

(٢) الزركشى ، ج٢ ص ١٧٢ .

هو « الجزاء » . وذلك من خلال قوله تعالى « اَلْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لاَ ظُلْمَ اَلْيَوْمَ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ اَلْحِسَابِ »[١] .

وقوله تعالى : لاَ تَعْتَذِرُوا اَلْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ »[٢] .

يقول الطبرسى : « الدِّين » معناه فى الآية الجزاء . قال الشاعر : (واعلم بأنك ما تدين تدان) ، وهو قول سعيد بن جبير وقتادة ، وقيل الدين الحساب ، وهو المرويُّ عن أبى جعفر محمد بن على الباقر عليهما السلام وابن عباس ، والدين الطاعة .

قال عمرو بن كلثوم :

وأيَّامٍ لنا غُرّ طوالٍ

عَصَيْنا المَلْكَ فيها أن ندينا

والدِّين العادة ، قال الشاعر :

تقول إذا دَرَأْتُ لها وَضِينى

أهـذا دينُه أبداً ودينى .

والدِّين القهر والاستعلاء . قال الأعشى :

هو دَانَ الرِّبَابَ اذ كرهوا الدِّ

ينَ دِراكاً بَغَزْوَةٍ وصِيالِ

ثم دانت بَعْدُ الرِّبابُ وكانَتْ

كَعَذابٍ عقوبةُ الأقوالِ

ويدل على أن المراد الجزاء والحساب ، قوله تعالى : « اليوم تُجْزى كلُّ نفس بما كسبت » . وقوله تعالى : « اليوم إنما تُجزون ما كنتم تعملون »[٣] .

وفى تفسيره « النعمة » من سورة الفاتحة يقول الطبرسى : وأصل النعمة المبالغة والزيادة ، يقال دققت الدواء فأنعمتُ دقَّه أى بالغتُ فى دقه ، وهذه النعمة وإن لم تكن مذكورة فى اللفظ فالكلام يدل عليها .. الخ »[٤] .

فقد استدل على معنى هذه اللفظة بسياق الكلام الذى يدل على المعنى المراد .

---

(١) سورة غافر ، آية رقم (١٧) .

(٢) سورة التحريم ، الآية رقم (٧) .

(٣) الطبرسى ، جـ١ ص ٣٠ .

(٤) المصدر نفسه .

واستمر المنهج اللغوى ، وفق سياق الكلام يَمُدُّ ظلاله على البحوث اللغوية والفقهية. ويعرض الفقيه الفيلسوف ابن رشد (٥٢٠-٥٩٥هـ) إلى هذه الظاهرة اللغوية، ويطلق عليها « دليل الخطاب » . ففى حديثه عن أصناف الألفاظ التى تتلقى منها الأحكام من السمع ، يقول ابن رشد : «وأما الطريق الرابع ، فهو أن يُفهَم من إيجاب الحكم لشىء ما ، نفيُ ذلك الحكم عمَّا عدا ذلك الشىء ، أو مِنْ نَفْيِ الحكم عن شىء ما ، إيجابُه لما عدا ذلك الشىءَ الذى نُفِيَ عنه وهو الذى يُعرف « بدليل الخطاب » . وهو أصل مختلف فيه ، مثل قوله عليه الصلاة السلام : « فى سائمة الغنم الزكاة » .

فإنَّ قوماً فهموا منه أن لا زكاة فى غير السائمة . وأما القياس الشرعى فهو إلحاق الحكم الواجب لشىء ما بالشرع، بالشىء. المسكوت عنه ، لشَبَهه بالشىء الذى أوجبَ الشرعُ له ذلك الحكم ، أو لعلة جامعة بينهما » [١] .

وأن ما أسماه ابن رشد « دليل الخطاب» ، إنما هو فهم المعنى المراد من خلال دليل ينبِّه عليه سياق الكلام ، وإذا كان ابن رشد استطاع أن يرسم صورة متكاملة لنظريته حول المعانى المتداولة المتأدية من أصناف الألفاظ [٢] ، فإن معاصره من أبناء بلده ، الإمام الخشنى قد جعلها محور منهجه فى تفسيره غريب السيرة .

واستمر هذا المنهج اللغوى الذى أجمل نظريته ابن رشد وأصَّل أركانه الخشنى فى مجالسه العلمية والتعليمية ، يتطور فى دراسة الدلالات اللفظية ، بل ويستعمل اصطلاحات لغوية تشير بصورة واضحة إلى ما أضيف من جديد فى علم المعجمات .

وفى القرن الثامن الهجرى ، نجد استعمال مصطلحات « سياق الكلام » شائعة ، ولا سيما فى مجال علوم القرآن والحديث . يحدد الزركشى وهو من أبناء

(١) ابن رشد ، ج١ ص ٤ .

(٢) انظر : ابن رشد ، ج١ ص ٣ - ٥ .

القرن الثامن الهجرى (المتوفى سنة ٧٩٤هـ) ، معالم القانون الذى يجب أن يعوَّل عليه فى تفسير القرآن الكريم فيقول: «ومعلوم أن تفسيره ، يكون بعضه من قبيل بسط الألفاظ الوجيزة وكشف معانيها ، وبعضه من قبيل ترجيح بعض الاحتمالات على بعض ، لبلاغته ولطف معانيه ، ولهذا لا يُستغنى عن قانون عام يعوَّل فى تفسيره عليه ، ويُرجع فى تفسيره إليه ، من معرفة مفردات ألفاظه ومركباتها وسياقه، وظاهره وباطنه . . . »[١]

وفى حديث الزركشى عن فصاحة القرآن الكريم وبلاغته وبديع صياغته يقول: « إن كان سياق الكلام ترجيةً بسَط وإن كان تخويفا قَبض ، وإن كان وعدًا أبهج ، وإن كان وعيدًا أزْعج . . »

وأورد صاحب كتاب البرهان ، تحت عنوان : « فى ذكر الأمور التى تُعين على المعنى عند الإشكال » قوله : ومما يعين على المعنى عند الإشكال أمور . . الرابع : دلالة السياق ، فإنها ترشد إلى تبيين المجمل والقطع بعدم احتمال غير المراد ، وتخصيص العام . . وتنوع الدلالة ، وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم ، فمن أهمله غلط فى نظيره وغالط فى مناظرته وانظر إلى قوله تعالى « ذق إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ »[٢] كيف تجد سياقه يدل على أنه الذليل الحقير[٣] .

ويشيع الحديث عن « السياق » «ودلالة السياق » « وتنوع الذلالة » فى مواضع كثيرة من كتابه « البرهان فى علوم القرآن » ويفصِّل القول فى التفسير بحسب أفراد الألفاظ وتراكيبها . . ومما له دلالة كبيرة فى بناء معالم هذه النظرية اللغوية ، أن الزركشى قد تحدث فى كتابه المشار إليه عن « معنى المعنى» إلى جانب المصطلحات اللغوية الأخرى ، ففى حديثه عن التفسير بحسب تراكيب الألفاظ ، يقول : « وأما بحسب التراكيب ، فمن وجوه أربعة : الأول : باعتبار كيفية التراكيب بحسب الإعراب ومقابله ، من حيث إنها مؤدية

(١) الزركشي . ج ١ ص١٥ .
(٢) سورة الدخان الآية (٤٩) .
(٣) الزركشي . ج٢ ص ١٩٩ - ٢٠٠ .

أصل المعنى ، وهو ما دلَّ عليه المركب بحسب الوضع وذلك متعلق بعلم النحو .

الثانى : باعتبار كيفية التركيب من جهة « إفادته معنى المعنى » أعنى لازمَ أصل المعنى الذى يختلف باختلاف مقتضى الحال فى تراكيب البلغاء وهو الذى يتكفل بإبراز محاسنه علم المعانى (١) .

وكذلك نجده يتحدث فى هذا الباب عن « طرق تأدية المقصود بحسب وضوح الدّلالة وحقائقها ومراتبها . . . . » ولا شك أن الحديث عن الدلالة يعنى الحديث عن العلاقة بين « الدال » و «المدلول» وقد عنى الخشنى فى منهجه اللغوى الذى اتخذه فى تفسير غريب السيرة إلى جانب الدلالة السياقية بالدلالة النحوية والدلالة الاشتقاقية وكذلك الفروق الدلالية للمشترك اللفظى وللفظة الواحدة التى إذا تغيرت إحدى حركات بنيتها ، تغيَّرت دلالتها . .

ويبدو أن الدراسات حول المعنى المراد من خلال سياق الكلام ، قد اتسع نطاقها فى هذا القرن ، وهى فى كليتها تدور حول علاقة المعجمية بعلم الحديث وأصول الفقه ، وقد أجمل الشاطبى (المتوفى سنة ٧٩٠ هـ) وهو من معاصرى الزركشى ، الحديث عن هذا المنهج اللغوى فى فهم المعانى ، فقال فى كتابه (الموافقات فى أصول الشريعة) : « . . . أن يكون الاعتناء بالمعانى المبثوثة فى الخطاب هو المقصود الأعظم ، بناء على أن العرب ، إنما كانت عنايتها بالمعانى ، وإنما أصلحت الألفاظ من أجلها ، وهذا الأصل معلوم عند أهل العربية . فاللفظ هو وسيلة إلى تحصيل المعنى المراد ، والمعنى هو المقصود ، ولا أيضا كل المعانى ، فإن المعنى الإفرادى قد لا يُعْبَأ به إذا كان المعنى التركيبى مفهوما دونه » (٢) .

ويوضح الشاطبى هذه العلاقة السياقية بين الدال والمدلول فيؤكد البحث عن المعنى المقصود الذى يقوم عليه جوهر الخطاب فيقول : « فاللازم الاعتناء بفهم معنى

(١) الزركشى ، ج٢ ص ١٧٣ - ١٧٤

(٢) الشاطبى ، ج٢ ص ٨٧

الخطاب لأنه المقصود والمراد ، وعليه ينبني الخطاب ابتداءً وكثيرا ما يُغفل هذا النظر بالنسبة للكتاب والسنة فَتُلْتَمَسُ غرائبه ومعانيه على غير الوجه الذى ينبغي ، فتَستَبهِمُ على الملْتمس وَتستَعْجِمُ على من لم يفهم مقاصد العرب [1] .

لقد بينا فيما سبق كيف أن الخشني يحرص فى منهجه المعجمى على إيراد معنى اللفظة حسب سياق الكلام ، سواء أكان ذلك وفق مقتضى المقال أم وفق مقتضى المقام .

وفى مجال « الدلالة النحوية » نورد بعض الأمثلة التالية :

يقول الخشنى : وقول ابن هشام : الأبابيل الجماعات ، ولم تتكلم لها العرب بواحد ، قال النحويون : واحدها فى القياس « إبِّيل و إبُّول » [2]

وقوله : ومطموم من قولهم طمَّ الماءُ وطَمَا إذا علا وارتفع وقول الراجز :

فَصُيِّروا مثل كعصفٍ مأكولِ .

قال : ولهذا البيت تفسير فى النحو ، تفسيره ، أن الكاف زائدة لكونها قد تكون حرفاً ، و « مثل » لا تكون إلا اسماً ، فزيادة الحرف أولى من زيادة الاسم والمراد لزيادتها التأكيد [3] .

وقوله : « لم يؤوبوا أرضهم » أي لم يرجعوا إلى أرضهم يقال آب إلى كذا أى رَجَع إليه ، وكان وجه الكلام أن يقول : إلى أرضهم ، فحذف حرف الجر وأوصل الفعل [4] .

وقد أولى الخشنى الدلالة الاشتقاقية اهتماما فقد يستعرض وجوه الاشتقاق ثم يعطى المشهور منها والشائع مثال ذلك قوله:

« وما بعد ذلك - أى بعد معدٍّ بن عدنان - فهى أسماء أعجمية منها ما يوافق العربى فى الاشتقاق والتصريف، ومنها ما يخالفه » . . . ولؤى تصغير لآي وهو الثور الوحشى ، وقد يكون

(١) الشاطبى ، ج٢ ص ٨٨ .

(٢) الخشنى ، ج١ ص ٩٠ .

(٣) انظر : الخشنى ج١ ص ٩١ .

(٤) الخشنى ، ج١ ص ٩٣ .

تصغير لأى وهو البطء والمشهور فيه الهمز .[1]

وقد يستعرض وجوه الاختلاف في اللفظ ، ويقف عند الدّلالة الصرفية ، مثال ذلك قوله : وإلياس مختلف فيه ، فمنهم من يقول فيه : أليَأس موافق للذى هو خلاف الرِّجاء ، وهو مصدر يَئِسَ . ، ويستدل على ذلك بقول رؤبة بن العجاج:

أُمَّهتى خِنْدف والَيأسُ أبى .

ويقول ابن هَرْمة :

أُصيب بداءِ يأسٍ فهو مُودى - أى هالك.

وبعضهم يقول فيه : إلياسُ بكسر الهمزة[2] .

وقوله : إلحاف : منهم من يكسر همزته ويقطعها ، كأنه سمى بمصدر ألحف فى المسألة إذا بالغ فيها، ومن قوله تعالى: لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا . . .[3] ومنهم من يجعل الألف واللام فيه للتعريف ، بمنزلة اسم الفاعل من : حَفِيَ يَحْفَى[4] .

وقوله : القُلَّيس هو اسم الكنيسة التى بَنَى ، وهو مشتق من قَلَسَ الشىءُ، إذا ارتفع[5] .

وقوله : الأكَارِيشُ الجماعات من الناس ، وهو جمع أكْراش ، وآكْرَاشٌ جمع كِرْشٍ والكِرْشُ الجماعة من الناس ، فهو على هذا جمع الجمع . .[6] .

وقوله : كَوِرْدِ القَطَا ، الوِرْدُ ها هنا الواردة للماء ، سميت باسم المصدر[7] .

ويقف الخشنىّ أيضا عند اللفظة الواحدة التى إذا تغيرت إحدى حركات بنيتها تغيرت دلالتها ، ، مثال ذلك قوله :

الحِلال بكسر الحاء ، جمع حِلَّة ، وهى جماعة البيوت ، والحَلال بفتح الحاء خلاف الحرام[8] .

(١) الخشنى ، ج١ ص ٧٣ .
(٢) الخشنى ، ج١ ص ٧٣ - ٧٤ .
(٣) سورة البقرة ، الآية : ٢٧٣ .
(٤) الخشنى ، ج١ ص ٧٥ .
(٥) الخشنى ، ج١ ص ٨٧ .
(٦) الخشنى ج١ ص ١٠٧ .
(٧) الخشنى ، ج١ ص ١٢١ .
(٨) الخشنى ، ج١ ص ٨٨ .

وقولـه : الأَدماء مـن الظبـاء السُّمْر الظهـور البيـض البـطن والأُدْمَة فـى الإبل البياض الخالص ، والأدُمة فى الآدميين أن يميل اللون إلى السُّمْرة قليلا .[1]

وقوله : وَمَنْ روى عِقْد ذات نطاف ، بكسر العين ، فالنِّطاف جمع نُطْفَة ، وهى القُرْط الـذى يُعلّق مـن الأذن ، ومن رواه عَقْد بفتح العيْن ، فالنِّطاف جمعُ نُطفة من الماء ، وهو القليل الصافى منه[2] .

وقوله : العَذْق، بفتح العين النخلةُ ، وبكسـر العـين الكِبَاسـة وهـو عُنقـود النخـلة[3] .

ويقف الخشنى عنـد اللفظة الواحدة ، التى إذا تغـير أحد حروف بنيتـها فى وجه من وجوه الروايـات تغيرت دلالتهـا، مثال ذلك قوله :

« يقال : أَخْفَرْتُ الرَّجل ، إذا نقضت عهده ، وخَفَرْتُه ، إذا أجَرْته[4] .

وقولـه : « كالأَبل الظِّـراب ، يروى بالظـاء معجمة ، وبالـطاء غير معـجمة . فمن رواه بالـظاء معجمة فهـو جمعُ ظَرِب وهو الجُبـيل الصغـير ، شبَّه الإبـل بها ، ومن رواه بالـطاء المهمـلة فهى الإبـل التى حنـت إلى مواطـنها واشـتاقت . يـقال : طَرِبَت الإبل إذا حنَّت[5]

وقولـه : والفَجَـرُ بالجـيم العـطاء ، وبالخاء المـعجمة الـفَخرُ[6] ، وقـولـه : «وأَبْلَجُ بالجـيم مشهور ، وبالخاء مـتكِّبر . والزمن الجرود بالجيم ، زمن القحط ، لأنه يجرد الأرض من النبات ، ومن رواه بالحاء المهملـة ، فمعناه الذى يمتـنع قَطْره ، لأن حَرَدَ قد تـكون بمعنـى قَطَعَ ومَنَـع . ومنه قولهم : حاردت النـاقة إذا منعت درها أى لبنها[7] .

ويُعنى الخـشنى فى تفسيره الغريب ، بإيراد الرّوايـات المختلفة ، وقد يـوثّق هذه الروايات فيذكر المصدر ، وكثيراً ما يسكت

(١) الخشنى ، ج١ ص ٩١ .
(٢) الخشنى ، ج١ ص ١٤٢ .
(٣) الخشنى ، ج١ ص ١٥٢ .
(٤) الخشنى ، ج١ ص ٨٩ .
(٥) الخشنى ، ج١ ص ١٢٣ .
(٦) الخشنى ، ج١ ص ١٢٨ .
(٧) الخشنى ، ج١ ص ١٣٦ .

عن المصدر ، ويصوّب ما يراه ، معتمداً رأيه . وهو الحجة فى اللغة ، كما تجمع المصادر التى تحدثت عنه ، مثال ذلك قوله :

«وقوله» فى ولد إسماعيل: وَطَيْماء، كذا وقع هنا بالطاء المهملة مكسورةً ومفتوحةً . وقيده الدارَ قُطنى : وَظَمْياء بالظاء المعجمة ممدوداً وتقديم الميم » (1) .

فقد أورد الخشنى الروايتين وضبطهما، وأورد مصدره فى رواية أخرى . وقوله «مُضَاض . . ويقال : مِضَاض بكسر الميم أيضاً » (2) .

وقوله « أَسْلُمُ » هنا بضم اللام وفتحها ، وأسلم بضم اللام هو الصواب » (3) .

وقوله : « وجُروب حِجارة سود كذا قال الَوقَشيُّ ، وهى روايته . ومن رواه حُروث فهو جَمع حَرْث (4) .

وقوله بعد أن عرض الروايات المختلفة لكلمة « اللَثَّقَ » و« اللَّبَق » وما يترتب على ذلك من اختلاف فى المعنى مبدياً رأيه على عادته فيقول : واللَّثَق بالثاء المثلثة هو الصواب هنا (5) .

وقوله : « وَفَقَم عَظُم ، ويروى فَقِمَ بكسر القاف ، والصواب فتحها (6)

وقوله : ووقع فى الرِّواية فُظِعَ بضمٍّ الفاء وفتحها . قال الشيخ الفقيه أبو ذر رضى الله عنه : والصواب فَظِعَ بفتحها على وزن عَلِمَ (7) .

وقوله : « ومشاجبها جمع مِشْجَبٍ ، وهو عودٌ تعلق عليه الثياب ، ورواية الخشنى مَساحِبُها . وقال : هى القلائد فى العنق من قَرَنْفُل أو غيره (8)

وقوله « والمِرْبَاعُ الذى رعى فى الرَّبيع . ورواية الخشنى المِرْياع بالياء المنقوطة باثنتين من أسفل ، وقال : هو مِفْعال من راع إلى كذا يَرِيعُ أى رَجَعَ (9) .

(1) الخشنى ، ج1 ص 74 .
(2) المصدر نفسه .
(3) الخشنى ، ج1 ص 75 .
(4) الخشنى ، ج1 ص 85 .
(5) المصدر نفسه .
(6) الخشنى ، ج1 ص 98 .
(7) الخشنى ، ج1 ص 76 – 77 .
(8) الخشنى ، ج1 ص 103 .
(9) الخشنى ، ج1 ص 106 .

وقوله :

« وقــول الشــاعر فـي بيـته : حُـولُ الفصــائل . أراد جمعَ فُصْــلان ، وفُصْلان جمع فَصِـيل ، وهو الصغيـر من الإبل . والصواب الوصائل ، وهو جمع وَصيلة . وقد فَسَّرها ابن إسحاق وابن هشام [١] .

وقوله :

الحَلْـىُ اسم موضـع فيه مـاء ، وقال بعضــهم : هو اسم نبات . وهـذا غلط ، لأن اسم النـبات هو الحَلِـىُّ بتشديـد الياء وبكسر اللام [٢] .

وقد يذكر الخشنى مختلف الروايات ، ويوثق بعضها ويصوبـها مثل ذلك قـوله : « وَخِذامَةُ ابنةُ الحـارث ، هكذا روى بخاء معـجمة مكـسورة وذال معجـمة ، وروى أيضاً وَجُـدامة بجيم مضمومة ودال مهملة، وحُذافة بحاء مهملة وذال معجمة وفاء . . قيدها أبو عمر النَّمَرِىُّ وهو الصواب [٣]

وقولـه : الطَّـىُّ ، ويقـال الطَّـوَى ، وكلٌ بمعـنى واحد ، فليـس كذلك ، لأن الطَّىَّ بمـعنى الحجارة الـتى طُوى بها الـبئر سمـيت بالمصــــدر ، والـطَّوِىَ هى البـئر نفسها [٤] .

وقوله : « أُحْـيِيها لـه بالفقـير ، أى بالحفر وبالغـرس ، يقال فَقَرْتُ الأرض إذا حَفَرْتَها ، ومنه سميـت البئر فقيراً . وقال الوقشـىُّ : الصوابُ هنـا بالتفـقير ، وأراد الوقشى هنا المصدر وهو الأحسن [٥] .

وعنى الخشـنى فى منهجه فى تـفسير الغريب بالقراءات القرآنية ولغات العرب ، مثال ذلك قوله :

« يقال : أَنَى الشيءُ أَنِيَ وآنَ ، ثلاثُ لغات بمعنى واحد فى معنى حان [٦] .

وقوله : « هَلُمُّوا إلىَّ ثوباً ، هى كلمة سمى بها الفعل ، وفيها لغتان : فلغةُ أهل الحـجـــاز أن لا يُثَنُّوها ولا يجمــعـوها

(١) الخشنى ، ج١ ص ١٠٦ .
(٢) الخشنى ، ج١ ص ١٢٢ .
(٣) الخشنى ، ج١ ص ١٣٣ .
(٤) الخشنى ، ج١ ص ١٣٠ .
(٥) الخشنى ، ج١ ص ١٥٣ .
(٦) الخشنى ج١ ص ١٠١ .

ولا يؤنثوها . ولغة غيرهم أن يُثَنُّوها ويجمعوها ويؤنثوها . وجاء القرآن على لغة الحجاز . قال الله عز وجل : «والْقَائلِينَ لإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا » [1] .

ومعناها أقبلوا إلينا [2] .

وقوله : ما وَدَّعه وما قلاه . وفى رواية الخشنى وَدَعه بالتخفيف ، وهى لغةٌ شاذة . وقد روى فى بعض القراءات : ما وَدَعَكَ ربُّك بالتخفيف ، وما قلى أى ما أبغضك . تقول : قَلَيْتُ الرجل إذا أَبْغَضْتُهُ [3] .

وإلى جانب عنايته بلغات العرب ، عُنى بالبحث فى أصول الألفاظ الدخيلة مثال ذلك قوله : « لَبَاب لَبَاب . قد فسَّره ابن إسحاق ، ويقال : لَبَاب كلمة فارسية معناها القَفَلَ القَفَلَ أى الرُّجوعَ الرُّجوعَ » [4] .

وقوله : استَرْطبان ، أن معناها أَخَذَتْه النَّارُ بالفارسية [5] .

وقوله : « والمرازبة » وزراء الفرس وأحدهم مَرْزُبان [6] .

وقوله : « والأَسْبَذُ » بالفارسية الفَرَسُ [7] .

وقوله : « السِّيذ » بلغة فارس شعاع الشمس [8] .

ويحاول الخشنى أن يتتبع الألفاظ الحميرية التى دخلت العربية فى سيرة ابن هشام ، مثال ذلك :

قوله : الأَمْضُ الشكُّ بلغة حمير [9] .

وقوله : والشناتر الأصابع بلغة حمير ، واحدها شِنْتِرُ . . [10] .

وقوله : وَنَحْمَاسُ بلغة حمير الرأس [11] .

ونجده يعنى بتحديد الألفاظ التى أصبحت لها دلالات اصطلاحية ، سواء

(١) سورة الأحزاب الآية : ١٨ .
(٢) الخشنى ، ج١ ص ١٤٧ .
(٣) الخشنى ، ج١ ص ١٦٠ .
(٤) الخشنى ، ج١ ص ٨٢ .
(٥) الخشنى ، ج١ ص ٨٣ .
(٦) الخشنى ، ج١ ص ٩٧ .
(٧) الخشنى ، ج١ ص ١٢٢ .
(٨) الخشنى ، ج١ ص ١٩٢ .
(٩) الخشنى ، ج١ ، ص ٧٨ .
(١٠) الخشنى ، ج١ ص ٨٣ .
(١١) المصدر نفسه .

أكانت ألفاظاً دخيلة أم منقولة عن أصل عربي ، مثال ذلك : قوله : الدِّهقان شيخ القرية ، العارف بالفلاحة وما يَصْلُحُ بالأرض من الشجر ، يُلجأ إليه في معرفة ذلك [١] .

وقوله : « قَطَنُ النَّار : هو خادمها الذي يخدمها ، ويمنعها من أن تطفأ لتعظيمهم إياها [٢] .

وقوله : الأُسْقُفُ في الكنيسة هو عالم النَّصارى الذي يقيم لهم أمر دينهم ، ويقال : أُسْقُفٌ بالتخفيف أيضا [٣] .

وقوله : أصل النَّاموس هو صاحب سر الرجل في خيره وشره ، فعبَّر عن الملك الذي جاءه بالوحي به (لقد جاءه الناموس) [٤]

وقوله : « والسجع أن يكون الكلام المنثور له نهايات كنهايات الشعر .

وقوله : « الشَّمامِسَةَ عُبَّاد الروم [٥] .

وقوله : والأبناء القبائل المختلطة [٦] .

وقوله : والفَيْجُ الذي يسير للسلطان بالكتب على رجليه [٧] .

ويبحث الخشني في كثير من الأحيان في أصول معاني الألفاظ التي يقوم بشرحها مثال ذلك :

قوله : العائح الذاهب على وجه الأرض للعبادة ، لا يستقر بمكان ، أُخِذَ من الماء السائح وهو الذاهب على وجه الأرض [٨] .

وقوله : التَّهِمَةُ الواسعة المتطامنة ، ولذلك قيل لما انخفض من أرض الحجاز تِهَامة [٩] .

وقوله : والقُروم سادات الناس ، وأصله الفحول من الإبل [١٠] .

---

(١) الخشني ، ج١ ص ١٥٢ .
(٢) المصدر نفسه .
(٣) المصدر نفسه .
(٤) الخشني ، ج١ ص ١٥٩ .
(٥) الخشني ، ج١ ص ١٨٥ .
(٦) الخشني ، ج١ ص ١٨٦ .
(٧) الخشني ، ج١ ص ١٠٠ .
(٨) الخشني ، ج١ ص ٨٣ .
(٩) الخشني ، ج١ ، ص ٧٧ .
(١٠) الخشني ، ج١ ص ١٢٨ .

وقولـه : والكَـهَامُ الذى يـقصِّـر فى أموره ، مأخوذ من الـسـيف الكهام ، وهو الذى لا يقطع [1] .

وقوله : « والـهُيَّامَةُ الـكثير الـهُيام ، وأصل الهُيام داءٌ يصيب الأبل فتشتد حرارة أجوافـها فلا تَـرْوى من الماء إذا شـربت ، ومنـه قوله تـعالى : « فَشَـارِبُونَ شُـرْبَ الْهِيمِ » [2] .

ويستقى الخشنى شـواهده التى يستدل بها على صحة المعلومة اللغوية التى يوردها من آيات القـرآن الكريم ومن أشعـار عصر الاحتجاج ، ومن الأمثال ، وأقوال «بعض البلغاء » عـلى حد تعبيره ، . وقد يـكتفى بإيـراد شطـر البيـت الذى تضـمن وجـه الشاهد . . وغـالبا ما يحرص عـلى نسبة الشاهد إلى قائله .

وكان الخشنى فى غالب الأحيان يذكر مصـادره ، لاسيمـا عندما تـكون هنـالك روايات مختـلفة ، فنراه يذكـر إلى جانب ابن إسحاق وابن هشام ، كراع النمل وابن حبيـب وصاحبَ كتاب « العـين » ، وأبا عبـيد البكـرى وأبا علـى الغَسَّانـى والدارَقُطنى وأبا عـبيدة مَعْمرِ بن المثـنى والسائبَ الكِـنْدىَّ وعـبد الـغنـى الحافـظ المصـرى والوَقَشى . . وفى كثيـر من الأحيان يَسْندُ إلى مجهولين فيقول : « قالوا [3] . . وقال بعض الـلغوييـن . . وقال بعضـهم . . » دون أن يعين القائل .

ومما تجـدر ملاحـظته أن الخـشنـى لم يذكر مـن بين أصحـاب المعجمـات الذين سبـقوه سوى صـاحب كـتاب العـين . . واكتـفى بالإشارة إلـيهم بعـبارات مبهـمة مثل: قالوا ، وقال بعض اللغويين ، وقال بـعضـهم . . إلـخ . . وربما كـانت هـذه الظاهرة تستحق أن تدرس . . . .

لقد اهتم الخشنـى بشرح غريب أبيات الشعر الواردة فى سـيرة ابن هشام ، وأفرد

(١) الخشنى ، ج١ ص ١٣٧ .

(٢) سورة الواقعة ، الآية : ٥٥ وفى النص أنظر : الخشنى ج١ ص ١٥٠ .

(٣) انظر : الخشنى ، ج١ ص ٨٠ .

لها عنـاوين خاصة ، ولكنه فـي الواقع لم يقتصـر على غريب الشعر ، ولـكنه تجاوز ذلك إلى شرح غريـب ما ورد في حوادث الـسيـرة . وربما كـان مـن الضـروري أن نتوقف عـند مفهوم كلمة « غـريب » عند الخشـني . وإن الـدارس لكـتابـه (شرح غريـب السـيرة) ، يـخرج بـأن لكـلمـة «غريب» مفـهوماً خاصاً عنـده ، ونرى أنه يعني بالغريب جمـيع الألفاظ التي يصعب فهمها على الشادين والتلامذة المبتدئين . . فمـن الطبيـعي أن يضم مـجلسه لـلإقراء والتدريس تـلاميذ من أجناس مختـلفة من العرب والأعاجم التي يتـكون منها المجتمع الإسلامي . . ولذا نراه يشرح أحياناً ألفاظاً عاديـة بمعناهـا العام ، كـأن يشرح لفـظة «أجل » بمعنى « نعم » . . إلخ .

ويسلك أبو ذر في منهـجه هذا منهجاً تعليمياً ، وربما أعاد شرح الـلفظة بعينها ، غيـر مرة ، فهـو يملـي كتـابه هذا عـلى تلامـيذه من « حـفظه بلـفظه » ، قـاصداً شرح ما استبهم من غريبه ومعانيه .

ويقودنا هذا البحث إلى القول إن هذا السفر الجـليل الذي وضعه أبـو ذر الخشني لطلابه يعتبر إضـافة جديدة في علم وضع المعجمات ، وكـذلك فيما يتعلـق بالبحث في المـترادف والمـشتَرَك مـن الألفـاظ وقد جعل من فهم المعاني من « سياق الكلام » محـوراً للمنهج الذي تناول به تفسـيـر غريـب السيرة . ولا شـك أن هذا المنـهج اللغوي يجد جذوره التاريخية في المصنفات التي سبقته وفيمـا أسماه الجاحظ قبل ذلك بعدة قرون « لكل مقام مقال »[(١)]

عبد الكريم خليفة

عضو المجمع من الأردن

★ ★ ★

(١) انظر : الحيوان ، ج٣ ص ٤٣ ، البـيان والتبيين ، ج١ ص ١٤٥ .

المصادر والمراجع

١ - إبراهيم بن مراد ، دراسات فى المعجم العربى ، بيروت ، سنة ١٩٨٧ م .

٢ - ابن الأبار - أبو عبد الله محمد ابن عبد الله بن أبى بكر القضاعى البلنسى التكملة لكتاب الصلة ، السفر الأول ، مجريط ، سنة ١٨٨٦ م .

٣ - ابن رشد - محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبى (المتوفى سنة ٥٩٥ هـ) ، بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، ج١-٢ ، ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢م .

٤ - الجاحظ - أبو عثمان عمرو بن بحر ، الحيوان ، ج١ - ٧ ، تحقيق عبد السلام هارون ، بيروت ، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨ م .

٥ - الجاحظ - أبو عثمان عمرو بن بحر ، البيان والتبيين ، ج١-٤ ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م .

٦ - الخشنى - أبو ذر مصعب بن أبى بكر محمد بن مسعود الخشنى ، (المتوفى سنة ٦٠٤ هـ) ، الإملاء المختصر فى شرح غريب السير ، ج١-٣ ، تحقيق ودراسة د. عبد الكريم خليفة ، عمان ، ١٩٩٠ م .

٧ - الذهبى - شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى ، سير أعلام النبلاء ، ج١ -٢٥ ، بيروت ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

٨ - الراغب الأصفهانى - أبو القاسم الحسين بن محمد بن الفضل ، (كان فى أوائل المائة الخامسة) ، المفردات فى غريب القرآن ، مصر .

٩ - الزركشى - بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى ، البرهان فى علوم القرآن ، ج ١ - ٤ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، بيروت، سنة ١٩٧٢ م .

١٠ - السيوطى - جلال الدين عبد الرحمن السيوطى الشافعى (المتوفى سنة ٩١١ هـ) ، الإتقان فى علوم القرآن، ج١- ٢ .

١١ - السيوطى - جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ، بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة ، ج١ - ٢ ، تحقيق أبو الفضل إبراهيم ، مصر ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩ م .

١٢ - الشاطبى- أبو إسحق إبراهيم ابن موسى اللخمى الغرناطى المالكى (المتوفى سنة ٩٧٠ هـ) ، الموافقات فى أصول الشريعة ، ج١-٤ مصر .

١٣- الطبرسى - أبو على الفضل بن الحسين ، (المتوفى سنة ٥٤٨هـ) ، مجمع البيان فى تفسير القرآن، ج١-١٠ ، صيدا ، سنة ١٣٣٣ هـ .

١٤ - محمد المبارك ، فقه اللغة وخصائص العربية، بيروت، سنة ١٩٦٨م .

في العربية المعاصرة ومعجمها (*)

للدكتور إبراهيم السامرائي

هذا درس انطلق فيه من أن عربية عصرنا لغة جديدة اشتملت على جديد وافر خالف المأثور المعروف من فصيح العربية . ولكنى لا أصرف جملة ما جد فى هذه العربية فيما تعارف عليه كثير من الدارسين فى الخطأ والصواب ذلك أن هذا الذى عد خطأ فى مطلع هذا القرن جرت به الألسنة وجرى عليه الكتاب حتى شاع مابدا للدارسين أصولا فصيحة .

وقد بدا لى أن أعرض لطائفة كبيرة مما شاع فى هذه العربية المعاصرة وأصنفها أصنافًا فأبدأ بما خالف أبنية العربية وشاع حتى غدا ما هو فصيح إزاء هذا الشائع الكثير غريبا .

وعلى هذا يكون لى أن أقرر إن العربية المعاصرة تؤلف معجما جديدا يختلف عما هو مسطور فى معجماتنا القديمة .

إن هذا الموجز الذى أبسطه اليوم نموذج لما يجب أن يستوفى ويُعدَّ له منهج مدروس قائم على إدراك من العلم اللغوى والمعجمية فى مصطلحها الحديث .

الأبنية الجديدة :

وهذه كثيرة أضع بين أيدى الدارسين نماذج منها :

١ - أكَّدَ :

أقول : إن الفعل [(١)] « أكَّدَ » المضاعف فى فصيح العربية يصل إلى مدخوله دون أداة ، يقال : أكَّدَ الرجل قوله . غير أنه فى العربية المعاصرة قد تحول إلى فعل قاصر ، والمعربون يُعدّونه بالحرف « على »

(★) ألقى هذا البحث فى الجلسة الثالثة من جلسات المؤتمر يوم الأربعاء ٢٢ من شوّال سنة ١٤١٣ هـ الموافق ١٤ من أبريل سنة ١٩٩٣ م .

(١) لم أذهب إلى « وكَّد » كما فى المعجم القديم لأن الفعل مهموز فى العربية المعاصرة وليس فيها « وكَّدَ » .

فهم يقولون : أكَّدَ الرجلُ على أمر خاص .

أقول : كأنّ هذا الفعل قد ضُمّن معنى الفعل « ألَحَّ » وهذا محتاج إلى الحرف « على » يقال مثلا : ألح الرجل على أمر خاصّ به .

ألنا أن نقول إن هذا التحول فى الفعل « أكّد » قد جدّ فى العربية المعاصرة بهذا الاستعمال نتيجة التأثر بلغة أعجمية كالفرنسية مثلا ألا يومئ ، إلى الفعل الفرنسى:(insister (sur وليس لنا أن نردّه إلى المقابل الإنكليزى : « Emphasize » ، وذلك لأن هذا الفعل في الإنكليزية الذى يفيد التأكيد أو التشديد لا يحتاج إلى واسطة فى الوصول إلى مدخوله .

٢ – ركز :

أقول : إن هذا الفعل فى استعمال المعربين ثلاثىّ من باب « فَعَلَ » ودلالته أن تغرز شيئا منتصبا كالرمح ونحوه تركزه ركزًا .

ولم يبق من الثلاثى إلا بناء مَفْعَل وهو « مَرْكَز » يقال مثلا : مركز اجتماع العمال ، أى موضعهم ، كما يقال : المراكز الحضرية أو الصناعية ، أى أمكنة معينة مخصوصة .

غير أن الفعل المضاعف « ركَّز » قد صُرف إلى غير هذه الدلالة فى العربية المعاصرة ، يقال مثلا ، ركّز الدارس اهتمامه على القيمة العملية . بمعنى : حصر اهتمامه مؤكّدا أمرا مخصوصًا .

إن هذا التحول فى الدلالة قد جد فى العربية المعاصرة وشاع بفعل الترجمة من اللغات الغربية التى غزت العربية المعاصرة فكانت من موادّها .

إن هذه الدلالة من غير شك هى مما يقال فى الإنكليزية :

He Concentrated on.

وفى الفرنسية : **IL a concentré**

أقول : إن بناء هذا الفعل المضاعف لا وجود له فى فصيح العربية ، ولكنه شائع معروف فى العربية المعاصرة .

ولى أن أثبت شيئا انتهيت إليه بعد استقرائى لصيغة « أفعَلَ » وصيغة « فَعَّلَ » فى لغة التنزيل وهو أن الصيغة الأولى أكثر ورودا لازمةً ومتعديّة من الصيغة الثانية غير أنى وجدت العكس فى العربية المعاصرة .

٣ - تَشَحَّطَ :

أقول : وجدت فى الشعر الجديد لأدونيس مما ينشره فى صحيفة « الحياة » : « ألستَ تسمع خطواتِ القتلى تتشحّط وراءك ؟ » .

أراد أدونيس من الفعل « تَشَحَّط » : أن خطوات القتلى تنجرّ أو تنسحب .

أقول : إن الشاعر أدونيس جرىء فى كلماته ، فهو يحوّل ما هو عامى سورى مشرقى إلى عربية معاصرة .

إن الفعل فى فصيح العربية ثلاثيّ الصيغة ، يقال : شَحَطَت الدارُ ، أى بَعُدَت ، و « الشَّحْط » البُعْد .

أقول : لقد جدّت صيغة جديدة مع دلالة جديدة مستعارة من العامية السورية فكان لنا عربية معاصرة .

٤ - اشترع :

أقول : جدَّ هذا الفعل فى لغة الصحف منذ أمد ليس ببعيد لعله سنة ، أو أكثرُ من ذلك بقليل ، وقد جاء فى بناء المصدر مع ياء النسب لإفادة الوصف.

يُقال : الإنتخابات الاشتراعية ، أو الصلاحيات الاشتراعية »[1] .

أقول : إن القارىء ممتحن ، أيراد بهذا الوصف « التشريعية » التى لا يجهلها أم شىء آخر ؟

٥ - شكَّكَ :

أقول : هذا فعل جديد بصيغة المضاعف ، وكأنّ المعرب يريد خصوصية دلالية لا تكون فى الثلاثى « شَكَّ » .

يقال : يشكِّكُ الرجل فى قول صاحبه.

---

(١) إذا كانت « الاشتراعية » ، أى المصدر الصناعيّ قد اندرجت فى هذا الباب الذى دعوته « الأبنية الجديدة لأن الفعل « اشْتَرَعَ » مما لانعرفه فى فصيح العربية ، فإن « الصلاحيات من الألفاظ الجديدة بدلالتها هذه .

إن هذه الصيغة المضاعفة جديدة لا نعرفها فى فصيح العربية ، ولكنها فى العربية المعاصرة .

٦ - شَكَّلَ :

هذا فعل بصيغة المضاعف لانجده فى فصيح العربية كما فى قول المعربين مثلا : إن هذا الأمر « يُشكِّلُ » بادرة جديدة فى النقد الحديث .

أقول : إن القارىء قد اعتاد أن يرى هذا الفعل فيدرك معناه وهو « أن الأمر يؤلف أو يكون بادرة جديدة . . . . »

أقول : « الشكل » بفتح الشين الشِّبْه والمِثْل ، والجمع أشكال وشكول ، قال المتنبى : ليالىَّ بعد الظاعنين شُكولُ . .

ومادة «شكل » مادة وافية الدلالات فى المعجمات القديمة .

ولنا منها الفعل « تشكَّلَ » ؛ يقال : تَشَكَّلَ الشىءُ أى تصور ، وشكله : صورته .

٧ - طَوَّرَ ، تَطَوَّرَ :

شاع فى عربيتنا المعاصرة المصدر «تطوُّر » قبل الفعل « تَطَوَّر » ، حتى إذا شاع درجنا نقرأ « نظرية التطوُّر » لداروِن وماكتبه فيها شبلى شمّيل من أوائل مثقفى هذا القرن ، وما كتب سلامة موسى ، صار « التطورّ » على كل لسان . ثم احتاج المعربون للفعل « طورَّ » فقالوا مثَلا : طوَّرَ أهل الصناعة مشاريعهم [١]

وأعود إلى فصيح العربية التى خلت من « التطور » المصدر ، ومن الفعل «تطَوَّرَ » والفعل « طَوَّرَ » .

أقول : إن الذى دعا العرب إلى أن يفكروا فى هذا الجديد اللغوى هو حاجتهم إلى اللفظ الجديد . ثم إن هذه الحاجة استدعاها واقتضاها ما وجدوه من لفظها فى اللغات الغربية ولا سيما الإنكليزية والفرنسية .

إنهم رأوا فى هذه اللغات « **Développement** » الفرنسية

(١) المشاريع جمع مشروع . وهو من المولَّد ليقابل ما هو « Projet » .

فكـيف يكـون من العربـية ما يفـى بهذا اللفـظ ؟ فكرّوا فاهتدوا إلـى أن « الطَّوْر » يمكن أن يكون أساسًا فى هذا التوليد .

أعود إلى فصيح العربية فأجد :

الطور بمـعنى تارة ، وطَوْرًا بـعد طَوْر أى تارةً بعد تارة .

ثـم إن « الطـور » بمـعـنى الحـال ، والناس أطوار أى « أخيـاف » على حالاتٍ شتى .

وقال تعـالى : « وَخَلَقْنَـاكُم أطْوَارًا » معناه ضروبا وأحوالا مختلفة .

أقول : لقـد كان المثقفون عـلى وعى وإدراك تامَّين فى مطلع هذا القرن بالطرائق والوسـائل فـى سعيـهم اللـغوى فـولّدوا وأحدثوا ما هو جديد نافع .

٨ - تَعَرَّفَ :

أقول : إن الفعل تعَـرَّفَ « فى فصيح العـربية » يـصـل إلـى مدخـوله من غـير واسطة ، قال طريف العنبرى :

تعرفونى أننى أنا ذاكم

شاكٍ سلاحى فى الفوارس مُعْلَمِ

ومن شواهد سيبويه :

وقالوا تَعَرَّفْها المنازلَ من مِنىً

وماكلُّ من وافى مِنًى أنا عارفُ

وقال تـعالى : « وإذ أسَـرَّ النبـىُّ إلى بَعْضِ أزْوَاجِهِ حديثاً فَلـمَّا نَبَّأتْ بِهَ وأظْهَرَهُ اللهُ عليه عرَّفَ بعضَه وأعرض عن بعض» .

أقول : هـذا هو الـفعـل « تعَّـرفَ » والفعل « عَـرَفَ » ، وهما متعدّيـان غـير أن الفعل « تـعرَّفَ » فى العربيـة المعاصرة يصل إلى مـدخوله بالحرف « علـى » يقال مثلا : تعّرفت علـى الرجل ، أى حصلت معرفتى به . .

٩ - اعتَمَدَ :

أقول : جـاء هذا الفعـل فى فصـيح العربيـة لازما فقالوا : اعتمد عـلى الشىء بمعنـى توكّأ ، والعمدة مـا يُعتَمد عـليه . واعتمدت عليه فى كذا أى اتّكلتُ عليه .

أقـول : والأصل فـى كـل هذا هـو الأصل الحسى وهو « الـعمود » ، وعمود البيت : الخشبة القائمة فى وسط الخباء .

ثم أتى إلى العربية التى أفادت من هذا الفعل فى دلالة ليست بعيدة عما لنا من الفعل ، وذُهب به إلى شىء من الإيجاز فحذفوا الحرف « على » ووصلوا الفعل بمدخوله فقالوا مثلا : اعتمد الرجل الأمر أى لزمه واتّكل عليه .

١٠ - أعاقَ :

أقول : هذا هو الفعل مزيدًا على «أفعَلَ » فى العربية المعاصرة ، قالوا : أعاقنى البردُ . وفات المعربين أن الفعل «عاقَ » الثلاثى متعدٍ بنفسه ، وكان ينبغى أن يقولوا : عاقنى البردُ .

وذهب المعاصرون انطلاقًا من هذا الذى أحدثوه إلى « المُعاق » وهو «المُعَوَّق» [1]. بمعنى الذى لم يملك قُدُراته الكافية .

وقد ورد اسم الفاعل « المعوِّق » فى قوله تعالى : « قد يعلم المُعَوِّقين منكم » ١٨ سورة الأحزاب .

١١ - أعاب :

أقول : هذا الفعل لا يرد فى استعمال المعاصرين ، بل إنهم يذهبون إلى الثلاثى «عاب » وهو الصحيح ، يقولون مثلا : عاب الرجل صاحبَه . غير أنهم فى صوغ الصفة يقولون : إنها صفة مُعيبة ، بضم الميم ، وقولُهم هذا يدل على أن الفعل هو « أعاب » الذى لا نعرفه فى فصيح العربية .

١٢ - أعاش :

أقول : وهذا الفعل كنظيره السابق «أعاب » لا يرد فى كلام المعاصرين ، ولكنهم يقولون : « الواقع المُعاش » . وكأنهم جعلوا الفعل « عاش » وهو لازم، متعديًا بزيادة الهمزة ليصلوا إلى الوصف وهو اسم مفعول « مُعاش » ، وفى هذا تجاوز على فصيح العربية ولو أنهم عرفوا هذه المسائل الدقيقة لعرفوا أن الصواب أن يقال : الواقع المَعيشُ فيه أو به . . . ولكن هذا كله « عربية معاصرة » .

(١) أقول : « المُعاق » على التجاوز مثل « المعوَّق » كلاهما مستعمل لدى المعاصرين .

١٣ - تَمَشَّى :

يقول المعربون بعربيتهم المعاصرة : «تمشىَّ هذا الأمُر مع ذوق الأكثرية الساحقة [(١)] » أى سار موافقا لما هو غالب عام .

أقول : والذى فى فصيح العربية أن الفعل « تَمَشَّى » مثل « مَشَى » قال الحطيئة :

عفا مسحلانُ من سُلَيْمَى فحامِرُهْ
تمشى به ظلْمانُه وجآذِرُهْ

وقال الشّماخ :

ودوِّية قَفْرٍ تَمَشَّى نَعامُها
كمَشْى النصارىَ فى خِفافِ الأرَنْدَجِ

١٤ - انْتَدَبَ :

يقال فى العربية المعاصرة : انتدب مجلس الأمن السيد فلانًا مراقبا فى الخصومة بين بلد وبلد آخر .

أقول : والذى فى فصيح العربية غير هذا فى الفعلين «نَدَبَ» و «انْتَدَبَ» وهو : ندب القومَ إلى الأمر يندُبُهم نَدْبًا : دعاهم وحثّهم ، وانتَدَبوا إليه أى أسرَعوا.

وانتَدَبَ القوُم من ذوات أنفسهم أيضا، دون أن يندبوا له .

قال الجوهرى : نَدَبه للأمر فانتَدَبَ له، أى دعاه له فأجاب .

أقول : وقد كان المعربون على فهم جيد للفصيح المعروف فى مطلع هذا القرن حين أوجدوا مصطلح « المندوب السامى » للحاكم الأجنبىّ فى عصر الاستعمار الحديث ، ولم يقولوا « المنتدب السامى ».

١٥ - هدف :

يقول المعاصرون فى عربيتهم الجديدة: إنه يهدفُ إلى تحقيق أغراض عدة ، بمعنى: إنه يرمى أو يسعى أو يقصد تحقيق عدة أغراض.

أقول : لا نعرف هذا كله فى فصيح العربية ، والذى لنا منه هو ما ذكره

(١) « الأكثرية الساحقة » من التعابير الشائعة ، وهو مما نقل من اللغات الغربية فى عصرنا ، وسآتى إلى هذا الصنف من الاستعمال فى العربية المعاصرة ، وهو كثير .

صاحب « لسان العرب » ، « الأزهرى »: روى شمر بإسناد له أن الزبير وعمرو بن العاص اجتمعا فى الحِجر ، فقال الزبير : كنتَ أهدَفتَ لي وما يسرُّنى أن لى مثلك بفرَّتى منك ، قال شمر : قوله : أهدفت لى ، الإهداف الدنوّ منك والاستقبال لك والانتصاب .

وقال الزُّفَيان السعدىّ :

نرجو اجتبار عظمها إذْ أزحَفَتْ

فأسرَعَتْ لما إليكَ أهدَفَتْ

أى قَرُبَتْ ودَنَتْ .

أقول : وليس فى كلامهم ما هو معروف من هذا الفعل فى العربية المعاصرة كما مثَّلنا .

ومن المعلوم أن « الهدف » هو الأصل الذى أتى منه الفعل قديمًا وحديثا ، وهو فى الأصل : كل شىءٍ عظيم مرتفع ، وهو أيضا ماينُصَب غرضًا للرمى .

والرامى مهدِف ومستَهدِف . غير أننا فى العربية المعاصرة استعملنا الفعل «استهدف » استعمالاً واسعا تجاوزنا فيه الحدّ فقلنا مثلا : إن الرجل مُستَهدَف بمعنى أنه صار هَدَفًا للنقد وهو فى حقيقة الأمر «مُستَهدِف » بصيغة اسم الفاعل .

١٦ - هَرَّبَ :

أقول : هذا من الكلم الفنى فى عصرنا فى مصدره « التهريب » ومنه تَهريب البضاعة ، وتهريب المخدِّرات [١] ، ونحو ذلك ، وعلى هذا فالتهريب من الجرائم فى عصرنا وعقوبته منصوص عليها فى القوانين .

أقول : وليس لنا هذا المضاعف فى فصيح العربية كما ليس لنا نظير هذه الدلالة الجديدة .

١٧ - أهاج :

أقول : ورد هذا الفعل مزيدًا بهمزة ظنها المعاصرون للتعدية ، وكأنَّ الفعل

(١) الاستعمار كلمة جديدة تدخل فى صنف هذه الأفعال الجديدة ، ولكنى اجتزأت بهذه النماذج ، والاستقراء الوافى يتجاوز هذا الموجز الذى أقدّمه .

(٢) المخدِّرات من الجديد فى دلالتها ومحتواها فى عصرنا .

«هاج» في تصوّرهم لازم . وفاتهم أن «هاجَ» يتعدَّى ولا يتعدَّى ، تقول : هاجني الخطب ، وتقول : هاجَ الرجلُ أي كان في تصرّفه وسلوكه هَيَجان أو هَوَج ، والفعل من بنات الياء ويأتي من الواو أيضا .

ومثله المزيد أيضا «أهتاجَ» .

أقول : بعد هذا الموجز في «الأبنية الجديدة» أتحوّل إلى :

الدلالات الجديدة فأبدأ بـ :

١٨ - حَلَّلَ :

أقول : يرد هذا الفعل في سياقَين أولهما قول للمعربين : «حلَّل النصَّ الأدبيّ» و «تحليل النص الأدبي» ، بمعنى شرحه وبيان عناصره ومطالبه . والثاني في باب العلوم كقولهم : «حلَّلَ السائل أو الدواء أو نحو هذا» ، بمعنى فَحَصه بعد إلقاء شيء آخر فيه ليعرف ما يكون في الحقيقة .

إن هذا كله جديد اقتضاه العصر أو أن الناطقين بالعربية من عرب وغيرهم وجدوا شيئا من هذا في اللغات الأعجمية فاجتهدوا أن يكون نظيره في العربية .

وأعود إلى فصيح العربية فأجد :

وفي الحديث : لَعَن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، المحلِّل والمحلَّل له ، وفي رواية : المُحِلَّ والمُحَلَّ له ، وهو أن يطلِّق الرجل امرأته ثلاثا فيتزوجها رجل آخر بشرط أن يطلقها بعد مواقعته إياها لتحِلّ للزوج الأوّل . . . .

قال ابن الأثير [1] : وفي هذه اللفظة ثلاث لغات : حَلَّلتُ وأحلَلْت وحَلَلْتُ

وجاء في معجمات العربية : حلَّل اليمين تحليلا وتَحِلّة : كَفَّرَها

أقول : لقد ذهبت هذه الدلالات القديمة وتحول الفعل إلى الجديد الذي بسطته .

١٩ - احتَمَلَ :

أقول : اختص «الاحتمال» لدى المعربين في العربية المعاصرة بما هو قريب من الظن ، بعيد بعض الشيء عن اليقين ،

---

(١) انظر «حلَّل» في «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير.

يقال مثلا : يُحتَمَل أن تكون النتيجة كذا أو لا تكون .

والفعل هنا كأنه مبنى للمجهول أو قل لزم هذه الصيغة وأريد صيغة المعلوم وهذا كله جديد أو قل إذا أردت الابتعاد عن «الخطأ والصواب » : إن ذلك من باب «تطور الدلالة » .

وأعود إلى فصيح العربية فأجد أن الفعل احتمل « مبنيا للمعلوم مثل «حمل»، ولكن قد يكتسب خصوصية فى بعض الشواهد كما فى قول النابغة :

فحَمَلْتُ بَرَّةَ و « احتَمَلْتَ » فجار

عبَّر النابغة عن البرَّة بالحَمْل ، وعن الفَجْرَة بالاحتمال ، لأن حمل البرَّة بالإضافة [1] إلى احتمال الفَجَرَة أمر يسير ومستصغر . ومثله قوله تعالى « لها ما كَسَبت وعليها ما اكتَسَبَت » .

٢٠ – استخدم :

أقول : يقول المعربون فى عصرنا مثلا: يُستَخدَم هذا الدواء لاتقاء البرد .

والمراد هنا : يستعمل ، ويقال : يُستَخدَم هذا اللفظ بمعنيين . . . . بمعنى يستعمل .

وكأن الفعل « استَخْدَمَ » مرادف للفعل « استعمل » .

وإذا عدنا إلى فصيح العربية وجدنا الفعل « استَخْدَمَ » بعيدا عن معنى «استعمل » .

قال أهل العربية :

« استخدمه فأخْدَمَه ، أى استَوْهَبَه خادمًا فوَهَبَه له ، ويقال : اختَدَمتُ فلانا واستَخْدَمتُه ، أى سألتُه أن يخدمنى .

وعلى هذا كان الفعل لا يفارق سياق الخدمة . وهذا كله لا نجده فى استعمال المعربين فى عصرنا .

٢١ – دفع الثمن :

أقول : قول المعربين فى عصرنا : «دفع الثمن » أو « دفَعَهَ غاليا » مصروف إلى المجاز لا الحقيقة ، بمعنى أنه احتمل

(١) كلمة « الإضافة » هنا تعنى « النسبة » فى العربية المعاصرة فى قولنا مثلا : هذا قليل فى عصرنا بالنسبة إلى ما كان عليه فى عصر سابق .

العواقب السيئة أى أنه مثلا تصرّف تصرفًا غير حسن ولم يفكر فى العواقب فاضطُرّ إلى احتمالها .

أقول : هذا جديد وإن المعربين أخذوه مما هو فى الإنكليزية أو الفرنسية .

يقال : « He paid dear » كما يقال : « IL a payé cher » .

٢٢ – انسحب :

يقال فى العربية المعاصرة مثلا : إن هذا الشيء ينسحب على نظائره ، أى أنه مثل غيره من النظائر سواء بسواء .

أقول : إن هذا من الجديد وليس لنا فى فصيح العربية إلا « سَحَبَهُ يسحبه سحبًا فانسَحَبَ أى جَرَّه فانجَرَّ .

٢٣ – طبَّقَ :

يقول المعربون فى عصرنا : إنه طبَّقَ النظرية [(١)] ، أى أجراها ، وإنه طبَّق ما يفكرّ فيه ، أى قام بعمل شيء اهتدى إليه فكره .

غير أننا لا نجد شيئا من هذا فى فصيح العربية ، قالوا : طبَّق السحاب الجوَّ ، أى غشَّاه ، وسحابة مُطبِّقة . وطبَّقَ الماء وجهَ الأرض ، أى غطّاه .

٢٤ – طال :

يقول المعربون مثلا : إن الجريمة «تُطال» أو طالت عدّة أفراد . أى إن الاتهام أو التهمة اتجهت إلى عدة أفراد .

أقول : لا أدرى كيف كان هذا الاستعمال الذى رحنا نجده فى صحف عصرنا ، وكيف جيء بالفعل « تطال » وكأنه مبنى للمجهول ؟ كل ذلك لا أعرفه .

إن الفعل « طال » فى فصيح العربية لا يذهب بعيدًا عن معنى « الطول » ، وقالوا : طال الشيء وأطلته .

٢٥ – انطَوَى :

يرد هذا الفعل فى قول المعربين : انطوَى فلان على نفسه ، بمعنى أنه انحَرَفَ

(١) النظرية » لفظ أو مصطلح ذو خصوصية ، فهو أخصّ من النظر ، وقد أريد به ما هو « Theory » فى الإنكليزية ، والنظرية الثابت من النظر فى العلم أو هو غير الفرضية .

عن الناس ولم يصارحهم بدخيلته ، وتحمل وحده همومه وأفكاره ، وابتعد عما يضطرب فيه الناس .

أقول : هذا الفعل يكاد يكون فى مادة المصطلح النفسى فى عصرنا ، والانطواء فى علم النفس من الأغراض المرضية .

أقول : لابد أن يكون أصل هذا لفظ أو مصطلح فى اللغات الحديثة الغربية .

إن الفعل « انطوى » هو المطاوع للفعل « طوى » يقال : طويت الشيء فانطوَى هذا هو المعروف فى معجمات اللغة ، ولم يحتمل المعنى الخاص الذى له فى العربية المعاصرة .

٢٦ - عَبَّى :

أقول جاء فى فصيح العربية : عَبا المتاعَ وعبّاه : هيأه . وَعَبَّى الجيش أصلحه وهيّأه تعبية وتعبئة وتعبيئا . وقال أبو زيد عبّأته بالهمز .

أقول : كأن الفعل ناقص وهو عَبَا وعبَّى مجردًا ومزيدًا ، وهو مهموز هو عبأ ويدلّ على ذلك كله المصدر تعبَية وتَعبئة .

وهذا بالعربية المعاصرة فى المهموز باقٍ على الأصل القديم كما فى تعبئة الجيش .

و « التعبئة » من المصطلح العسكريّ الحديث .

غير أنه فى صيغة الناقص « عَبَا وعبّى» فى العربية المعاصرة قد اكتسب خصوصية ، يقال : عبَّى البضاعة أى وضعها فى « عُبُوّات » أو عُبْوات من ورق ثخين أو معدن أو ما هو « بلاستيك »وكأن « التعبية » هى وَضع الشىء فى هذه المواضع . وهنا يقابل معنى « الصّبّر » فى الاستعمال القديم وهو الحَجْز .

و« الصُّبرة : ما جُمع من الطعام بلا كيل ولا وزن بعضه فوق بعض ، وفى الحديث : مرَّ على صُبرة « طعام » فأدخَلَ يدَه فيها .

وهذا يعنى أن « الصُّبْرة » محتجزة فى وعاء أو نحوه .

أقول : ومن هذا استوحى الأفارقة ومنهم أهل تونس « التصبير » .

و « المُصبَّرات » للأطعمة المحفوظة فى أوعية من معدن أو شبهه وهذا فى اللحم والسمك والجبن وغيرها ، يقابله «التعليب» فى مصطلح المشارقة .

٢٧ - عمل :

يقال فى العربية المعاصرة : يعمل فلانٌ موظفًا [١] ، أى أن عمله فى وظائف الدولة .

أقول : وهذا استعمال جديد إذ أننا لم نجد فى فصيح العربية : أن زيدًا عمِلَ قاضيا أو كاتبا أو نحو هذا .

وأكبر الظن أن هذا الجديد فى الاستعمال قد أندسَّ فى العربية المعاصرة مما هو فى اللغات الغربية الحديثة .

٢٨ - غَطَّى :

أقول : إن « التغطية » معروفة وهى وضع الغطاء على الشىء ولا يتوسع فى التغطية بأكثر من قولهم : غَطَّى الشىء بمعنى واراه وستره .

غير أن العربية المعاصرة وقد تأثرت بما يقال فى اللغات الغربية عرفت « التغطية » الجديدة ومنها « تغطية النفقات » أى أن البضاعة أو العمل أو المشروع قد أتى من الفوائد ماسدَّ النفقات التى أُنفقت « فيه» ومنه « التغطية الإعلامية » أى أن الصحف ونحوها يتكفل فيها أن تروى الخبر وغيره روايةً كافية .

٢٩ - فَلَتَ :

يقال فى عربية الصحف : « الأنظمة المنفلتة » ، ويراد بذلك « الأنظمة » التى لا يضبطها حدود أو مقاييس ، يقال هذا فى معرض النَّيْل من بعض الممارسات فى بعض البلدان .

أقول : إن « الانفلات » فى فصيح العربية هو التخلص من الشىء فجأة من

(١) دلالة التوظيف فى فصيح العربية بعيدة عنه فى عربية عصرنا ، إن « التوظيف » هو الإلزام ، ووظف الشىء على نفسه ألزمَها إيّاه . والوظيفة كانت ما يُقدَّرُ للرجل كلَّ يومٍ من رِزق أو طعام أو شراب أو علَف أو نحو ذلك .

غير تمكّث . وليس فى هذا خصوصية النبز لهذا اللفظ كالذى نعرفه فى العربية المعاصرة .

٣٠ - لعب دورا :

أقول : استعمال الفعل على هذا النحو من العربية الجديدة التى كانت على نظائرها فى اللغتين الفرنسية والإنكليزية إذ المقصود من هذه العبارة : أن الرجل قام بعمل مهم له أثره . ومن غير شك أن التعبير فى اللغتين المذكورتين يومىء إلى أصله وهو « عالم الرياضة » و « عالم المسرح » ، فاستعير إلى سياق آخر كما هو معروف . وأنى أرى أن الفعل مازال قاصراً فى هذا التعبير وأن كلمة دورا نصبت على الظرفية الزمانية ، بمعنى أنه «لعب شوطا » .

وفى الإنكليزية **He plays hi part**

وفى الفرنسية : **IL jous son rôle**

٣١ - مَثَّلَ دورَه :

أقول : وهذا التعبير كالتعبير السابق قد استعير من اللغات الغربية . إن الفعل «مَثَّلَ » لا نعرفه فى فصيح العربية بهذه الدلالة التى استعيرت من عالم المسرح [١] .

وليس لنا مسرح فى العصور القديمة على نحو ما هو عند الأمم الأخرى . إن الفعل القديم « حكَى » للذى يقوم بتقليد أصوات الحيوان ونحو ذلك فيما ورد من أهل «السماجات»الذين أشار إليهم الجاحظ وأبو حيان التوحيدى ولا يمكننا أن نعدّه من باب التمثيل المسرحيّ .

و « الدور » هنا عمل الممثل على المسرح ومهمته الفنية التى يقوم بإظهارها . .

٣٢ - نَمَّى :

إن الذى يهمنى هو المصدر « تَنْمية » ، وهذا المصدر هو فى عصرنا من المصطلح

---

(١) أقول : لا نعرف من المسرح إلا موضع السرح للإبل والشاء . وكأن الذين أهتدوا إلى هذه الكلمة ليجعلوها مقابلا لـ « Thêâtre » أدركوا أن الذين يشغلون هذا الموضع يكون منهم فيه حركة وإنى لأذكر شيئاً قبل أكثر من نصف قرن وهو أن الشيوخ فى صباى يدعُون هذا الموضع « تياترو » وقد عمد المعاصرون إلى توليد فعل من « المسرح » فكان لهم « مَسْرَحَ » .

الفنى فى الشئون الاقتصادية والاجتماعية . إنه من الكلم الذى وجده المعاصرون لدى أهل العلم من الغربيين فى المصطلح .

وأعود إلى فصيح العربية فأجد : نَمَّيتَ النار تنميةً إذا ألقيتَ عليها حطباً وذكَّيتَها به ، ونَمَّيتَ النار : رفعتَها وأشبعْتَ وَقودَها ، وأين هذا مما نحن فيه ؟

وانتهيتُ من هذا الموجز الذى أوعبته جملة أفعال ذُهِبَ بها إلى غير ما عُرِفَ من دلالاتها القديمة فى عربيتنا المعاصرة .

ثم أتى بعد هذه الطائفة من الأفعال التى اكتسبت دلالة جديدة إلى أخرى ، وهى أفعال قد وُلدِّت من ألفاظ أعجمية أغلبها ذو طابع علمى فأقول :

٣٣ - أكْسَدَ :

وهذا فعل جديد صُنع من كلمة علمية فى الكيمياء الحديثة هى « أوكسيد» التى تفيد ما اتصل من عنصر الأوكسجين بمادة أخرى نحو أوكسيد الحديد وأوكسيد الكربون وغيرهما .

وعلى هذا يَكون الفعل « أكسد » بمعنى جعل المادة العلمية « أوكسيد » وكذلك منه المطاوع « تأكسَدَ » .

٣٤ - بَهْرَجَ :

أقول : هذا فعل أصله اسم قديم هو « بَهْرَجْ » وقد قيل فيه :

مكان بَهْرَجُ : غير حِمىً ، وقد «بَهْرَجَه » فتَبَهْرَجَ .

و« البَهْرَج » الشى ، المباح ، يقال : بَهْرَجَ دمَه ، ودرهم بَهْرَج : ردىء .

والدرهم البَهْرَج : الذى فضته رديئة وكل ردىء من الدراهم وغيرها : بَهْرَج .

وقالوا : هو إعراب « نَبَهْرَه » ، فارسىّ .

وقال ابن الأعرابىّ : البَهْرَجُ الدرهم المُبْطَل السكّة ، وكل مردود عند العرب بَهْرَج ونَبَهْرَج و« البَهْرَج » : الباطل والردىء من الشىء قال العجّاج :

وكان ما اهتَضً الجِحافَ بهرَجا

أى باطلاً .

وفي الحديث : أنه بَهْرَجَ دم ابن الحارث ، أي أبطَلَه .

وقالوا : واللفظة معرَّبة ، وقيل : هي كلمة هندية أصلها « نَبَهْلَه » ، وهو الرديء ، فنقلت إلى الفارسية فقيل « نَبَهْرَه » ثم عُرِّبت « بهرج » .

أقول : و (بهرج) الشيء في العربية المعاصرة ، بمعنى أظهَرَه بألوانٍ وصفاتٍ مخصوصة على التزويق في المظهر الذي يومىء إلى صنعة كاذبة .

٣٥ - تكتك :

أقول : هذا فعل مصنوع من الأصل «تكتيك » وهو الإنكليزية « Tactics » ويعني هذا العلم أو الفن الذي يُرَتَّب فيه أو تُدار القوى في الحرب .

غير أن الفعل المصنوع يراد به في عصرنا في لغة السياسة ما يُصنَع من الرأي أو يُصطَنع فيه .

على أن الفعل هذا قد يأخذه المعربون من كلمة « Tick » لما هو صوت من ضرب أو نحوه .

وليس لنا أن نقول : هو « طَقْطَقَ » الرباعيّ في العربية الذي يفيد الصوت المسموع من الطرق أو الضرب ، والأصل الثلاثي « طَقَّ » .

٣٦ - تَلْفَنَ :

أي تكلم في الآلة « الهاتف » التي هي « Téléphon » وهذا فعل جديد مصنوع .

٣٧ - خَمَّنَ :

أقول : إن الفعل في معجمات العربية ثلاثيّ « خمن » . وخَمَن الشيءَ يخمِنه خَمْناً وكذلك خَمَن يخمُن خَمُناً : قال بالحدس والتخمين أي بالوهم والظنّ .

قال ابن دريد : أحسبه مولَّداً .

والتخمين : القول بالحدس .

قال أبو حاتم : هذه كلمة أصلها فارسية عُرِّبت ، وأصلها من قولهم «خُمانا» على الظن والحَدْس .

أقول : والفعل رباعيّ بالتضعيف في العربية المعاصرة ، واستعماله كثير في

شئون الاقتصاد ومنه الوصف « المخمن » في الضرائب ونحو ذلك .

٣٨ – مَكْنَنَ :

أقول : هو فعل جديد وكذلك المصدر « مَكْنَنَة » ومعناه أخضع الشيء « للماكنة» أو قل جعل الماكنة والمكائن ، وهي الأجهزة الحديثة ، في العمل . ومن ذلك قولهم : « المكننة في الزراعة الحديثة » وهذه تعني إدخال المكائن في النشاط الزراعي .

وكذلك « المكننة » في أعمال الحساب « وضبط الجودة » في الصناعة الحديثة .

والأصل هو « Machine وما هو ميكانيكا Méchanica .

والأصل هو « Machine وما هو ميكانيكا Méchanica .

٣٩ – مَكْيَجَ :

أقول : إنه فعل جديد وجد في الميدان الفني في المسرح والسينما من أصل « مكياج » "Maquillage" أي استعمال مواد خاصة من ألوان وأصباغ ومظاهر أخرى من كساء ونحوه وهذا في الأجسام، وأما في الإنسان فهو أن يظهر الممثل على المسرح بهيئة في لباسه وفي صورته وشعر رأسه ونحو ذلك (١)

٤٠ – موسق :

أقول : هذا فعل جديد أخذ من الاسم « موسيقى » ، ويعني جعل الكلمة أو الكلام أو النص موسيقيا .

ومثل هذا استعمل العوام في عاميتهم في بلدان المشرق « موصل » أي نفخ في «الماصول» وهي أنبوب معدني صنع لإحداث الأصوات الموسيقية ينفخ فيه . وهو من غير شك من « مأسور » وجمعه «مواسير » وهي الأنابيب في اللسان الدارج .

---

(١) ومن هذا نجد في المصطلح الفني « دوبلاج » وهو من « Doublage » أي صنع نسخة أخرى من الرَّقّ السيمني أو شيء يقرب منه ، وقد أخذ المعاصرون في نصيحتهم العامية « دَبْلَجَ » وقالوا : دَبْلَجَ النصّ أي وضع له صورة منه .

٤٢ - هَرْطَقَ :

وهو فعل أخذ من « الهَرْطَقة » التى هى معرب " Hérétique " بمعنى «إلحادىّ » و « الهرطقة » هى الإلحاد .

إقول هذه جملة أفعال من أصل أعجمى أوعَبْتُها هذا الموجز فى العربية المعاصرة .

ولى أن ألحق المصادر التى استُحدِثت على « تَفعِلة » وهى :

٤٣ - تَهْوية :

وهذه من « الهواء » والمراد بـ «التهوية» إمرار الهواء والريح من أجل غرض معين هو الراحة أو إدخال الهواء فى حيز لأغراض الصناعة أو نحو ذلك .

أقول : والعربية فى إفادتها من الأسماء الحسّية لغة ذات سعة فى خلق المعانى التى ذهب إليها المعربون . ومن هذا أخذوا من الماء فى جمعه «أمواه» و «مياه» الفعل « مَوَّهَ » والأصل فيه إعطاء شكل الماء وصورته على الشىء»ومنه التمويه « فى الزينة والصنعة » إذ قالوا مثلا : إن « التمثال » أو « النصب » مموَّه بالذهب .

ومن هنا صار « التمويه » ضربا من الخداع والغش فى القول والعمل أى أن القول أو العمل قد غُطِّى عليه بلون أو صفة هما على غير الحقيقة .

٤٤ - تَوعية :

إنه مصدر للفعل المضاعف « وَعَّى » الذى لا نجده فى فصيح العربية ، ولعل المعاصرين وجدوه فى الألسن الدارجة .

و« التوعية » من الكلم الجديد الشائع ، يقال «التوعية الصحية » مثلا ، أى جعل الناس على وعى بالصحة العامة .

ولى هنا أن أضيف مصادر صناعية خرج فيها المعاصرون على القياس المعروف فزادوا فيها واوا فقالوا : الإرادوية ، والحداثوية ، والعلموية ، والنهضوية وغيرها .

والمعاصرون لا يبالون بـقواعد العربية فى الأبنية وهم يحسبون أن العصر يقتضى التجديد بالخروج عن الثوابت .

وقـالوا : « الـبـنيـويـة » وصـوابهـا «البنوية» كما تنـسب إلى « لحية » فنقول : « لِحَوى » .

كلمة أخيرة :

وبعد فهـذا موجز وضعته فى «الـعربية المعاصرة ومـعجمها» أشيـر به إلى أن هذا الدرس ينبغى أن نمضى فيه بعيداً عن الخطأ والصواب .

إبراهيم السامرائى

عضو المجمع من العراق

من مقوّمات المعجم العلمى العربى المتخصص (*)

للدكتور محمود مختار

السيد الأستاذ الدكتور إبراهيم مدكور .

رئيس المجمع والمؤتمر .

السادة الزملاء أعضاء المؤتمر .

من المسلم به أن اللغات العلمية قد أصبحت اليوم من أهم روافد اللغات الحية التى يستخدمها الإنسان المعاصر فى حياته اليومية ، حتى أنها أتخذت تعبيراً عن مدى رقيّه وحضارته ، وقد سبق أن فتح علماء العرب آفاق العلم التجريبى الذى جعل من اللغة العربية لغة للعلم كما هى لغة للدين وللأدب . ومَرَّت اللغة العربية العلمية بعصر انفتاح على اللغات العلمية العالمية آنئذٍ كاليونانية وغيرها إبان القرون من العاشر إلى الثانى عشر ، واستوعبت كل ما وجدته فيها من علوم كما أنها أعطت بقدر ما أخذت منها .

ومنذ أواخر القرن الرابع عشر أخذ عهد من الظلمة يخيم على الوطن العربى حتى راح فى سبات إمتد نحو خمسة قرون ومع إطلالة القرن التاسع عشر بدأت هذه الظلمة تنقشع شيئا فشيئا . وكان للحملة الفرنسية أثرها فى فتح الأعين على الحضارة الأوربية التى كان ازدهارها قد بدأ ، وفى أعقاب هذه الحملة أرسل محمد على والى مصر البعثات للتعلم والتخصص فى الدول الأوربية وحرص على تكليف أعضائها بترجمة العلوم ونقلها إلى مصر ليصبح العلم والتعليم عربيا .

وعندما أبتلينا بالحكم الإنجليزى فى مصر لم يقصر احتلاله على الشئون العسكرية والاقتصادية بل تعداه إلى لغة التعليم فحولها إلى الإنجليزية بحجة قصور اللغة العربية عن استيعاب الألفاظ العلمية التى أوجدتها الحضارة الحديثة .

(*) ألقى هذا البحث فى الجلسة الثالثة من جلسات المؤتمر يوم الأربعاء ٢٢ من شوّال سنة ١٤١٣ هـ الموافق ١٤ من أبريل سنة ١٩٩٣ م .

وفى إثر الحرب العالمية الأولى تفتح الوعى فى مصر على ضرورة تعريب العلوم وهدم تلك الحجة بمنطق واع يقول : بأن كلاً من استيعاب الطالب للدرس، وكفاءة المدرس فى الشرح تزداد زيادة كبيرة عندما يتخاطب الطالب والمدرس بلغة الأم . كانت هذه بادرة إنشاء مجمع اللغة العربيةفى مصر الذى وضع اللغة العربية العلمية ضمن إهتماماته . فقد لمس المجمع منذ أول عهده - وكأنه كان يقرأ فى صحف الغيب - ما سوف تكون عليه منزله اللغة العلمية العربية من شأن فى جميع مناحى الحياة الحاضرة والمستقبلة ، فنصَّ عليها فى قانون إنشائه ووقف جُلّ نشاطه عليها وفتح صدره مرحبا بالعلميين فى عضويته للاشتراك مع سَدنة اللغة العربية وحُفَّاظها فيه للعمل معا على وضع حجر الأساس فى إقامة صرح اللغة العلمية العربية . وسرعان ما أتى الغرسُ ثمارَه بإخراج معاجم علمية متخصصة مكتوبة بروح العصر ولغته ومسايِرَة لنهج الحضارة الحديثة وإنجازاتها العلمية والتقنية فى مجالات مختلفة . وأصبحت اللغة العلمية العربية ركنا هاما فى بناء اللغة العربية المعاصرة . ومن ثم أصبح تعريب العلوم قضية قومية لها مقوماتها وأسانيدها وعقدت لها المؤتمرات والندوات فى جميع أقطار الوطن العربى . وظهرت المعاجم العلمية العربية المتخصصة لتكون عنصرا هاما فى تنشيط حركة تعريب العلوم فى شتىً التخصصات وتقبلها الدارسون والباحثون بقبول حسن وأحلوها مكانها الشاغر فى مكتباتهم ومعاملهم وبحوثهم .

واليوم وقد خرج عدد من هذه المعاجم إلى الحياة العملية منذ أكثر من حقبتين، فقد أصبحت فى حاجة إلى وقفة متأنية لتقييم مسارها وتقويمه إذا لزم الأمر لتصبح أكثر تجاوبا وتوافقا مع متطلبات العلم والتطبيق المعاصر . وذلك هو الأسلوب السوِّى الذى تَفرِضُه سنَّة التطور والارتقاء فى جميع جوانب الحياة . وسوف تتناول هذه الوقفة الحديث عن بعض مقومات المعجم

العلمى المتخصص بعرض بعض التساؤلات التى قد تفيد ما نقصده من دراسة وتطوير.

وأبدأ بالتساؤل البديهى الأول وهو : لمن يوضع المعجم العلمى المتخصص ؟ وكيف يمكن أن يكون أكثر مواءمة لأغراض مستخدميه ؟

والإجابة على الشق الأول واضحة ، فهو يخدم فئات عريضة من الأفراد الدارسين والمشتغلين بالعلوم البحتة والتطبيقية كل فى مجال تخصصه ، كطلبة الكليات العملية والمعاهد والقائمين على التدريس فيها (بالعربية أو بالإنجليزية) والعاملين فى مجالات البحث العلمى والتطبيقى كالأطباء والمهندسين والزراعيين والفنيين والإعلاميين ، كما يخاطب المثقفين بصفة عامة . ومن الواضح أن جميع أفراد هذه الهيئات هم على دراية بلغة أجنبية (غالبا هى الإنجليزية) وهم كثيراً ما يكونون فى حاجة لمعرفة مقابل عربى لمصطلح أجنبى يقابلهم فى دراساتهم أو قراءاتهم أو مؤلفاتهم .

وقد يكونون أحيانا فى حاجة لمعرفة مصطلح أجنبى للفظ عربى ليسهل عليهم التعرف على دلالته العلمية من اللغة التى أخذ عنها . وفى كلتا الحالتين يلجأون إلى المعجم العلمى العربى المتخصص الذى يعمل فى اتجاهين . وهذا معناه أنه من الضرورى أن يزود المعجم الذى يتبع الهجائية الأجنبية فى ترتيبه بفهرس بالهجائية العربية . وهذا أول مقوّمات المعجم المتخصص .

والتساؤل الثانى هو استطراد لما قبله . وهو:من يضع هذا المعجم ؟

وهذا تساؤل قديم أجاب عنه العلماء العرب المتخصصون منذ أكثر من ألف عام من أمثال الخوارزمى الذى وضع معجم مفاتيح العلوم وابن سينا والبيرونى وغيرهم. وهم الذين نقلت أعمالهم إلى الغرب وأصبحت نواة لثورة علمية جديدة فى الدول الأوربية ، ومنذ ذلك الحين زاد الاهتمام بإخراج معاجم علمية متخصصة شاملة فى البلاد الأوربية سرعان ما

تضخمت وتطورت بتقدم العلوم حتى وصلت إلى المستوى الذى نلمسه اليوم فى معاجم من أمثال وبستر ولاروس وأكسفورد وغيرها .

وبانفتاح الدول العربية على الحضارة الأوربية فى بداية القرن العشرين ظهرت فيها الحاجة ملحة إلى معاجم ثنائية متخصصة تأخذ عن المعاجم العلمية الحديثة وتصبح نواة لتعريب العلوم إستجابة للهدف القومى الكبير فى جميع أرجاء الوطن العربى . وأصبح إخراج المعاجم العلمية دراسة تخصصية تتطلب من واضعها إلى جانب المعرفة التامة بلغتى الأصل والفرع مستوى عاليا من التخصص فى مادة المعجم نفسه ودراية بمتطلبات المعاجم الحديثة . ولا أنكر أن عددا من المعاجم قد لاقى بعض النجاح فى بدء النهضة العلمية العربية التى واكبت المسيرة العلمية آنذاك . إلا أن الحاجة اليوم تدعو إلى تطورها ونموها لمسايرة اطّراد التقدم فى الحياة العلمية عامة . وهذا ما تقصر عنه الاجتهادات الفردية مهما علت ، ولا يقوى عليه إلا هيئات رفيعة المستوى كمجمع لغة أو ما يماثله يتألف من علميين ولغويين ومعجميين يعملون تحت مظلة قوية مستقرة وفق نهج موضوع لهم من هيئة عليا كاتحاد المجامع تضع له الخطوط العريضة للتنسيق والتخطيط . وبهذا يصبح ملزما لكلّ من يعمل فى ميدان المعاجم والمصطلحات وشئون التعريب وتخرج أعمالهم متناسقة إن لم تكن متطابقة . وغنىٌّ عن البيان أن إخراج معجم علمى متخصص على أية صورة من صوره ليس هدفا ينتهى بإصداره أو حسن استقباله . بل إنه عمل مستمر متواصل ينمو كمًّا وكيفًا مسايرا للتقدم العلمى نفسه الذى ينمو ويتقدم بلا حدود . وعلى الهيئة التى تخرج هذا المعجم أن توالى تطويره وتنميته كمّا وكيفا بإخراج طبعات متعاقبة تساير حاجة المجتمع العلمى لمزيد ومزيد من المصطلحات التى يتطلبها التقدم العلمى . وفى رأيى أن هذه هى الوسيلة الوحيدة التى تبعدنا عن دائرة

الاجتهادات الفردية التى غزت الوسط العلمى حديثا وأثارت الكثير من البلبلة والترددية بين العاملين مما أفقدهم القُدْرة على التخاطب والتعاون فيما بينهم . أسوق دليلا على هذا ما وضعته هيئة اليونسكو من كتاب فى الرياضيات باللغة الإنجليزية ترجم فى خمسة أقطار عربية وفقا لمصطلحات فردية اجتهادية ورموز متغايرة ،فلم يدر الدارسون أيها يتبعون وعادوا إلى دراستهم بالإنجليزية أضف إلى هذا كله أن الاجتهادات الفردية مهما علت قيمتها فإنها سوف تفقد صفة الاستمرارية والتطوير بانقطاع صاحبها عن نشاطه إن عاجلا أو آجلا . .

وثمة تساؤل ثالث يفرض نفسه على سياق الحديث وهو:منهجية المعجمات ، أى أسلوب وضع المصطلح سواء كان بالترجمة أم بالتعريب . فأقول لقد حاولت بعض الهيئات القائمة على شئون المعجمات ومصطلحاتها ومنها مجمعنا بالقاهرة وضع بعض الأسس لهذه المنهجية مبنية على ما استقرت عليه مجالسها أو مؤتمراتها من مبادىء كان منها :

١ - إن المصطلح فى مفهومه ودلالته لفظ يصطلح عليه أهل التخصص ليصبح وسيلة يتم بها التواصل والتفاهم فيما بينهم أى أنه كُتلة صوتية واحدة ذات معنى محدد واحد ودلالة علمية واحدة فى مجال استخدامه ، يستوى فى ذلك إن كان مترجما أو معربا أو دخيلا . وهذا يعنى أن قيمة المصطلح تتحدد باستساغته والإجماع عليه من المختصين أولا بعد تهذيبه من اللغويين . كما يلزم أن يكون متسقا مع بقية المصطلحات القريبة منه وقابلا للنمو إما بالاشتقاق أو بالإضافة .

٢ - ضرورة كتابة المصطلح العربى مشكولا فى المعجم حتى تصح قراءته ويستدل على دلالته مباشرة دون حاجة للرجوع إلى تعريفه لإمكان قراءته قراءة صحيحة .

٣ - ضرورة تعريف المصطلح فى المعجم . وهذا أمر ملزم لا يمكن تجاوزه .

ويكون التعريف عادة مقتضبا الغرض منه هو التعرف على دلالته باختصار دون التوسع فى جوانبه التعليمية وبدون التعريف يفقد المصطلح أهم صفاته ويفقد المعجم معه أهم مقوماته كمعجم علمى عملى مفيد .

والتساؤل الرابع : عن إثراء اللغة العربية العلمية وتطعيمها بألفاظ محدثة .

فمن المعلوم أن المعجمات العلمية العربيه المتخصصة حديثة عهد في الوطن العربى. وهى وإن كانت قد بدأت قليلة محدودة إلاّ أنها أثرت اللغة العربية بدرجة محسوسة. فضلا عن أن اطراد التقدم العلمى بسرعة فائقة قد أغرق اللغة العلمية الأجنبية بسيل منهمر من المصطلحات الحديثة التى يلزم استيعابها فى معاجمنا بطريقة أو بأخرى .

ولما كان من المعلوم أن اللغة العربية لغة اشتقاقية ، فإنها مهما امتدّت واتسعت فسوف تصل إلى حدود تهدىء من سرعتها وربما توقفها . ويعنى ذلك أن السيل المنهمر بلا حدود فى الحاضر والمستقبل لا يمكن استيعابه بتحميل الاشتقاق أكثر مما يحتمل . ويصبح من الضرورى أن نبحث عن إمكان تنمية الثروة اللفظية العلمية بوسيلة أو بأخرى من الوسائل التى استخدمتها اللغات الأوربية ومكنتها من استيعاب المصطلحات المنهمرة بسهولة مهما تعددت وامتدت فى الحاضر والمستقبل.

تلك هى الصفة الإضافية فى اللغات الأوربية . ومنها استخدام السوابق واللواحق على نطاق واسع . فهل يمكن الاستعانة بها فى لغتنا على نطاق واسع أيضًا . أقول على نطاق واسع إذ أنها ليست غريبة تماما عن لغتنا العربية . وقد أمكن استخدامها واستساغتها فى مجالات تخصصية عديدة بنجاح كالطب والصيدلة وكثير من العلوم التطبيقية ، بعد أن وُضع لها نهج يحكم قبولها ، أساسه عدم الجمع بين سابقة (أو لاحقة) من أصل عربى إلى لفظ غير عربى ، والعكس بالعكس ، أى عدم الجمع بين سابقة أولاحقة من أصل أجنبى إلى لفظ عربى الأصل والأمثلة على ذلك كثيرة .

وثمة وسيلة أخرى تساعد على استيعاب العديد من المصطلحات هى استخدام الرموز والإشارات والتراكيب الرياضية أو الكيميائية وما إليهما بصورتها التى أقرتها الهيئات العلمية العالمية دون تغيير، ولا يخفى ما لهذا الوضع من أهمية فى التيسير عند كتابة المعادلات فى جميع اللغات بصورة واحدة. وقد سبق أن أقر مؤتمر عمان للرموز هذا الإجراء منذ نحو خمس سنوات .

سيدى الرئيس :

سادتى الأعضاء :

أعود فأذكر أن ما عرضته اليوم من المقومات والآراء إن هو إلا محاولة لتقدم المعاجم العربية العلمية المتخصصة خطوة نحو أداء رسالتها وتطويرها لاستيعاب متطلبات العلوم والتكنولوجيا الحديثة . والتطوير هو سُنَّةٌ من سنن الحياة للتقدم والتنمية، وسيلته هى الاستخدام والممارسة، وغذاؤه هو النقاش والمحاورة، وهدفه هو الوصول باللغة العلمية العربية إلى مستوى اللغات العلمية الأجنبية والتفاعل معها على قدم المساواة بالأخذ وبالعطاء .

والله تعالى ولى التوفيق .

محمود مختار

عضو المجمع

معاجمنا العلمية المتخصصة بين الأصالة والمعاصرة (*)

للدكتور محمود حافظ

قد لا يختلف اثنان فى أن العلم واللغة كائنان حيان متلازمان لا يفترقان فلا حياة لعلم بدون لغة تؤديه ولا سبيل إلى النهوض به والإنطلاق به نحو آفاق رحبة من التقدم إلا بتدارس المشتغلين به بلغتهم الوطنية - وقد أتى على الأمة الإسلامية حين من الدهر تألقت فى سمائها نهضة علمية زاهرة بلغت أوجها منذ نيف وألف سنة فى عصر الخليفة المأمون (٧٨٦ - ٨٣٣م) حين أخذ المسلمون ينهلون من موارد العلم ويترجمون الكتب الإغريقية والسريانية والفارسية وينقلون إلى اللغة العربية مختلف الذخائر العلمية وقد حمل لواء هذه الحركة العلمية العارمة التى امتدت بعد ذلك بضعة قرون عدد من العلماء العرب الأعلام قاموا بأروع الإنجازات العلمية وكتبوا أعظم المؤلفات وأضافوا إلى هذه التراجم الكثير من مبتكراتهم - كان ذلك العصر عصرا ذهبيا بالنسبة للغة العربية لغة للعلم زخرت بآلاف المقابلات والمصطلحات والمأثورات فى مختلف فروع العلم التى تناولها العلماء العرب بالدراسة وبرزوا وعلموا غيرهم وأخذ عنهم علماء عصر النهضة الأوربية ما شاء لهم أن يأخذوا من هذا المعين الزاخر بالمعارف العلمية والإنسانية كما لازلنا نحن المشتغلين بالعلوم ننهل حتى اليوم من نبعهم الفياض كؤوساً مترعة من العلم والمعرفة تبهرنا فيها تلك الثروة الهائلة من لغة العلم فى الكيمياء والفيزياء والطب والنبات والحيوان والفلك والرياضيات وعلوم الجيولوجيا والصيدلة وغيرها وذلك فى كتب ابن سينا والبيرونى والكندى وابن حيان والزهراوى والرازى وابن الهيثم

(*) ألقى هذا البحث فى الجلسة الرابعة من جلسات المؤتمر يوم السبت ٢٥ من شوال سنة ١٤١٣ هـ الموافق ١٧ من أبريل سنة ١٩٩٣ م

الذى سبق فرانسيس باكون بعدة قرون فى إرساء المنهج العلمى وابن النفيس الذى سبق هارفى فى الكشف عن الدورة الدموية الصغرى والأدريسى الذى حقق عدة مئات من أنواع النبات وأورد أسماءها باللغات السريانية واليونانية والفارسية والهندية واللاتينية والجاحظ والخوارزمى والدينورى والبغدادى وابن سيده وابن البيطار والقرطبى والقزوينى والدميرى وغيرهم .

وجدير بالذكر أن المعين الزاخر من المصطلحات والمقابلات التى حفلت بها كتب هؤلاء العلماء قد واكبت نهضة علمية معجمية حمل لواءها عدد من أسلافنا العلماء أمثال الخوارزمى (٣٨٧ هـ - ٩٩٧م) وهو شيخ من شيوخ القرن الرابع الهجرى الذى يعد العصر الذهبى للثقافة الإسلامية والعلوم العربية ألم بفروعها وأصولها وأتسم بالطابع الموسوعى وألف كتابه الشهير « مفاتيح العلوم للخوارزمى » وقد برز فى علوم كثيرة أشهرها الرياضيات والفلك وهو أول من ألف فى علم الجبر وفى علم الحساب وقد ترجمت كتبه إلى اللاتينية كما يرجع إليه الفضل فى التعريف بالأرقام الهندية وكان يجيد العربية والفارسية ولنه فى ما يبدو إلمام بالسريانية واليونانية .

والخوارزمى رائد من رواد المعاجم العربية المتخصصة ولكتابه « مفاتيح العلوم» شأن خاص فى توضيح تطور المصطلح العلمى العربى وتتبع مصادره الأساسية من وضع أو تعريب وقد كشف عنه حديثا المستشرق الهولندى « فان فولتن » فى أخريات القرن التاسع عشر واهتم به من بعده الدارسون والباحثون .

وبعد بضعة قرون أخرج العالم الموسوعى الكبير التهانوى (محمد بن محمد صابر الفاروقى) مؤلفه الكبير الذى أسماه «كشاف إصطلاحات العلوم والفنون» والتهانوى كما يقول أستاذى الدكتور إبراهيم مدكور فى بحثه الرائد عن المعجات العربية المتخصصة عالم من رجال القرن الثانى عشر الهجرى والثامن عشر

الميلادى (١١٥٧هـ - ١٧٤٥ م) ومن أعلام الفكر الإسلامى فى الهند نشأ فى بيت علم واستوعب العلوم المختلفة وألم بفروعها ومصطلحاتها وأتسم بطابع موسوعى فسيح يذكرنا بكبار مفكرى الإسلام فى العصر الذهبى ويعتبر كشافه من أكبر المعجمات العربية المتخصصة المرتبة ترتيبا أبجديا ويشتمل على مصطلحات فى العلوم المختلفة ومنها مصطلحات الرياضيات كالهندسة والحساب .

وقد كان للعرب اليد الطولى فى إخراج المعاجم وقد بزوا غيرهم ويقول المستشرق الإنجليزى « هاى وود » فى مؤلفه الشهير عن المعاجم العربية « الحقيقة أن العرب فى مجال المعاجم يحتلون مكان المركز سواء فى الزمان أو المكان بالنسبة للعالم القديم وبالنسبة للشرق والغرب ويؤكد فى موضع آخر أسبقية العرب لغيرهم كالهنود كما « ذكر هاى وود» أيضاً فى مقال نشر فى مجلة جامعة « درهام فى ديسمبر عام ١٩٥٧ تأثر النشاط المعجمى الأوروبى فى عصر النهضة الحديثة بسابقه العربى - ومن يستعرض التاريخ المعجمى يرى أن العربية غنية غناء ملحوظاً بمعاجمها بل لا تكاد تجاريها أمة من الأمم فى القديم والحديث وقد ألفت المعاجم فى وقت مبكر من تاريخها بدءا من القرن الثانى الهجرى وتنوعت تلك المعاجم بحيث لم تترك مجالا إلا طرقته وأغنته .

وبعد هذه النهضة العارمة دار الزمن دورته وخيم على الأمة العربية طوال القرون الثلاثة التي سبقت القرن التاسع عشر تخلف رهيب نتيجة لإستعمار جثم على صدرها وأنعكست آثاره على اللغة العربية والعلوم والمعارف الإنسانية - وفى مطلع القرن التاسع عشر بدأت صحوة عربية للحاق بركب الحضارة ودعوة قوية أن تعيد الأمة للعلم واللغة العربية سابق مجدها وبدأ فى مصر (وكذلك فى شقيقاتها العربيات) نشاط مرموق فى حركة الترجمة والنقل إلى العربية ووضع المصطلحات ففى عام ١٨٣٣ وما

بعده تمت فى مصر ترجمة ستة وثمانين (٨٦) كتابا أجنبيا فى عدة فروع لعلوم الطب والصيدلة كما قام عدد من المبعوثين الأوائل بعد عودتهم من فرنسا بالتدريس فى المعاهد العليا وقدموا إلى المكتبة العلمية رصيدا ذا بال من معرباتهم ومؤلفاتهم منهم على سبيل المثال الجراح محمد على البقلى الذى ألف عدة كتب فى الجراحة . محمد الشافعى فى الأمراض الباطنية ، محمد ندى فى النبات والحيوان والجيولوجيا والفيزياء ، وعلى رياض فى الصيدلة والسموم ، محمد الدرى فى الأمراض الوبائية ، محمد بيومى فى الحساب والجبر والهندسة الوصفية ، محموذ الفلكى الذى عاد من بعثته عام ١٨٥٩ وكانت له إنجازات يعتد بها فى علم الفلك وقد شارك علماء اللغة فى النهضة العلمية فكان منهم خبراء وعلماء متخصصون مثل محمد عمر التونسى مؤلف معجم الشذور الذهبية فى الألفاظ الطبية ، إبراهيم الدسوقى الخبير فى مصطلحات العلوم الرياضية وشيخ المترجمين فى عصره رفاعة رافع الطهطاوى (١٨٠١ - ١٨٧٣) فى ألفاظ الحضارة والفنون والعلوم الحديثة وغيرهم من رواد القرن التاسع عشر .

وفى أوائل القرن العشرين أنشئت الجامعة المصرية فى تكوينها الأهلى عام ١٩٠٨ ثم فى تكوينها الحكومى عام ١٩٢٥ فكانت فاتحة لنهضة علمية وثقافية حديثة فى مصر استعادت فيها اللغة العربية مكانتها مرة ثانية بعد إحتلال بريطانى (١٨٨٢) باعد بين اللغة العربية والعلوم الحديثة - وقد واكب هذه النهضة نشاط فى حركة التعريب وجمع المصطلحات وتحقيقها وإصدار بعض المعاجم العلمية المختصصة نذكر منها معجم أسماء النبات للدكتور أحمد عيسى والذى صدر فى عام ١٩٢٦ شاملا كل ما عرف من أسماء النبات فى المصنفات العربية - وفى العام نفسه صدر قاموس الدكتور محمد شرف فى العلوم الطبية والطبيعية وقد شمل وضع مقابلات وشروح باللغة العربية للمصطلحات الأجنبية وقد غنى أشد

العناية بالرجوع إلى ماكتبه الأسلاف من العرب وما كتبه المستشرقون ويضم هذا المعجم أكثر من أربعين ألف مصطلح ومعجم آخر هو معجم الحيوان للفريق أمين المعلوف صدر فى عام ١٩٣٢ ولو أنه يقول إنه بدأ فى جمع مادته منذ عام ١٩٠٨ ويضم ١٥٠٠ ألفا وخمسمائة من أنواع الحيوان موصوفة وصفا علميا باللغة العربية وقد أورد اسم الحيوان باللغتين العربية واللاتينية ومعجم رابع هو معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابى الذى صدر فى عام ١٩٤٣ ولكنه ظل يجمع مادته ويحققها طوال عشرين عاما قبل ذلك التاريخ ويشتمل المعجم على تسعة آلاف (٩٠٠٠) لفظ فرنسى أو علمى وما يقابله باللغة العربية ويقول إن من بين الألفاظ العربية المذكورة ثلاثة آلاف لفظ على الأقل هى من وضعه أو تحقيقه لم يسبقه إليها أحد من أصحاب المعجمات الأعجمية العربية .

هذه أمثلة فقط لجهود معجمية رائدة لأربعة من العلماء فى الوطن العربى تلتها جهود أخرى قيمة فى إصدار المعاجم العلمية المتخصصة ولعل كلمة معجم من أعجم الشيء أزال غموضه وأوضح مدلوله وهو - كما يقول الدكتور الجرح - دون كثير عنت كل قائمة تجمع كلمات من لغة ما على نسق منطقى ما وتهدف إلى ربط كل كلمة منها بمعناها وإيضاح علاقاتها بمدلولها وهذا فهم عام لكلمة معجم يغطى كثيرا من ألوان النشاط المعجمى ويصدق عليها سواء فى ذلك ما ذكره أستاذنا الجليل الدكتور مدكور من أن من المعاجم ما اقتصر على المصطلح ولم يخلط به شيئا سواه وهذا أساس المعجم العربى المتخصص أو ما التزم بالترتيب الأبجدى وهذا دعامة التأليف المعجمى اليوم أو ما نحا نحوا موسوعيا مهد لظهور دوائر المعارف الحديثة .

سادتى العلماء

لعل أعظم إنجاز قومى وعربى فى العصر الحديث أخذ بيد اللغة العربية وخطا بالنشاط المعجمى خطوات فسيحة إلى الأمام هو إنشاء المجامع اللغوية بالوطن العربى ففى مصر وفى عام ١٩٣٢ أنشئ مجمع اللغة العربية ولو أن محاولات

أخرى جادة فى هذا السبيل قد سبقت إنشاءه فى مطلع هذا القرن حمل لواءها نادى دار العلوم عام ١٩٠٨ ومجمع دار الكتب عام ١٩١٦ وسبقت هذه المحاولات أيضا دعوة إلى ذلك فى أخريات القرن التاسع عشر عام ١٨٩٢ فيما عرف باسم مجمع البكرى وكان عبدالله النديم قد مهد لهذه الدعوة فى العام نفسه - وقد تحقق بإنشاء مجمعنا هذا أمل عزيز طالما تطلع إليه أهل العلم واللغة والأدب فى مصر ليقوم بدوره البناء نحو اللغة العربية والحفاظ عليها وعلى أصالتها وتراثها ونحو النهوض بها وتطورها وجعلها وافية بمطالب العلوم والآداب والفنون وملائمة للحياة العصرية المتطورة ودراسة المصطلحات العلمية وإصدار المعجمات وغير ذلك فى مختلف المجالات .

ولما كانت المعاجم العلمية المتخصصة تعتمد فى المقام الأول على المصطلحات العلمية فهى لحمتها وسداها فقد أهتم مجمع اللغة العربية منذ نشأته بموضوع المصطلحات ووقف عليها قسطا كبيرا من جهوده ورسم على مر السنين منهجا واضحا لوضع المصطلح العلمى والتعريف به كما عمل على توحيده - وفى سبيل ذلك أنشأ المجمع لجانا علمية فى فروع العلم المختلفة ودعا إليها كوكبة من العلماء والباحثين فى مختلف التخصصات وقد توفر هؤلاء على إنجاز عشرات الآلاف من المصطلحات العلمية والفنية.وهم يواصلون القيام بهذه المهمة حتى اليوم وقد أخرج المجمع ما أقره منها فى أربعة وثلاثين (٣٤) مجموعة من مجموعات المصطلحات التى يصدرها تضم نحو ثمانين ألف (٨٠,٠٠٠) مصطلح كان نصيب المصطلحات العلمية المتخصصة منها ما يزيد على ستة وأربعين ألف (٤٦,٠٠٠) مصطلح علمى متخصص وذلك عدا عدة آلاف أخرى سيأتى دورها فى الطبع والإصدار بما قد يصل بحصيلة المصطلحات إلى أكثر من مائة ألف (١٠٠,٠٠٠) مصطلح فى شتى الفروع .

ويسير المجمع على نهج واضح ومستقر لوضع المصطلحات العلمية يلتزم به

فحيـن تتصدى الـلجان العلـمية لتـرجمة مصطلح أو تـعريبه تدرس المصطلـح معنى ومبنى وأصله اللاتينـى أو اليونانى وتبحث عن أفضل المقابلات له وقد ترجع فى ذلك إلى المعاجم الـلغوية القديمة والحـديثة وقد نجد مـقابلا أو مـأثورا دقيقـا غير مـطروق يؤدى المعنى فتأخذ به ليـشيع استعماله مثل كلمة أيض بدلا من تحول غذائى ثم يعرف المصـطلح تـعريفـا علـميا دقـيقا - ويـمر المصطلح فى مراحل مـن الدراسة والمناقشة والتمحيص كفيلة بـصقله وصوغه الصياغة المثلـى بدءا باللـجنة العلـمية المختـصة ثم مجلس المجـمع ثم مؤتمره السنـوى وتلتزم اللجان العلمية فـى عملها بما سبق أن أقره مجلس المجمع ومؤتمره فى الدورة الخامسة والأربـعيـن من مـبادىء أسـاسيـة عامـة وتوصيـات وقواعد أرساها خاصـة بوضع المصـطلحـات العلمـية كان قـد تقدم بـها للمجمع الأستاذ الدكـتور محمود مختار شملـت أربعة مبادىء عـامة واثنتـى عشرة توصية منها الأخذ بالإشتـقاق فقلنا مؤكسد وأكسدة من أكسـيد وبالنحت فقلنـا كحللة أى تحلل بالـكحول وحلمأة أى تحـلل بالماء وبالسوابق فقلنـا لاهوائى وقبل فمى وفوق بنفسجية وباللواحـق فقلنا غروانى وقلوانى كمـا راعينـا فى بعـض الحالات أن يتـفق المصـطلـح العربـى مع الـدلالة العـلمـية للمـصطلح الأجـنبى دون التـقيد بدلالـته اللفظية فمثلا نقـول فى مصطلحات النفط (مكتب الحفار مقابل Dog house) وممشى ضيق مـقابل Cat's walk وبئر نائيـة مقابل Australian well وغرفة كاتمة مقابل Dead room كما راعينا أن يؤدى المصطلح الواحد بلفظ واحد ما أمكن ليكون صالحا للإشتقاق منه والنسبة والإضـافة إليه وتثنيتـه وجمعه وأن يتسم بالدقة والوضوح وبخاصة فى الألفاظ الأجـنبية المتـقاربة فى مـدلولها ومـا تجدر الإشارة إلـيه أن التقـدم المذهل فى مـجال العلم والمعرفة والإيقاع السريع الذى نشهده اليوم فى ثـورة العلوم الحديثة والمسـتحدثة كثورة الهندسة الوراثية والتكنولوجيا الحيوية وثورة المـعلومات والحـاسبات والاتـصالات وعلوم الـفضاء وغيـرها كل ذلك قـد جاء الينا بسيـل منهمر من المصطلحات الجديدة

فإذا استعصى علينا أن نجد لها المقابلات العربية المناسبة لجأنا إلى التعريب كما عرب العرب قديما فأخذوا عن اليونانية والهندية والسوريانية والفارسية والتركية وكما عرب المحدثون عن الأسبانية والإيطالية والإنجليزية والفرنسية ومع ذلك فإن اللغة العربية كانت ولاتزال من الغناء والثراء بحيث تستوعب الكثير مما تفرزه هذه الثورات العلمية الحديثة من مصطلحات وذلك مصداقا لما قاله المستشرف الألمانى (فون جرونباوم) فى مقدمته لكتاب «تراث الإسلام » إن اللغة العربية لغة عبقرية لاتدانيها لغة فى مرونتها وإشتقاقها وهذه العبقرية فى المرونة والإشتقاق اللذين ينبعان من ذات اللغة جعلتها تتسع لجميع مصطلحات الحضارة القديمة بما فيها من علوم وفنون وآداب وأتاحت لها القدرة على وضع المصطلحات الحديثة لجميع فروع المعرفة وكذلك يقول المستشرق الألمانى بروكلمان « إنه بفضل القرآن بلغت اللغة العربية من الإتساع مدى لاتكاد تعرفه أى لغة أخرى .

سادتى العلماء

بعد أن تكونت لدى المجمع منذ دوراته الأولى حصيلة ضخمة شملت عشرات الآلاف من المصطلحات العلمية المشروحة والمعرَّفة بدأ منذ أكثر من ربع قرن فى إصدار عدة معاجم علمية متخصصة تباعاً فصدرت فى عام ١٩٦٥ الطبعة الأولى من معجم الجيولوجيا (١٥٠٠) مصطلح ثم أخذت اللجنة المختصة تنقح وتهذب وتضيف وتجدد بعد أن توافر لديها كم هائل من المصطلحات الحديثة فصدر المعجم فى طبعته الثانية الموسعة عام ١٩٨٢ شاملا قرابة خمسة آلاف (٥٠٠٠) مصطلح فى مجالات الجيولوجيا الطبيعية وعلم الصخور وعلم البلورات والجيولوجيا الاقتصادية والجيوفيزيقا والجيولوجيا التطبيقية - وقد زود المعجم (٦٤٠ صفحة من القطع الكبير) بفهرس هجائى عربى شامل للمصطلحات وبنحو ٢٣٨ رسما توضيحيا كما عنى بتوحيد المصطلح ما أمكن وبدقة تعريفه .

معاجم الفيزيقا والحاسبات

(ثلاثة معاجم: ٦٩٠٠ مصطلح)

أصدر المجمع فى عام ١٩٧٤ معجم الفيزيقا النووية والألكترونيات شاملا ألفا ومائتى (١٢٠٠) مصطلح علمى فى هذا المجال ثم أتبع بمعجم الفيزيقا الحديثة الذى صدر الجزء الأول منه عام ١٩٨٤ والجزء الثانى عام ١٩٨٦ شاملين خمسة آلاف (٥٠٠٠) مصطلح علمى تناولت جميع فروع علم الفيزيقا وتطبيقاته وقد زود كل من المعجمين بفهرس هجائى عربى للمصطلحات وقد أتسمت جميع المصطلحات بالدقة العلمية والوضوح والالتزام الشديد بما أقره المجمع من قواعد ومبادىء بالنسبة لوضع المصطلحات العلمية .

وبالنسبة لمعجم الحاسبات فقد صدر فى عام ١٩٨٧ شاملا سبعمائة (٧٠٠) مصطلح وهو ثمرة من ثمار العلم الحديث الذى يتناول المعالجة الإلكترونية للمعلومات وقد ركز فى المعجم على المصطلحات الأساسية للحاسبات الإلكترونية التى أخذت تغزو اللغة العربية - واللجنة المختصة بصدد إخراج معجم وسيط فى هذا التخصص الحديث يكون أكثر شمولا ومواكبا للتقدم السريع والتطور المتلاحق فى هذا المجال .

معجم المصطلحات الطبية (٩٠٠ مصطلح)

صدر الجزء الأول من هذا المعجم عام ١٩٨٥ شاملا أربعة آلاف (٤٠٠٠) مصطلح وصدر الجزء الثانى فى عام ١٩٩٠ شاملا نحو خمسة آلاف (٥٠٠٠) مصطلح وبصدد إعداد الجزء الثالث شاملا أربعة آلاف أخرى .

وقد قامت اللجنة المختصة بمراجعة آلاف المصطلحات التى سبق إقرارها منذ الدورات الأولى للمجمع وقد تبين افتقارها للمصطلحات الجديدة وبخاصة أن العلوم الطبية تتطور هى أيضًا بسرعة مذهلة واستحدثت مصطلحات طبية لم تكن معروفة من قبل وقد أخذت اللجنة ذلك فى الاعتبار عند إصدار المعجم حيث شمل هذه المصطلحات لتساير التقدم العلمى

وقد رجعت اللجنة إلى المعاجم الطبية الحديثة وبعض كتب الطب القديمة حتى تعبر تعبيرا دقيقا عن المعنى المقصود وقد تحاشت اللجنة الإغراب والغموض - ومما يؤخذ على المعجم أنه جاء خاليا من فهرس هجائى عربى للمصطلحات والأمل أن يتم ذلك فى شمول فى الجزء الثالث المرتقب من المعجم .

معجم البيولوجيا فى علوم الأحياء والزراعة

صدر الجزء الأول من هذا المعجم فى عام ١٩٨٤ شاملا ألفين وسبعمائة (٢٧٠٠) مصطلح وصدر الجزء الثانى فى عام ١٩٨٨ شاملا أربعة آلاف وثلاثمائه (٤٣٠٠) مصطلح وبه فهرس هجائى عربى كامل واللجنة بصدد إعداد الجزء الثالث شاملا أربعة آلاف مصطلح .

وقد أفادت اللجنة من بعض المعجمات والمصطلحات التى أحيلت إليها لفحصها مثل معاجم الألفاظ النباتية للدمياطى ومعجم أبسخرون الزراعى وألفاظ النخيل ومصطلحات البيئة النباتية التى أصدرتها منظمة الأغذية والزراعة وقد أضافت إليها الشروح والدلالات فى العلم الحديث كما قامت اللجنة بوضع مصطلحات الفحص المجهرى (الميكروتكنيك) وبحوث قيمة فى أنواع الحيتان والثعابين والمصطلحات الخاصة بها وقد شمل المعجم كل هذه المصطلحات .

معجم الكيمياء والصيدلة

صدر الجزء الأول من هذا المعجم فى عام ١٩٨٣ شاملا ٣٢٠٠ ثلاثة آلاف ومائتى مصطلح والجزء الثانى تحت الطبع شاملاً نحو ثلاثة آلاف مصطلح ويؤخذ على المعجم أنه جاء خاليا من فهرس هجائى عربى للمصطلحات والأمل أن يشمل الجزء الثانى المرتقب الفهرس كاملا .

شملت المصطلحات علوم الكيمياء العضوية وغير العضوية والفيزيقية والكيمياء التخليقية والصيدلية وتميزت بعض هذه الفروع بوفرة فى المصطلحات الحديثة والمستحدثة ونظرًا لتنوع التركيب الكيميائى

للمادة فقد استدعى ذلك وضع نظام يسر صوغ المصطلحات ترجمة أو تعريباً وعندما استعصت الترجمة لجأت اللجنة إلى التعريب فى حالة المركبات الكيميائية والأحماض والمواد وكلها تحتل جزءا كبيرا من المعجم لاسيما فى مصطلحات الكيمياء التخليقية والصيدلية .

معجم النفط

صدر هذا المعجم فى هذا العام ١٩٩٣ شاملا أربعة آلاف وخمسمائة (٤٥٠٠) مصطلح وقد أستغرق إعداد هذا المعجم عدة سنوات وحوى المصطلحات العلمية والفنية والتكنولوجية المتصلة بالنفط وعمليات الحفر والإستكشاف والإنتاج والتسويق وغيرها وفى بعض الحالات لجأت اللجنة العلمية للمعجم عند وضع المقابل العربى للمصطلح الأجنبى إلى ترجمة المعنى دون المبنى أى دون الدلالة اللفظية له .

مصطلحات الهندسة والهيدرولوجيا

ورد منها فى مجموعات المصطلحات العلمية والفنية التى يصدرها المجمع قرابة خمسة آلاف (٥٠٠٠) مصطلح والأمل معقود على أن يتضمنها معجم خاص بها يصدر قريبا .

مصطلحات الرياضيات

ورد منها فى مجموعات المصطلحات العلمية والفنية التى يصدرها المجمع نحو ألفين ومائتى (٢٢٠٠) مصطلح تستأهل معجما خاصا بها يصدر قريبا .

وهكذا نرى أن المجمع أصدر ثمانية معاجم علمية متخصصة فى علوم الكيمياء والفيزيقا والحاسبات والطب والبيولوجيا والأحياء والزراعة والجيولوجيا والنفط شملت ٣٨٦٠٠ ثمانية وثلاثين ألف وستمائة من المصطلحات العلمية بالإضافة إلى سبعة آلاف ومائتى مصطلح لمعجمين قادمين فى علوم الهندسة والهيدرولوجيا والرياضيات بمجموع يصل إلى خمسة وأربعين ألف وثمانمائة (٤٥٨٠٠) مصطلح عدا عشرة آلاف (١٠٠٠٠) من المصطلحات الجديدة أعدتها اللجان العلمية ولازالت تضيف إليها توطئة لإصدار

معاجم أخرى بحصيلة إجمالية تربو على خمسة وخمسين ألف (٥٥٠٠٠) مصطلح فى مختلف العلوم المتخصصة وهى بوجه عام تعكس التزاما دقيقا بقواعد العمل المعجمى وصوغ المصطلح العلمى كما زخرت بالمئات من المصطلحات العلمية الحديثة .

توصيات واقتراحات

أستأذنكم أيها السادة العلماء فى ما عنّ لى من بعض التوصيات وكلها ترداد لأمل نتطلع إليه ويجول بخاطرنا .

أولا : العمل على إصدار بقية المعجمات العلمية المتخصصة بالحصيلة المتوافرة لدى المجمع بالآلاف من المصطلحات فى مختلف فروع العلم .

ثانيا : وضع سياسة تكفل توزيع هذه المعاجم على نطاق واسع بين معاهد العلم ليشيع استعمال ما بها من مصطلحات علمية دقيقة ولتدفع حركة تعريب العلم فى التعليم العالى والجامعى والتأليف والترجمة خطوات فسيحة إلى الأمام .

ثالثا : الدعوة إلى إنشاء مؤسسة خاصة بالمعاجم العربية فى مختلف العلوم والفنون على أن تقوم بذلك مجامعنا اللغوية من خلال اتحاد المجامع اللغوية العربية وهذه الدعوة ترداد لما اقترحه العالم الجليل الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة فى بحثه القيم بمجلة المجمع الأردنى عام ١٩٨٩ .

رابعا : العمل على إصدار معاجم فى العلوم الحديثة والمستحدثة كعلوم الهندسة الوارثية والتكنولوجيا الحيوية والإلكترونيات وعلوم البيئة والمحيط الحيوى والمعلومات والاتصالات وعلوم الفضاء وغيرها . واللغة العربية قادرة بثرائها وتطورها على استيعاب مفرزات هذه الثورات العلمية والتكنولوجية العارمة ومعجم الحاسبات الذى أصدره المجمع بداية طيبة فى هذا السبيل .

خامسا : توصية طالما رددتها المؤتمرات اللغوية وهى التأكيد على ضرورة توحيد المصطلحات العلمية فى المعاجم المتداولة

بالوطن العربى للقضاء على بلبلة قائمة فى استعمال المصطلح الواحد بمقابلات مختلفة وهى مهمة بالغة الأهمية لاتحاد المجامع اللغوية العربية .

سادسا : أمنية قد تبدو بعيدة المنال ولكنها عزيزة غالية كثيرا ما طافت بأخيلتنا وداعبت أحلامنا وهى التصدى لإنجاز معجم شامل عملاق فى مختلف فروع العلم والمعرفة تتكاتف فى عمله الدول العربية ومجامعها اللغوية وجامعة الدول العربية التى سبق لها أن أسهمت بجهود معجمية فى هذا السبيل .

سادتى العلماء الأجلاء .

هذه كلمة متواضعة عن معاجمنا العلمية المتخصصة التى أصدرها مجمع اللغة العربية بالقاهرة تعكس جهودا قامت بها اللجان العلمية ولازالت تواصل عملها على هدى من المبادىء التى أرساها المجمع بالنسبة للعمل العلمى المعجمى وعلى هدى من تراث علمى عربى مجيد وفيض من مبتكرات العلم الحديث ومن منجزات رائدة لعلماء المجامع اللغوية بالوطن العربى يحدوها الأمل أن تسد هذه المعجمات فراغا فى المكتبة العلمية العربية وهكذا يمضى المجمع قدما فى تأدية رسالته السامية نحو العلم واللغة .

وفى ختام كلمتى أتقدم بالشكر الجزيل والتحية الصادقة إلى أستاذى العالم الجليل وشيخ المجمعيين الدكتور / إبراهيم مدكور الذى يقود سفينة المجمع بفكره الثاقب وبصيرته النافذة وبحنكة ودربة ومكنة واقتدار كما أتقدم بالشكر الجزيل والتحية الصادقة إليكم أيها العلماء الأجلاء سدنة اللغة العربية وحماتها الذين جملتم مع أجيال سبقت لواءها عالياً خفاقا نحو السماكين ورفعتم علمها شامخا سامقا فى الخافقين .

حفظكم الله والسلام عليكم ورحمة الله

دكتور محمود حافظ

عضو المجمع .

المــــراجع

١ - المعجمات العربية المتخصصة
للدكتور إبراهيم مدكور
مجلة مجمع اللغة العربية
الجزء ٣٤ نوفمبر ١٩٧٤

٢ - مجمع القاهرة والمصطلح العلمى
للدكتور إبراهيم مدكور
مجلة مجمع اللغة العربية
الجزء ٤٢ : ١٩٧٨

٣ - دعوة إلى إلتزام خطة منهجية فى صوغ المصطلحات الطبية
للدكتور أحمد عمار
مؤتمر المجمع يناير ١٩٦١

٤ - المصطلحات العلمية
للدكتور حسنى سبح
الدورة ٣٦ الجزء ٣ لمؤتمر المجمع
البحوث صـ ٥٩

٥ - حاجاتنا إلى معجم عربى موحد
للدكتور عبد الحليم منتصر
الدورة ٣٣ الجزء ١٠ مؤتمر المجمع :
البحوث ص ٣٧٥

٦ - مشكلة المصطلحات العلمية
للدكتور عبد الحليم منتصر
الجزء ١٣ من مجلة المجمع ص ٢٠٣

٧ - من قضايا المعجمية العربية المعاصرة
للدكتور عفيفى عبد الرحمن
مجلة مجمع اللغة العربية
الأردنى ١٩٨٨

٨ - المعاجم الأوربية الحديثة ومدى ما تستفيده المفاهيم العربية منها
للأستاذ لويس ماسنيون
الدورة ١٥ الجزء ٧ من مجلة المجمع
صـ ٣٥٩

٩ - النشاط المعجمى العربى أصيل أم دخيل
للدكتور محمد سالم الجرح
مجلة المجمع الجزء ٢٨ نوفمبر ١٩٧١

١٠ - حاجتنا إلى معجم مصفى
للدكتور محمد كامل حسين
الدورة ٣٤ الجزء ٩ مؤتمر المجمع .
البحوث صـ ٤١١

١١ - القواعد العامة لوضع المصطلحات العلمية

للدكتور محمد كامل حسين — الجزء ١١ مجلة المجمع صـ ١٣٧

١٢ - المصطلح الجيولوجى

للدكتورمحمد يوسف حسن — مجلة المجمع ١٩٧٣ صـ ١٠٠

١٣ - اللغة العربية فى خدمة علوم الأحياء

للدكتور محمود حافظ — الدورة ٤٥ الجزء ٤٣ مجلة المجمع

١٤ - قضية تعريب التعليم العالى والجامعى فى مصر

للدكتور محمود حافظ — الجزء ٥٦ مجلة المجمع مايو ١٩٨٥ .

١٥ - مجمع اللغة العربية والمصطلح العلمى

للدكتور محمود مختار — الجزء ٥٣ مجلة المجمع

١٦ - ملاحظات شتى على معجمات حديثة

للأمير مصطفى الشهابى — الجزء ٣ للمؤتمر . البحوث صـ ٦٥

١٧ - توحيد المصطلحات العلمية فى البلاد العربية

للأمير مصطفى الشهابى — الجزء ١١ مجلة المجمع صـ ١٥٧

١٨ - اللغة العربية فى مؤسسات التعليم ووسائل النهوض بها فى مصر

للدكتور محمود حافظ — الجزء ٦٥ مجلة المجمع نوفمبر ١٩٨٩

ملاحظات على حركة الترجمة وتعريب الطب
من حنين بن إسحق إلى كلوت بك إلى الحاضر
للدكتور أبوشادى الروبى

تميز تاريخ الطب العربى بثلاثة عصور مزدهرة نهض فيها الطب تأليفا وتعليما وممارسة ، واعتمد فى ذلك اعتمادا كبيرا على ترجمة علوم الآخرين ونقلها :

أولا :

العصر العباسى ، وبخاصة أيام المنصور والرشيد والمأمون (القرن التاسع الميلادى) ، حيث أُنشىء "بيت الحكمة " وجُمع فيه التراجمة لنقل العلوم من لغات اليونان والسريان والفرس . كانت هناك طبعا محاولات سابقة لنقل العلوم اليونانية واكتسابها ، منها مثلا مدرسة الإسكندرية بعد فتح مصر على يدى عمرو بن العاص ، وكان " يحيى النحوى " أشهر الإسكندرانيين " نقلا وتصنيفا . وفى العصر الأموى اشتهر من الأطباء " ابن ماسرجويه » وكان سريانيا يهودى المذهب ، أمره عمر بن عبد العزيز بترجمة كتاب « أهرن القس » فى الطب ، وكان من أفضل الكنانيش . وكانت مدينة " حران " فى شمال العراق مركزا من مراكز الثقافة اليونانية حتى سميت هيلينوبولس "Hellenopolis" ، أهلها من الصابئة ، وكثر فيهم الفلاسفة والمفكرون والمترجمون أمثال « ثابت بن قرة » و"البتانى" الفلكى . أما مدرسة "جنديشابور" (حورت بالعربية إلى جنديسابور) فى فارس فقد لجأ إليها اليونان فرارا من حكامهم ، ونقل الكثير من كتبهم إلى الفارسية والسريانية ، وانشىء بالبلدة بيمارستان لمعالجة المرضى وتعليم صناعة الطب نالت شهرة عظيمة كانت أشهرها أسرة بختيشوع التى استمرت ٢٥٠ عاما تعاقب عليها ستة أجيال .

★ ألقى هذا البحث فى الجلسة الرابعة من جلسات المؤتمر يوم السبت ٢٥ من شوال سنة ١٤١٣ هـ الموافق ١١٧ من أبريل ١٩٩٣ م

انتقل آل بختيشوع إلى بغداد فعالجوا كبراءهم وعلّموا الطب وصنفوا فيه .

واحد من هؤلاء هو "جورجيس بن بختيشوع " الذى نقل كتباً طبية من اللغة اليونانية إلى العربية . أما "عبد الله بن المقفع" فنقل كتبا فى المنطق والطب كان الفرس قد نقلوها من اليونانية ، و"يحيى بن البطريق" نقل أيضا كتبا كثيرة لأبقراط وجالينوس أمره المنصور بنقلها . وفى أيام الرشيد أمر طبيبه "يوحنا بن ماسويه" وكان طبيبا سريانيا نسطورى المذهب من جنديشابور ، أمره بترجمة الكتب اليونانية التى تحصَّل عليها فى حروبه بأنقرة وعمورية وغيرهما من بلاد الروم . أما فى خلافة المأمون فقد قام "قسطا بن لوقا البعلبكى" بنقل كتب كثيرة من اليونانية إلى العربية أحصاها ابن النديم بخمسة وثلاثين كتابا ، وكان قسطا بن لوقا طبيبا حاذقا من نصارى الشام ، رحل إلى بلاد الروم فى طلب العلم وكان عالما باللغات اليونانية والسريانية والعربية .

إلا أن شيخ تراجمة العصر العباسى كان بلامراء "حنين بن إسحق العبادى" Johannitius' (٨١٠ - ٨٧٣م) . كان حنين نصرانيا من أهل الحيرة ، انتقل إلى بغداد وتتلمذ على يوحنا بن ماسويه زمنا ، ثم رحل إلى بلاد الروم وأقام سنتين فى بيزنطة تعلم فيها اللغة اليونانية وأدبها وكان يحفظ إلياذة هوميروس ، ثم يمم شطر البصرة ولزم الخليل بن أحمد حتى برع فى اللسان العربى "وأصبح أعلم أهل زمانه باليونانية والسريانية والفارسية فضلا عن العربية" . ترجم حنين إلى العربية سبعة من كتب أبقراط ، وترجم إلى السريانية من كتب جالينوس خمسة وتسعين ، ترجم منها إلى العربية تسعة وثلاثين ،وراجع وأصلح ماترجمه تلاميذه وهى ستة إلى السريانية ونحوا من سبعين إلى العربية ،كما راجع وأصلح معظم الخمسين كتابا التى كان قد ترجمها إلى السريانية من سَبَقه من الأطباء المتقدمين ، ونقل أيضا ثلاثة من كتب أوريباسيوس ، بالإضافة إلى مانقله

من كتب الفلسفة وغيرها لأفلاطون وأرسطو . أما مؤلفاته الخاصة فقد بلغت نحو ثلاثين كتابا ورسالة ، أشهرها كتاب " العشر مقالات في العين" الذى يعتبر أقدم ما ألف فى أمراض العين بطريقة علمية منظمة ، وقد نشره وشرحه وترجمه المستشرق المعروف "ماكس مايرهوف" . ولحنين أيضا كتاب "المدخل فى الطب" ، وكتاب "الأغذية" ، ورسالة "قول فى حفظ الأسنان واستصلاحها" ، وغيرها كثير . وفى رأى المؤرخ الفرنسى " ليكلرك" أن حنين من أشد رجال التاريخ ذكاء وأحسنهم خلقا" ، وربما كان أقوى شخصية أنجبها القرن الثالث للهجرة" .

كان حنين يترجم من اليونانية إلى السريانية ويقوم ابنه " إسحق بن حنين" وابن أخته "حبيش بن الأعسم" بترجمتها إلى العربية تحت إشرافه ، كما كان حنين يترجم أحيانا من اليونانية إلى العربية رأسا ، وكانت المشكلة الرئيسية لكل المترجمين وعلى رأسهم حنين ومدرسته ، نقل المصطلحات العلمية والطبية من اليونانية والسريانية والفارسية إلى العربية ، واستحداث معجم من مفردات العلم والتقنية . عندئذ لجأوا تارة إلى الترجمة المباشرة إلى العربية ، وما أكثر مفرداتها ، متى تطابقت معانى الألفاظ والمصطلحات؛ وتارة إلى الاشتقاق ، وما أطوع صيغها للدلالة على أضعاف أضعاف هذه الألفاظ ، حتى ليقال إن عدد الأفعال فى اللغة العربية ٥٦٢٠ فعلا ، كما أورده أبوبكر الزبيدى فى "مختصر العين" ، وإن عدد الالفاظ التى يمكن اشتقاقها منها يتجاوز المليون وربع المليون طبقا للإحصاء الذى أجرى فى دائرة المعاجم فى مكتبة لبنان . ولعل صيغة "فُعَال" للدلالة على المرض خير مثال لذلك ، كالصداع والزكام والسعال والفواق والدوار والزحار والرعاف والنفاخ وعشرات غيرها .

لجأوا أيضا إلى المجاز والتشبيه ، فالتشخيص لمصطلح diagnosis ، وتقدمة المعرفة لمصطلح prognosis ، وداء الفيل لـ

elephantiasis ، وداء الـشـعـلـة ، لـ alopecia، ولجأوا إلى الاقـتباس من لـغات الشعوب الأخرى ، فالعربيـة مليئة بالمعرب والدخـيل ، فالإسـطقسات هـى العنـاصر البسيـطة ، والسرسام هو ورم الـدماغ من حمى ، ولجـأوا أخيرا إلى الـتعريب مـتى أعيتـهم الحيلـة ، وغمض علـيهم المعـنى فـ lethargy هى ليثـارغوس و phrenitis هـى فـرانيـطـس و melancholy هـى ملنـخوليا ، وقس عـلى ذلك الكثـير من أسماء الأدوية نـباتا وحيوانا ، وكثيـر منها لم يعرفها العرب ولم يروها .

ثانيا :

عصر محـمد على وخلفـائه ، عقب الحملة الفرنسية عـلى مصر (القرن التاسع عشـر) وإيفاد المبـعوثين إلى أوروبـا ، ثم مدرسة "كـلوت بك" التـى عكفت عـلى الطب الفـرنسى ترجمة وتأليـفا . أسست مدرسة الـطب المصريـة فى أبوزعبـل سنة ١٨٢٧ ، وكان انـطوان كـلوت أول نـاظر للمدرسـة ، وكانت الكتب المدرسيـة كلها فرنسـية ، والأساتذة أكـثرهم فرنـسيين ، وكانت المـشكلة الأولـى هى الترجـمة إلى العـربية . لـم يجدوا مـصريا يـتقن لـغة أوروبية إلا السيد عـنحورى ، وهو سورى يعرف الإيطالية فقط ، فـترجموا له الكتب الفرنسـية إلى الإيطاليـة أولا ، ثم قام هو بتـرجمـتهـا مـن الإيطـالية إلـى عربيـته الركـيكة ، وكُـلف عـالم من الأزهـر هو الشيـخ محمد الـهوارى ، يعاونـه آخرون منهم رفاعة الطهطاوى بـتهذيبها وصقلها ، وكان عدد الكتب المتـرجمة ٥٢ كتابا . أما الدفعة الأولـى من تلاميذ المدرسـة الجديدة فقد اختـيروا من بين طلبـة الأزهر ، وكان الأساتذة يلقون المحاضرات بالفرنسية ويقوم مترجمـون بنقلها . إلا أن كلـوت سـرعان ما أحـس بالحاجـة إلى مـزيد من المـصادر والمراجع المتطورة لتعليم طلابه ، وخاف أن تنقطع الصلة بينهم وبين الطب العالمى فأمر بتعليم الطلاب اللغة الفرنسية إجباريا وكلفه بذلك مسيو اوتشيلى Ucelli

فى سنة ١٨٣٢ ثارت فتنة أكاديمية عندما أشاع أحد أعداء كلوت الفرنسيين (دكتور "هامو" عميد كلية الطب البيطرى فى باريس) أن كلوت يسرِّب أسئلة الامتحان لطلبة مدرسته الجديدة قبل الامتحان . فرد كلوت على ذلك بأن أوفد إلى باريس مجموعة من ١٢ خريجا من مدرسته ، معممين مقفطنين ، حيث امتحنهم نخبة من أبرز علماء فرنسا ، وكانت أسئلة الأساتذة وإجابات الطلبة كلها باللغة الفرنسية . وانتهت المواجهة بخطبة عصماء ألقاها الطبيب الأشهر "دوبيتران" هنأ فيها كلوت ومدرسته وتلاميذه بالمستوى الرفيع الذى حققوه ،وبقى طلاب هذه البعثة فى فرنسا لاستكمال دراساتهم حتى يعودوا إلى وطنهم ويعملوا بالتدريس ، وكان رأى كلوت أن يقوم هؤلاء بترجمة الكتب الأجنبية إلى العربية وإلقاء المحاضرات بالعربية" لأن التعلم بلغة أجنبية (على حد قوله) لاتحصل منه الفائدة المنشودة ، كما لاينتج عنه توطين العلم أو تعميم نفعه" قام إذن الأساتذة المصريون الرواد بترجمة معجم فرنسى فى المصطلحات الطبية إلى العربية ، يعاونهم عدد من المصححين المتعمقين فى العربية ، واستخرجوا من "القاموس المحيط" كل مايدل فيه على مرض أو نبات أو حيوان أو معدن ، وأدخلوا من ذلك طائفة من المصطلحات فى المعجم ؛ وكلف من بين المصححين محمد بن عمر التونسى باستخراج ما فى كتاب "القانون" لابن سينا و"تذكرة" داود الانطاكى من التعريفات وضم ذلك إلى المعجم .

بعد عشر سنوات من إنشائها ، نقلت مدرسة الطب المصرية إلى قصر العينى وأصبح عدد طلابها ٥٠٠ ، وفى السنة التالية انشئت مدرسة للقابلات تحت إشراف فرنسى ، وفى عهد محمد على بلغ عدد خريجى مدرسة الطب ١٥٠٠ طبيب ، أما الكتب الطبية المترجمة إلى العربية فقد بلغت ٨٦ كتابا ، طبعت بمطبعة بولاق بمعدل ألف نسخة من كل كتاب ، وأرسل الكثير منها إلى اسطنبول والجزائر وتونس ومراكش وسوريا وفارس .

بعد وفاة محمد على وتولى عباس أصيبت المدرسة الطبية بنكسة ، فقد حاول عباس أن يهدم كل ماهو فرنسى بناء على نصيحة قنصل إنجلترا ، واستقال كلوت سنة ١٨٤٩ ، ومرت المدرسة تحت إدارة ألمانية ، ثم أخرى إيطالية ، وتدهورت فأغلقها سعيد عندما تولى الحكم ، ثم أعادها يحاول إصلاحها ، وبدأ يوفد البعثات إلى أوروبا ثانية .

وفى عهد إسماعيل عاد للمدرسة مجدها ، فتولى رئاستها الدكتور محمد على البقلى (باشا) من ١٨٦٣ - ١٨٧٩ ، وأصبح التعليم كله بالعربية ، والأساتذة عدا واحدا كلهم مصريين . وانشت مجلة طبية شهرية هى أول مجلة طبية صدرت باللغة العربية تطبع بمطبعة بولاق الأميرية ، سموها "اليعسوب" أى ملكة النحل ، وكان شعارها : "يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس" .

واستمرت المدرسة مزدهرة تحت إدارة عيسى حمدى (باشا) فوسعها وطورها ، إلى أن دب إليها فساد المحسوبية ، فاستقال عيسى حمدى وزملاؤه ، وتدهور حال المدرسة ، فوجهت الدعوة من الحكومة المصرية إلى الدكتور كوبر برى المشرف على مستشفى جايز بلندن ليفحص موقف المدرسة المصرية ويقدم تقريره سنة ١٨٩٧ ، وفيه أوصى باختصار مدة الدراسة من ست إلى أربع سنوات ، وأن يصبح التعليم كله بالإنجليزية .

وفى سنة ١٩٠٨ حاول سعد زغلول وزير المعارف آنذاك أن يمصِّر معاهد التعليم العليا وأن يكون التدريس بالعربية ، ولكن واجهته صعوبة ندرة الرجال الأكفاء وقلة المصادر الحديثة ، فلجأ إلى الحل الوحيد وهو أن يوفد البعثات التعليمية إلى الخارج على أوسع نطاق .

ثالثا :

العصر الحديث ، وفيه انفتح العرب على علوم الغرب ونشطوا إلى الترجمة فرادى وجماعات ، هناك مثلا معجم

"شـرف" ومـعـجـم "حـتى" ولايزالان شـائعى الاسـتـعمـال بين أطبـاء اليـوم . وبالإضافـة إلى كليـة الطـب المصـرية ومحاولاتها فى الترجـمة والتعريب أسست كليـة للطب باسـم الكليـة السـورية البروتسـتانتية فى عام ١٨٦٦ قـبل أن يبدل اسمـها إلى الجامـعة الأمريكيـة فى بيروت سنة ١٩٢٠ ، كما بدأت فـى لبنان مدرسة الطب اليسـوعـيـة عـام ١٨٨٣ . وبدأ التدريس فى هذين المعهديـن باللغة العربية لسنين طويلة ، ترجم خـلالها الكثـير من الكتب الطبية الأجنبـية . أما كليات الطب السـورية فقـد بدأت تدريس الطب باللغـة العـربية عـام ١٩٢٣ ولازالت ، وضـعت خلالهـا الآلاف من المصطلحات الطبـية . أما المجـاميع العلـمية اللغـوية العربـية فى دمشق والقاهـرة وبغداد والأردن والسودان فقـد حرصت علـى سلامة اللـغة العربـية وتطويعـهـا لمتطـلبـات العلوم الحـديثـة ، وأخـرجت العـشـرات من مـعـاجم المصطلحات العلمـية والطبيـة . ثم أصدر مكتب تنسـيق التـعـريب التـابع للمنظمـة العربيـة للتربية والـثقافـة والعلوم آلافا من المصطلحات العـلمية والطبـية المترجـمة ، نشرها فى مجلته "اللسان العربى" وتعاون مـجلس وزراء الصـحة الـعرب ، واتحـاد الأطباء العرب ، ومنظمة الصحة العالمية ، والمنظمة العـربية للتـربية والثقـافة والعلوم على إصدار "المـعجم الطبى الموحـد" عام ١٩٧٤ ، وهو فى طريقه إلى طبعته الرابعة مزيدة ومنقحة .

وإذا كـانت المصطـلحـات والمفـردات بمثابة اللبنات ، فقد آن الأوان لبناء القصور والصروح . وكـان طبيـعيا ان نبـدأ بالنقل والترجمة . فترجمت العشرات من أمهات الكتب الطبية ووجدت طريقـها إلى الكثير من طلاب كليات الطب . وألفت عشرات أخـرى من الكتب الأصـيـلة لهـا قـراؤها والمنتفعـون بها ، وهناك جمهور كـبير من المثـقفين وأنصـاف المثقـفين يتلهفـون على أخـبـار الطب ومـعلومـاته . يسـتـقـون مصـادرهم من الجرائـد السيـارة والمجلات ووسـائل الإعلام . ليـست دائمـا سليمـة اللغة ، ولاهى دائما سليمة المحتوى ولكنها قطعـا تشكل قاعـدة عريضـة من المعرفـة

العامة وتعود الناس ألفاظ الطب ومفاهيمه ، وهى أرضية لاغنى عنها لكل مجتمع متحضر يواكب العصر ويسابقه . كانت الجارية "تودد" فى قصص ألف ليلة وليلة تعرف الأخلاط الأربعة وعدد العظام والعروق فى جسم الإنسان قبل اجتيازها لامتحان شهادة الثقافة العامة وضمها إلى حريم هارون الرشيد .

حركة الترجمة هذه تدعونا إلى تأمل بعض الملاحظات :

١ - الانفتاح على العلم العالمى والسعى إلى الالتقاء بالحضارات المختلفة أمر لامفر منه لمواكبة التقدم والأخذ بمصادر القوة والرقى ، نحن لانرحب بالعزلة ، ونرفض مايسمى بالغزو الثقافى ،ونراه فى حقيقته نفورا نفسيا من الغرباء xenophobia وكراهية للاختلاف ، نحن نؤمن بوحدة الحضارة إيمانا بوحدة الإنسان ، ولن تقف الحدود والقيود سدا أمام طوفان المعلومات .

(٢) إتقان لغة أجنبية حية بالإضافة إلى العربية مطلب ضرورى ، وبخاصة لطالبى العلم والطب . لكل عصر لغته المشتركة lingua franca : كانت اليونانية فى العصر القديم ، ثم اللاتينية غربا والعربية شرقا فى العصر الوسيط ، والإنجليزية هى الآن بلا مراء اللسان المشترك (وقد فشلت "الاسبرانتو" "والانترجلوسا" كلغات عالمية من قبل) . وهذا لايعنى أن نقعد أسرى لألسنة الآخرين ، ولكن علينا أيضا ان نكون واقعيين وعمليين ، وأن نتقن التخاطب والتعامل مع أهل العلم والخبرة .

(٣) الترجمة وسيلة مرحلية ، ولكنها أيضا مستمرة : اعتمدت أولا على رعاتها من الحكام والوجهاء ، وآن لها الآن أن تستقر وظيفتها الحيوية فى بناء المؤسسات الثقافية والتعليمية فى المجتمعات والحكومات العصرية المتحضرة . وهذا يتطلب تنسيقا وهيمنة مركزية تضمن نجاحها واستمرارها وحسن استثمارها .

(٤) الترجمة لها حدودها وقيودها إزاء طبيعة اللغة ، لغة المنقول منه ولغة المنقول إليه . لكل لغة بنيتها وقوانينها ، وظائفها وأهدافها ، بيئتها ومجتمعها . ثم إن لكل لغة ماضيا وحاضرا ومستقبلا ؛ إن اللغة كائن حى متطور ، خذ مثلا الاعتبارات التالية :

(أ) العربية لغة اشتقاقية (derivative) بينما اللغات الأجنبية (ومنها أكثر اللغات العلمية) التصاقية

(agglutinative) ، وهذا يثير مشكلة السوابق واللواحق وموقفها من الترجمة إلى العربية . فهل هذا قيد أم هو مصدر للقوة ؟ وهل يسمح لنا بتطعيم الاشتقاق بالالتصاق ، إذ نحن نراه إثراء وتوسعة ، وآخرون يرونه مجافيا ومناقضا لروح اللغة ؟

(ب) العربية كلغة ، وثيقة الارتباط بالقرآن الكريم كعقيدة ، وليس الأمر كذلك فى اللغات الأجنبية ، فهل هذا قيد أم هو مصدر قوة ؟ وهل البحث والفحص فى ضوء مفاهيم اللسانيات العصرية Linguistics أمور قابلة للنقاش ، أم هى "تابو" لايقربها أحد ؟

(٥) ترجمة المصطلحات العلمية والطبية من اللغات الأجنبية إلى العربية خطوة أساسية قبل أية محاولة للنقل أو للتأليف . ووسائل الترجمة معروفة : الاشتقاق ، والمجاز ، والنحت والتعريب . وتختلف هذه الوسائل ودرجتها من الإباحة أو التقييد من عصر إلى عصر . وفى العصرين القديم والوسيط كان المصطلح الطبى موحدا ومتعارفا عليه بين أهل المهنة ، إلا أن العصر الحديث وتعدد مصادره فى سك المصطلحات الجديدة سبب لبسا بين المتكلمين بالعربية وعرقل التفاهم والتعامل بينهم . هناك أغلبية تشعر بالحاجة الشديدة إلى توحيد تعريب المصطلح الطبى ، آخرها ندوة تونس فى مايو ١٩٩٢ التى شاركتُ فيها ، إلا أن رأيا آخر يرحب بالترادف وينادى بالتعددية بين صانعى القرار ، يقولون : ليس المهم أن نتفق على مصطلح واحد ، بل نترك ذلك للأجيال مع الزمن يقوم بعمله ، والمهم أن نحدد معنى اللفظ ومضمونه بوضوح .

(٦) الترجمة فى القرن التاسع غير الترجمة فى القرن التاسع عشر ، وغيرهما على مشارف القرن الواحد والعشرين (بل قل الألف الثالثة !) . ولاشك أن كم المعلومات المتفجرة ، وقنوات الاتصال المتشابكة ، ولغة الجرائد والإعلام . وتقنيات الكمبيوتر والأقمار الصناعية والتلكس والفاكس (ومعذرة للحاسوب والناسوخ !) ، كلها أمور لها انعكاساتها ومردودها على حركة الترجمة : كما وكيفا ، إيجابا وسلبا ، حاضرا ومستقبلا - وكلها أمور تدعو إلى التأمل والتدبر .

أبوشادى الروبى

عضو المجمع

المصـــادر

١ - **إبراهيم بيومى مدكور : فى اللغة والأدب .**

دار المعارف بمصر ١٩٧٠

٢ - **ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء .**

٣ - **أبوشادى الروبى : محاضرات فى تاريخ الطب العربى .**

دار المريخ للنشر - الرياض ١٩٨٨

٤ - **أحمد عيسى : معجم الأطباء (وهو ذيل « عيون الأنباء لابن أبى أصيبعة).**

٥ - **التجانى الماحى : مقدمة فى تاريخ الطب العربى .**

مطبعة مصر (سودان) - الخرطوم ١٩٥٩

٦ - **تأريخ الحركة العلمية فى مصر الحديثة - الطب .**

أكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا - القاهرة (تحت الطبع) .

٧ - **جرجى زيدان : تاريخ التمدن الإسلامى .**

طبعة جديدة راجعها وعلق عليها الدكتور حسين مؤنس - دار الهلال .

٨ - **حنين بن إسحق : العشر مقالات فى العين .**

تحقيق وترجمة وشرح ماكس مايرهوف - المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٩٢٨

٩ - **حنين بن إسحق : كتاب جالينوس إلى غلوقن فى التأتى لشفاء الأمراض .**

تحقق وتعليق محمد سليم سالم . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٢

١٠ - **حنين بن إسحق : كتاب جالينوس إلى طوثرن فى النبض للمتعلمين .**

تحقيق محمد سليم سالم . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦

١١ - حنين بن إسحق : كتاب جالينوس فى الاسطقسات على رأى أبقراط .

تحقيق محمد سليم سالم . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧

١٢ - خليل أحمد خليل : اللغة والترجمة والكتابة العلمية .

مجلة " الفكر العربى" . العدد ٤٣ - ١٩٨٦

١٣ - شوقى جلال : إشكالية الترجمة والنهضة .

مجلة " القاهرة" . العدد ١٢٢ - ١٩٩٣

١٤ - عمر طوسون (الأمير) : البعثات العلمية .

١٥ - عمر فروخ : تاريخ العلوم عند العرب .

دار العلم للملايين - بيروت ١٩٧٠

١٦ - كلوت بك : لمحة عامة فى تاريخ مصر .

ترجمة محمد مسعود .

١٧ - لويس عوض : مقدمة فى فقه اللغة العربية - محاكمة كتاب .

مجلة " فصول" المجلد ١١ : العدد ٣ - (الأدب والحرية) - ١٩٩٢

١٨ - محمد كامل حسين : اللغة العربية المعاصرة .

دار المعارف بمصر - ١٩٧٦

١٩ - محمد كامل حسين : النحو المعقول .

مطبعة جامعة أسيوط ١٩٧٢

٢٠ - مصطفى حجازى : الترجمة بين علم اللغة ولغة العلم .

مجلة "الفكر العربى" . العدد ٤٣ - ١٩٨٦

٢١ - منذر العياشى : اللسانية والتنظير .

مجلة "الفكر العربى" . العدد ٤٤ - ١٩٨٦

٢٢ - ندوة "الرموز العلمية وطريقة أدائها باللغة العربية "

اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية - القاهرة ١٩٨٨

٢٣ - ندوة "توحيد تعريب المصطلح الطبى" .

اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية - القاهرة ١٩٩٢

القاموس والشاعر

للدكتور عبدالله الطيب

أجود ترتيب للمعجم العربى عندى هو الذى عليه الصحاح والمحيط واللسان والمصباح ... هلم جرا .

والترتيب الذى عليه النهاية والفائق والأساس حسن ، ولكن فيه نصف المزية التى للنوع الأول وهو شديد الملاءمة لما خصص له من فنون البحث اللغوى ، إذ إنما كان مقصوراً فى النهاية والفائق وما أشبههم على غريب الحديث والأساس كأنه مقدمة للكشاف وحاشية على الفائق ولم يكن المراد منه استيعاب أكثر ما فى لغة العرب وإنما كان المراد منه تقريب أكثر أساليب بيانها الرائع دورانا فى الشعر والنثر والحديث والقرآن .

والترتيب الذى عليه التهذيب والجمهرة فيه عسر لما يتطلبه من معرفة دقيقة بالصرف والتجويد والمخارج . وكتاب العين للخليل أو الليث بن المظفر من هذا المجرى، مع أنه هو أول المعاجم، إن لم يكن كتاب أبى عمرو الشيبانى أسبق منه، وهذا من مجرى ما تقدم ذكره من معجمات البلاغة والحديث .

وفى عصرنا هذا إيثار لطريقة الفائق ومعجمات الحديث ، هذا على تحسين الظن بعصرنا أنه اقتدى بهؤلاء . والراجح، بل كأنه هو الذى لاريب فيه ، أن المنجد وما أشبهه إنما أريد بها محاكاة معجمات اللغات الإفرنجية .

ومن أقدم معجمات اللغات الإفرنجية معجم صمويل جونسون، ويجعله بعض الباحثين أول معجم وضع فى اللغة الإنجليزية، مضربين عن آخر سبقه لاعتبارهم إياه ضعيفا أو هزيلا أو ناقصا ، ومعجم جونسون كأنما قد حذى فى طريقة

● ألقى هذا البحث فى الجلسه الرابعة من جلسات المؤتمر يوم السبت ٢٥ من شوال سنة ١٤١٣ هـ الموافق ١٧ فى أبريل سنة ١٩٩٣ .

تأليفه على الصحاح ، حيث يستشهد على كل كلمة تنص من النظم أو النثر المجود، ذى شبه شديد بطريقة صحاح الجوهرى ، وقد كان نظر أدباء أوروبا فى القرن الثامن عشر الميلادى إلى روائع أدب العربية وتأليفها كثيرا وشديدا .

أما قولى سابقا إن ترتيب الصحاح عندى أجود من غيره فحجتى على ذلك أنه أعتمد على أصلين عريقين فى العربية - حرفها المجرد ، وحرفها الإيقاعى الأساسى . أما حرفها المجرد فهو أثبت ما يثبت من كلماتها وعليه مدارها أحادية كانت أو ثنائية أو ثلاثية ، وكأن الثلاثة فى العربية أصل . قال سيبويه فى باب عدة ما يكون عليه الكلم : « وأما ما جاء على ثلاثة أحرف فهو أكثر الكلام فى كل شئ من الأسماء والأفعال وغيرها ، مزيداً فيه وغير مزيد فيه ، وذلك كأنه هو الأول ثم تمكن فى الكلام ١٠.هـ » . وقال الفارابى فى كتاب الموسيقى الكبير (ص١٠٩١) :

« والأقاويل ذوات الأجزاء منها ما نهايات أجزائها أشياء واحدة بأعيانها ومنها ما ليست نهايات أجزائها واحدة بأعيانها . ومتى كانت الأقاويل ذوات الأجزاء تتناهى أجزاؤها إلى أشياء واحدة بأعيانها، فإن كانت غير موزونة ، فهى تسمى عند العرب أقاويل مسجوعة ، ومتى كانت موزونة سميت أقاويل ذوات قوافٍ ، فإنهم يسمون الأشياء الواحدة التى تتكرر فى نهايات الأقاويل الموزونة قوافى . والقوافى ربما كانت حروفا وربما كانت أسبابا وربما كانت أوتاداً ، وأشعار العرب فى القديم والحديث فكلها ذوات قوافٍ إلاّ الشاذ فيها وأما سائر أشعار الأمم الذين سمعنا أشعارهم فجلها غير ذوات قوافٍ ، وخاصة القديمة منها ، وأما المحدثة منها فهم يرومون بها أن يحتذوا فى نهاياتها حذو العرب . ا.هـ »

قول الفارابى هذا فيه دلالة على أن القافية وما يجرى مجراها مما تضبط به . نهايات إيقاع أجزاء الكلام؛ ذلك أيضا من أصول بيان اللغة العربية وبنية أنواع إيقاعها

لا يخفى إذن أن ترتيب العين والتهذيب والجمهرة على صحة ما التزم فيهن وفى أمثالهن فيه أضراب عن بنية هذين الأصلين المهمين جدا - المجرد الثلاثى فما دونه ، وأواخر الكلم اللاتى يدور عليهن إيقاع الأسجاع والفواصل والقوافى .

وترتيب المنجد وما إليه ، ليست فيه بركة غريب الجديث ولا أن العدد محدود معلوم فى جملته ، وفيه بعد قبح التقليد وصحافية اليُسْر وعوامّيته أو عاميته .

هذا ، وزوائد ما يلحق بالكلمات الأصول فى العربية ليست مما يشكل على طالب النظر فى المعجم إذ أكثرهن من علامات التثينة والجمع والنسب ، أو من الصيغ المألوفات الكثيرات الورود فى، الكلام كصيغة فعلان فى الجمع والصفات والألفين الممدودة والمقصورة وهذا واضح .

وما يخلو معجم من أن تعترض ضروب ترتيبه أشياء من هذا النوع . وفى المعجم الإنجليزى ربما ذكر بعد الكلمة ملحقات مما ينتهى ب (أبل) أو (أنس) أو (أيت) . . . وهلم جرا .

هذا وصلة الشاعر بالمعجم العربى سوى ما قدمنا من هذين الأصلين قوية جدا . . إذ كما أن القافية تطلب من أجل إكمال إيقاع نهايات الأبيات ونهايات التصريع وأصناف التقسيم والترصيع الملائمات لرنة القافية ؛كقول الهذلى :-

يحمى الصحاب إِذا كان الضّرابُ وَيَكْـ
ـفى القائلين إذا ماكُبّل العانى

وقول الخنساء :

حمال ألوية ، شهاد أندية ،
جواب أوديةٍ ، للجيش جرّار

وقول أبى الطيب :

فنحن فى جذلٍ والروم فى وجل
والبر فى شُغُل والبحر فى خجل

وقول حبيب :

تدبير معتصم بالله منتقم
لله مرتغب فى الله مرتقب

كذلك تطلب من أجل إتمام المعنى ،مع تمام

المواءمة لذلك والاستقامة لتركيب الكلام وسلاسته . وكذلك تطلب غرائب الألفاظ في القوافي وفي حشو البيت من أجل التحسين ومن أجل إظهار الاقتدار وإرهاب الخصوم .

نجد هذا عند قدماء الشعراء ؛مثل : امرئ القيس ،إذ في شعره قافية الصاد والضاد وفي شعر هذيل وكان يكثر فيه الغريب الصاد والطاء والزاى .

وركب رؤبة بن العجاج الشين وأطال في كلمة

عاذل قد أطعت بالترقيش

إلى سرّا فاطْرِقى وعيشى

فالخسر قول الكذب المنجوش

إنك إلا تقصدى تطيشى

وركب الزاى فأطال في كلمته :

يأيها الجاهل ذو القنزى

لا توعدنى حية بالنكز

ولا امرؤ ذو جدول يلز

دعنى فقد يقرع للأضز

وركب الضاد والطاء والغين، وهى من أشرس ما يُرْكَب :

قد عجبت لبَّاسة الُمصبَّغ

أَن لاح شيْبُ الشعَّر المثمغ

وعض عض الأدرد المثفثغ

بعد أفانين الشباب البرزغ

وسمى قدامة ما ركبه محمد بن علقمة التميمى فى كلمته :

أفرخ أخا كلب وأفرخ أفرح

توحيشا .

وأحسب أن لصلة الشعر بشيطان الشعرُ ؛صلةً قوية بطلب الغريب والبديع وضروب الافتنان اللفظى – إذ البيان كله فيه ما يسحر ، وفي الحديث : « إن من البيان لسحرا . . . » والسحر ما حسن وحلّ منه وما خبث وحرم منه كلا ذينك قوى الصلة بالغيبيات وأجواء الطلاسم . وعلى شدة حرص ابن الأثير على السلاسة والصفاء والرونق الحضارى ، حتى لقد جعل شعراء الجاهلية والعالمية معاماهم إلا قد كانوا تمهيدا لحبيب والوليد وأبى الطيب

وشبه هؤلاء بالغرانيق الثلاثة العلى التى كان يعبدها الجاهليون ويلبون لها ، مع ما أبطله الإسلام من أمرها كل الإبطال : قال إنهم هم لات الشعر وعزاه ومناته الذين انتهت إليهم حسناته ومستحسناته - وعلى شدة حرص ابن الأثير هذه أجاز أن يجئ الغريب فى الشعر ويكون موقعه حسنا .

وأنكر المعرى سحر أصحاب النجوم فى قوله :

لو كان لى أمر يطاوع لم يشن
ظهر الطريق يد الحياة منجم
وقفت به الورهاء وهى كأنها
عند الوقوف على عرين باكم
ويقول ما اسمك واسم أمك إننى
بالظن عما فى الغيوب أترجم
يولى بأن الجن تطرق بابه
وله يدين، فصيحها والأعجم

ومع ذلك ألح على متابعة زخرف القول، الذى إنما هو من عمل سحر شياطين الشعر ، فركب لزوم ما لا يلزم فى القوافى وفى حشو الأبيات ولم يكتف بالتزام الحروف التسعة والعشرين، فالتزم أصناف الحركات والردف والتشديد وهاءات السكت وغيرها .

واستهوى عمله أصنافا من الشعراء قبله وبعده - وصنع حازمْ القرطاجنى اليونانىّ مزاجِ الأدب والنقد مقصورته . وافتن أصحاب المقصورات والوتريات والعشرينيات من مداح الرسول، صلى الله على وسلم .

ثم جاء عصرنا الحديث .

ومهد للنهضة المبدعون من شعراء شنقيط والصحراء ، كصاحب الميمية التى جارى بها حميدا ولصاحب الشمقمقية الغريبة العجيبة .

وتلا هؤلاء شعراء النهضة أنفسهم. وركب البارودى الطاء ، ولزم مذهبا من الجزالة أعيا نظيره الفحولة المتقدمين من المحدثين من لدن الأبيوردى والصفى الحلى إلى ابن الأبار وابن زمرك وفى بردة شوقى وغيرها غريب كثير .

وبلغني أنه- رحمه الله- كان ربما جمع الكلمات التي تصلح قوافي لما كان مقبلاً عليه أو يريد أن يقبل عليه من نظم. وسمعت الدكتور طه حسين- رحمه الله يقول: إنما كان هذا منه ترويضا للنغم، وليس من باب استكراه العمل وتكلف الصنعة. وما يغلب على طريقة شوقي من التماس الترنم، كأنه يصحح هذا الرأى.

وقال هارون عبود، في كتابه: مجددون ومحبوسون، في بعض ما قال، ينصح به الأديب: إن القاموس إلهك أو آله فاعبده».

وههنا جراءة من القول - ولكن مراده من معنى المبالغة واضح.

وقد جاء الآن مذهب أصحاب شعر التفعيلة. وأحسب أن هؤلاء سيحتاجون إلى غير قاموس العربية، وقد قدمنا قول الفارابي في الموزون، وفي نهايات الأجزاء، وهو ينقض ما هم إليه ذاهبون وبه آخذون، ولعلهم أن يذهبوا في النحو مذاهب لم تعرفها العرب ولا يقرها ذوق لغتهم، كجمع مدير على مدراء واستعمال « فيما » مكان « بينما » والإسراف في إتباع بعض الأفعال المتعدية حروف الجر من غير ما كبير حاجة إلى ذلك، كقولهم: تعرف على - وقال صاحب الصحاح: تعرف الشئ أى طلبه حتى عرفه أو شيئا من هذا المعنى.

وقال الكميت:

وإلا فقولوا غيرها تتعرفوا

نواحيها تردى بنا وهى شزب

وقال الآخر: [1]

وقالوا تعرفها المنازل من منىً

ولم أجد فيما اطلعت عليه أن طه والرافعي والعقاد، همت على قبورهم شآبيب الرحمة، قد عدّى أحدهم تعرف أو التعرف بعلى، والحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين.

عبدالله الطيب

عضو المجمع من السودان

* * *

(١) علمت من الشيخ الجليل عضو المجمع من السعودية الأستاذ حمد الجاسر أن قائل هذا البيت هو مزاحم العقيلي من قصيره طويله.

سمات مشتركة بين اللغة العربية واللغة المصرية القديمة★

للدكتور : عبد العزيز صالح

لعله ما من شئ أكثر وجوبا من أن تعقد المقارنات أو تعقد الأواصر بين اللغة المصرية القديمة واللغة العربية ، رغم شدة تباين أشكال الكتابة فى نصوصهما المألوفة . ولم تكن خطوط الكتابة هذه قد ابتدعت فيما هو معروف إلا بعد نشأة اللغات بما يصعب تقديره من الأجيال والقرون الكثيرة وربما تغيرت صورها من حين إلى آخر ، بناءً على تعاقب الأزمان والحضارات ورغبة التنويع والتطوير . أما أساسيات هاتين اللغتين وقواعد النحو والنطق فيهما ، فقلما تبدلت طالما استمر التواصل قائما بين بيئاتها الطبيعية وتكويناتها البشرية والحضارية .

وكثيراً ما استشهدت بعض البحوث اللغوية الحديثة بأعداد من مفردات اللغتين : العربية والمصرية القديمة ؛ للدلالة على قرابة ما بينهما ، مع تلمس تأثيرات الطابع السامى أو الطابع الحامى فى نصوصهما القديمة ، وهو اتجاه حميد نسبياً ، ولكنه قاصر على الأقل فى صوره اللفظية لغياب دلالات النحو ؛ ولأن ألفاظ الحضارة بخاصة قد تنتقل من بلد إلى آخر أو من شعب إلى آخر دون أن يواكبها ترابط لغوى أو جنسى يجمع بالضرورة بينهما .

وتضمنت المصادر المصرية القديمة من ناحيتها .شواهد وقرائن عدة ؛ للتقارب بين هاتين اللغتين المصرية والعربية ، وزاد من قيمتها أنها لم تتوقف عند حد احتواء نصوصها على مفردات سامية أو عاربة أو مستعربة عتيقة فحسب ، وإنما تجاوزت حدود الألفاظ إلى ماهو أهم منها ، وقدمت معها أصولاً لقواعد نحوية مشتركة

★ ألقى هذا البحث فى الجلسة الخامسة من جلسات المؤتمر ، يوم الأحد ٢٦ من شوال سنة ١٤١٣ هـ ، الموافق ١٨ من أبريل سنة ١٩٩٣ م .

وهى الأكثر حجةً عما عداها فى مجال تأصيل اللغات . ومنذ أوائل الألف الثالث قبل ميلاد المسيح أى فيما تقدم العصر الحاضر بنحو خمسة آلاف عام على وجه التقريب ، دُوِّنت المتون المصرية القديمة بقواعد لغوية لايكاد بعضها - ولا نقول كلها - يختلف كثيراً عما قامت عليه بعض قواعد اللغة العربية ، حين اتضح بنيانها . وهو أمر يمكن أن ينهض قرينة على احتمال إرجاع تشكيل وتأصيل العناصر المتشابهة فى هاتين اللغتين إلى ما لايقل كثيرا عن ذلك الزمن السحيق . ولن ينقض هذا الاحتمال عدم وضوح تطبيقات هذه القواعد بالنسبة للمراحل العتيقة من اللغة العربية بخاصة ، وذلك تبعاً لغياب نصوصها ، ولعدم معرفة أهلها الأوائل بالكتابة أصلاً حينذاك .

وفى الوقت ذاته لن يعنى القول بهذا الاحتمال للصلة بين هاتين اللغتين افتراض وحدة لازمة بينهما ، أو اعتبارهما لغة واحدة ، لا ولاتبعية الواحدة منهما للأخرى أو اشتقاقها منها . وإنما هو ينم أساسا عن إمكان احتسابهما صنوين متقاربين انتسبا إلى أم لغوية قديمة ، أوجدة لغوية عتيقة ، تضمنت أرحامها جذوراً أولية وأساسيات توارثتها جماعاتها زمناً ما وأكمل كل شعب نصيبه منها بطريقته فى سياق تأصيل كيانه ، وطوّع فروع ميراثه إلى ما يوائم إيحاءات بيئته ومتطلبات حضارته ، وتطورات ثقافته ، أما الأم اللغوية تلك ، فيعبر عنها عادة باسم المجموعة السامية أو ما قبل العربية (وما قبل المصرية أيضا) . وأما الجدة العتيقة فيكنى عنها اصطلاحا بالعائلة السامية الحامية (أو العكس) . وتكاد كل منهما ، بأقسامها الصادرة عنها ، تقوم مقام كف اليد البشرية من حيث كونها أصلاً للأصابع المتفرعة منها وهى أصابع أيًا ما تفرد كل منها بوضعه وشكله يظل متصلا بها فى منبته ونسبه .

ومع هذه المقدمات والتحفظات التي آثرنا البدء بها ، تجانس عدد لايستهان به من قواعد التركيب الأولية فى نصوص هاتين اللغتين القديمتين المصرية والعربية . وقد نشرنا عن بعض معالمها فى بحوث متفرقة منذ عام ١٩٦٢ مردودة إلى مصادرها ومراجعها التفصيلية[1]. ويمكن ترتيب أهم خواصها المشتركة ، فيما يتعلق بقواعد اللغة المصرية القديمة بخاصة فيما يلى :

١ - وجود حروف الحاء والعين والقاف بين حروفها ، وهى من أصوات المجموعة السامية أساساً .

٢ - كتابة الحروف الساكنة وشبه اللينة فى كلماتها دون حروف الحركة التى تضمنتها .

٣ - شيوع المصدر الثلاثى بين أفعالها ، وغلبة الفعل المعتل الآخر فيها .

٤ - استخدام الجملة الفعلية إلى جانب الجملة الاسمية كل فيما يناسبها .

٥ - إضافة تاء التأنيث إلى نهاية بعض أسمائها وصفاتها المؤنثة ، واستخدام لفظ "تا" كاسم يشار به إلى المؤنثة المفردة .

٦ - إلحاق الصفة فيها بالموصوف ، مع تماثلهما معاً ؛ جنساً وإفراداً وجمعاً .

٧ - إدراج صيغة المثنى فيها ، وهى نادرة الاستعمال فى بقية اللغات .

٨ - تشابه ضمير المتكلم المطلق المفرد فى اللغة المصرية القديمة وهو "أنك" مع الضمير الأكدى فى العراق وهو «أناكو» ، والضمير العبرى والمؤابى السامى فى جنوب الشام وهو « أنج » ، وأنوكى ، وأنوخى» - واستعملت الكاف ضميراً للمتكلم فى بعض اللهجات اليمنية الحالية .

٩ - إلحاق نون الجمع ، وواو الجماعة ، بنهايات الأفعال والأسماء المرتبطة بها .

١٠ - تشابه ضمير المتكلم المطلق الجمع فى اللغة العربية ، حين تأكيده بالأداة «إن» مع مثيله فى اللغة المصرية القديمة وهو «إنْن» .

١١ - تشابه كاف المخاطب المفرد مع الكاف العربية والآرامية والجعزّية ، وإلى حد ما مع الأكدية السامية ، وهى « كا ، أوكو » ، فى حال المضاف إليه ، وحال المعطى له .

١٢ - امتداد نفس هذه الظاهرة إلى حال الفاعل المفرد ، وهو ما أخذت به بعض اللهجات العربية القديمة فى مثل « أتيكا » بمعنى أتيتَ ، وعصيكَ ، بدلا عن عصيت[٢] .

١٣ - إلحاق ياء النسبة وياء الملكية للمتكلم المفرد العربى مثل نيوتى بمعنى مدينتى ، وآختى أى مشرقى ، وسختى بمعنى قروى وإن أشبهت الياء المقصورة أو الجرة أحيانا . فى اللغة المصرية القديمة .

١٤ - استخدام الإضافة المباشرة إلى جانب الإضافة غير المباشرة ، واستعمال لام الإضافة مع قلبها نوناً .

١٥ - إضافة تاء المخاطب المفرد فى إحدى صيغ الفعل الماضى ، وفيما يقوم مقام صيغة الحال .

١٦ - تأكيد الخبر أحيانا بحرف « إن » .

١٧ - اعتبار حرف النون حرفا أصيلا فى الضمير المتصل بالنسبة للمتكلم الجمع فى حالتى الفاعل والمضاف إليه ، مع تغييرات طفيفة بين لهجة وأخرى .

١٨ - تأكيد الجملة الاسمية أحيانا ببدئها بحرف « إن » .

١٩ - إضافة ميم المكان وميم الأداة إلى بعض الأسماء والأفعال لتوليد مسميات مخصصة ، على غرار المتبع فى اللغة العربية .

٢٠ - استخدام حرف الميم ضمن أدوات النفى فيها (وفى بقية اللغات السامية) .

٢١ - استخدام لفظ «مع» للمعية .

٢٢ - استخدام تمييز البعض من الكل فى مثل "إقر صبعو" المصريين بمعنى ماهر الأصابع .

٢٣ - استخدام لفظ "سُوَ" تارة وحرف السين تارة أخرى للتعبير عن ضمير

الغـائـب المفـرد المذكر ، وبمـا يقابل لـفظ "هو" وإلهـاء فى اللغة العـربية الشمـالية وبعض اللهجات المعينية اليمنية .

٢٤ - استـخدام لفـظ "سِيَ" أحيـانا وحــرفِ السين كذلـك فى التـعبير عــن ضــمــير الـغائـبـة المفـردة ، وما يـوازى لفظ "هِيَ" لاسـيما فى حالات المفـعول به والمفعول العائد والإضافة ، وهو ما أخذت بــه لهجـات معين وقتـبان وحضـر موت القديمـة وبعض اللهجـات اليمنيـة الدارجة المعـاصرة ، فيـما خـلا اسـتعمـال "سا" للغائبة عوضا عن سى .

وذلك علـى حين قابل الأكـديون فى العـراق هـذه الضمائر بـتغيير طفيف أحلوا بـه حـرف الشين محــل السـين فى مـثـل شُوَ ،وشِيَ . . . .

٢٥ - وعلى نفس النـسق كان ضمير الغائبين لدى المصريين هو "سن" بينما كان نظيره الأكدى العراقى هو "شن"،.. إلخ .

وزكت مـضامـين النصـوص المصـرية القـديمة هذه الأسـس الأوليـة المشتـركة أو المتجـانسة فيـما بينـها وبين اللـغة العربـية بمفـردات وفيرة مـن أسماء وأفـعال تشـابه أغلـبهـا لفظـا ومعـنـى ، ولـيس لفـظا فحسـب ، فى كل من الـلغتين . ونـيفت أعدادها المرجحة على نـحو مائة وخمسين لفظا نم أقـدمها زمنا عن عـمق وجوده فى اللـغتين ، ودل أحـدثها زمـنا علـى الأثر اللغوى لاتصال التعامل البشرى والحضارى بين الشعبين .

ولعل من أكثر هذه الألفاظ دلالة على تقـارب أصول اللـغتين الألـفاظ المـتعلـقة بتعريف أجــزاء البدن ، وكانـت كلـماتها فيما يحتمل من أوليـات مانحتته جماعات البشر الأولى بطرائق نطقها المتعددة . ومنها فيمـا أوردته اللغـتان : ألفاظ عـين وشفة وأذن ويد وكف وإصبع ، وإلـى حدما لبّ ولسان . ،ذلك مع تحفظين ، وهما وجود قدر من تحـوير النطق والـترتيب لـلحروف الأساسـية بـين هـذه وبـين تــلك ، ثــم

استعمال أعداد من المترادفات الموازية لها في معانيها ، والمختلفة عنها في نطقها ، في كل لغة منهما على حدة.

ومن نماذج ما رجحنا فيه تماثل وتقارب أفعال وأسماء اللغتين من حيث الحروف الأساسية على أقل تقدير ، مع توقع تعرضها لقدر ما من ظواهر القلب والإبدال والإعلال أو التزيد أحيانا ، إلى جانب تعدد مترادفاتها في لهجات الفريقين :

أولا : أفعال : حسب وختم وخبّ وشدّ وشع وتم وتمم ونجر ونعى وخوى وكبكب وحبس (أى ألبس) وبصق وبصر ونسب وانساب ورقى وحطم وشمع (أي طرب) ، ثم وهى ووهن وفدق ووصى وخسئ وقاء وعنّ (أى طلب) ، ولمح وكمد وأبى (أى رغب) وعبى (أي افتخر) ووسع وعرك وصفا وصحن وبدش (أى تعب) ووخى وخدب (أى ذبح) ، وكذا زعق وعشق وحزن ونقم وبتح وبرق وبلج ووزن وبارك وقطف وطمس وويخ أو وبص (أى وضح) وعبا (أى اضاء) وجنف (أى أنِف) ، وما ماثل ذلك .

ثانيا : أسماء : جناح وعنزة وذئب وقمح وتمساح وصنو وسبى وطفل وقد ومسك (أى جلد لحيوان) وموت ومنامة ومنية وأثل وزمن ويمنة وواحة وست وثمان ومرقاة ونبر وبرّة (أى بذرة) وسين(أى طين) ، وكذا حمض ودقيق وزعقة وهمهمة ويم وبركة وعجلة ومنحة وبركة ومغارة ومخاضة وسيف وحصان وحرية ورمح وزيت ونبق وزيتون ورمان وكرم وصبى وقرر (أى ضفدع) وكعك وتابوت وقفا وسدرة وجار وقش وجص وثابر (أى زابر أو كاتب) . . . إلى آخره .

ولا ريب فى أن هذه المتشابهات قلة من كثرة أخرى قديمة اندثر أغلبها أو ندر استعمالها وانطوت ألفاظها فى بطون معاجم اللغة. وقد آثرنا الاكتفاء منها

بصيغها العربية مراعاة للتخفف من تفاصيل بعض الفوارق اليسيرة بينها وبين صيغها المصرية والتى يسع المتخصص أن يراجع حرفيتها فى بحثنا آنف الذكر ، ومع هذا يمكن أن نضيف فى مقابلها متشابهات نادرة أو شبه بائدة ، للتدليل على أن مثابرة البحث فى أمثالها قد تقدم المزيد من الإضافات المفيدة ، على شريطة تجنب الافتعال فيها . فقد عبرت النصوص المصرية القديمة عن الفأس الذى يستخدم فى الحرث باسم مر ، والمر فى لسان العرب هو المسحاة أو مقبضها ، وهو من المحراث ويعمل به فى الطين . وعبرت النصوص المصرية عن الرِجل والخطو بلفظ رد - وفى اللسان ترد «ردى» بمعنى مشى ، وردت الجارية أى حجلت أو تبخترت . وعبرت عن المشترى بلفظ مكارى وهو لفظ سامى قديم ، وعن التاجر بلفظ شوطى . واستخدمت بعض النصوص اليمنية القديمة فعل شاط وشوط بمعنى تاجر أيضا . وقالت ، أى النصوص المصرية ، حكن وحنك بمعنى مدح وقدم قربانا ، واستخدمتها بعض النصوص اليمنية أيضا للمعنى ذاته ، وتماثل لفظ مو المصرى مع موه وتصغيره موية فى بعض لغات العرب القديمة والمعاصرة أيضا ، بمعنى الماء ، حيث الهمزة فيه مبدلة من الهاء .

وعلى أية حال ، فلم تستهدف القرائن الكثيرة السابقة تدليلا على قرابة اللغة المصرية القديمة للجذور السامية أو العربية ، بقدرما استهدفت التنويه أساسًا بتواجد عدد واف من أصول قواعد اللغة العربية أو أشباهها ، ومفرداتها الفصحى أو أمثالها ، فى عصور أسبق زمنا بكثير من عصور تسجيلها بأيدى أهلها ، بل وأسبق زمنا كذلك من لغات من حاولوا أن يثيروا التساؤلات والشبهات حول تأصيلها . وهو ما زكته نصوص أخرى من أكد وبابل وآشور ومن إبلاوماري وأوجاريت وغيرها .

وقد تعمدنا فيما تقدم من هذا البحث أن نركز على المقارنة بين اللغة المصرية القديمة وبين اللغة العربية بخاصة دون ما جرى عليه أغلب المستشرقين من عقد المقارنات بينها وبين اللغة السامية بعامة واللغة العبرية بخاصة .

ولا بأس من تعقيب قصير على التسميات الشائعة عن "السامية الحامية " أو " الحامية – السامية " من حيث هي تسميات تجوزية جرى العرف على استخدامها دون أن يرجع العلم صحتها . فإلى جانب بعض رواياتها القديمة الغامضة رددتها البحوث المحدثة منذ عام ١٧٨١ م فى إثر المستشرق النمساوى أوجست لودفيج شلوتسر الذى اقتبسها فى كتاباته مما ذكرته بعض سلاسل الأنساب فى مثل الإصحاح العاشر من سفر التكوين عن مواليد بنى نوح ، والتمييز بين من اعتبرهم العبرانيون ساميين من نسل سام بن نوح وإليهم نسبوا أنفسهم ، وبين الحاميين من نسل حام بن نوح . وقد أوشكوا أن يجعلوهم أدنى منزلة منهم وأقرب إلى السمرة ، وشابهوهم فى ذلك إلى حد ما بنو يافث . وحين تُذكر قصص العهد القديم فى مثل هذا المقام يفرق فيها عادة بين ما تأكد تنزيله من وحى السماء ووجب التسليم به ، وبين ما وضعه الكتبة وأضافه الأحبار فى عصور متفاوتة ولم يسجل إلا بعد قرون من وفاة أصحابه وهو لهذا يستوجب التحفظ بشأنه وشأن ما تداخل فيه من الغرض والتزيد . ومن أجل هذا لم يتحرج بعض الباحثين ومنهم يهود ومسيحيون أنفسهم من التنبيه إلى أن سلاسل الجماعات والشعوب فى هذه القصص اقتصرت على بيان ما عرفه كاتبها من أسمائها وهو كاتب لم يعرف اسمه وتأثر فى تصنيفها بما حملت من العلاقات بينها وبين قومه ، وترتب على ذلك أن ضم إلى العبرانيين فى الجماعة السامية الأثيرة لديهم عددا من الجماعات والشعوب والقبائل القوية والصديقة لهم ، على حين نفى

السامية عن خصومهم وعن الجماعات المستضعفة فى عصره . وجرى على مثل هذا الاتجاه عدد آخر من الأحبار والنسابين بلغ من تحيزهم أن نفوا السامية عن الكنعانيين والفينيقيين على الرغم من أنهم من صلب أصحاب اللغات السامية الأوائل ومن أهل الشام الأصيلين . وماكان ذلك التجنى عليهم إلا لأنهم عادوا العبرانيين وقاوموا أطماعهم فباءوا بسخطهم .

وثمة أمر آخر يتصل بالمصادر الإسلامية على أقل تقدير ، وهو المتواتر عن اعتبار سام وحام ويافث أبناء لنوح عليه السلام مع تمييز الواحد منهم عن الآخر ، وهو خبر لم تقل بمثله آيات الذكر الحكيم ، ولم يذكر القرآن الكريم لنوح عليه السلام غير ولد واحد كان من المغرقين فى حياة أبيه (إلا إذا افترضنا احتمالاً أن نوحاً تزوج وأنجب بعد انحسار الطوفان أبناءً آخرين) . وذلك ممايعنى عدم ضرورة الالتزام بالرواية العبرية بشأنهم وإن لم ينفها تماما ، وأن الفوارق الشعوبية التى وضعها العبرانيون فى سلاسل الأنساب هى فوارق مفتعلة لم يسبب ظواهرها من حيث اختلاف اللون واللغة غير الفوارق المناخية والظواهر البيئية وفوارق اللغات واللهجات .

وهكذا احتفظ بعض الليبيين على المناطق المرتفعة ببشرة بيضاء وشعور وعيون ملونة على الرغم من اعتبارهم من أصحاب اللغات الحامية .

ولايقلل من أهمية هذا الدفع أن عددا من المؤلفات الإسلامية المبكرة قد أحسنت الظن بالإسرائيليات وتوقعت العلم فى الروايات العبرية ولهذا رددت بعض آرائها فى الأنساب دون تمحيص كاف .

وعلى أية حال فبناء على أمثال هذه الملابسات والتحفظات أوشك العلم الحديث أن يجعل تسميات السامية والحامية راجعة فى الأكثر على الخواص اللغوية لا إلى التسميات العرقية ، وإن لم ينفها تماما أو يثبتها تماما .

وقد نستخدم تعبير الساميين وتعبير الحاميين فى سياق الأحاديث نظرا لشيوعهما ، ولا ضير فى هذا ما دمنا نتبين حقيقة الأمر فيهما ، وحيث دلت الشواهد التاريخية على أنه لا وجودلسلالة بشرية أو لغوية لم تختلط بغيرها قط وأن اختلاط السلالات بعضها ببعض قد يؤدى أحيانا إلى تجديد حيويتها وثراء حضارتها ، وذلك على شريطة ألا تطغى العناصر الدخيلة على العناصر الأصيلة فيها ، ومع تقدير أن المتشابهات فى قواعد اللغتين العربية والمصرية القديمة لا يمكن أن تكون قد نقلت باتصالات عارضة شأنها بعض المفردات اللفظية ، وإنما يدل تماثلها مع بعضها البعض على وحدة الأصول بينها ولو كانت أصولاً بعيدة سحيقة .

عبد العزيز صالح
عضو المجمع

★★★

من المراجع :

(١) عبد العزيز صالح : حضارة مصر القديمة وآثارها – الجزء الأول – القاهرة ١٩٦٢ – ص ١٥ – ٢٢ ، ٢٦ – ٢٨

cf.R. Weill, Recheches sur la Ire Dynastie et les temps Prepharaoniues, II, 1961 283., W. Vycicl, in Kush, 1959,27 f, T.W. Thacker, the Relationship of Semltic and Egyptian Verbal Systems, 1954, Calice, Princples of Egypto-Semitic Word Comparison, 1934, A. Ember, Ember, Egypto-Semitic Studles, 1930. Among older authorities, see Benfey, Hommel, de Morgan, Brugsch, Petrie, Kamal, Lacau, Erman, Sethe, Albright, eic.

(٢) انظر : عبد الحليم النجار : فى اللهجات العربية وأصول اختلافها – مجلة كلية الآداب – جامعة القاهرة – ١٩٥٣ ص ٤٠ ، وخليل يحيى نامى : من اللهجات اليمنية الحديثة – المرجع نفسه ص (١٠٧) .

آن أن يسعف تعريبَ التعليم العالى

قرارُ تدريس « معجم مصطلحات » موحَّد فى مادة التخصص(*)

للدكتور كمال الدسوقى

لقد تجاوز مرَّ السنين تناولُ جهود المجامع اللغوية العلمية العربية ومجالس الجامعات العربية (قبل أن ينشط اتحادهما منذ أول السبعينات . .) قضايا : التعريب للتعليم - القائلة بأن تنسيق وتوحيد لغة كل علم بالعربية هما - على حد تعبير أمين المجمعيّين العرب الدكتور شوقى ضيف أخيراً فى ندوة تونس (مايو ١٩٩٢) - الطريق إلى عالمية العلم العربى فى كل أرجاء العالمَ العربي ، وأن تفاود وحدة لغة التعليم بالعربية - أى الإجماع العربى لدى المتخصصين فى كل علم على مصطلحاته-هو السبيلُ إلى تناقل العلم العربى من الجيل إلى الذى يليه. « فلن يعود لأمتنا وعلومنا العربية دورهما التاريخى العالمى إلاّ إذا تعاون أبناؤها المعاصرون على النهوض بالعلوم فى وحدة علمية تضم هيئاتهم العلمية المختلفة كما تضم علماءهم فى لغة علمية ذات مصطلحات موحدة في كل علم - مثلما كانت الحال عند أسلافنا ، ليسهل على الخلَف الأخذ عن السلف ، ويبنى الخالف على ما سبق إليه السالف » .

١ - تراكمات جهود التعريب فى غير تنسيق او توحيد :

فقد خلُصت المؤتمرات والندوات التى عقدتها المنظمات والهيئات العربية حول تعريب التعليم الجامعى فى مجالات المصطلح العلمى والترجمة والتأليف التى أعدَّ لها الدكتوران عبد الحليم منتصر وشكرى فيصل ورقتى عمل اجتماع اتحاد الجامعات العربية فى الرياض (١٩٧٩) ونشرتا بالعدد الخاص لمجلة الاتحاد عام

* - ألقى هذا البحث فى الجلسة الخامسة من جلسات المؤتمر يوم الأحد ٢٦ من شوّال ١٤١٣هـ الموافق ١٨ من أبريل سنة ١٩٩٣ م .

١٩٨٠ عن « تعريب التعليم الجامعي والعالى » . . إلى ظاهرة تعدد المعاجم المختلفة الخاصة بكل علم من العلوم ، بما يبرز الحاجة إلى إصدار معجم علمي عربي موَّحد يحقق الهدف الأسمىَ من أن تكون العربية لغة العلم والتعليم فى جميع مراحله ، وضرورة أن تأخذ مكانها بين اللغات الحية المستعملة التى تتصدر لغات العالم ، كما انتهت إلى دعوة حكومات وجامعات البلاد العربية إلى اتخاذ قرار أن تكون العربية لغة التدريس فى جميع الجامعات والمعاهد العربية .

فالمجامع اللغوية - منذ ما قبل الحرب العالمية الأولى ومرحلة ما بين الحربين (بدمشق والقاهرة) وما بعد الحرب العالمية الثانية (بغداد وعمان) وحتى نشوء اتحاد المجامع اللغوية (١٩٧٠) قد حققت أهداف قيامها (بنص قوانين إنشائها) على رعاية اللغة العربية وسيادتها . . . فى إصدارات قوائم مصطلحاتها ، وإيجاد الكتاب العلمى المترجم أو المؤلف بلغة سليمة وإخراج جيد يقطع الطريق على التشكك والتردد . والجامعات العربية أصدرت الكتب العلمية الجامعية التى نشرتها وزارات التعليم العالى والبحث العلمى - ملحقًا بها قوائم بالمصطلحات العلمية المستعملة فى الترجمة - تضاف إلى ذلك جهود جامعة الدول العربية : فى الشعبة القومية لليونسكو ، ومكتب تنسيق التعريب بالرباط ، ومنظمة العمل العربية، ولجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية . . وهناك أيضاً اتحادات الأطباء والمهندسين والمحامين والمعلمين العرب ، ومجالس العلوم والآداب ، ومؤتمرات التعريب بالرباط (١٩٦١) والجزائر (١٩٧٣) وطرابلس / ليبيا . . وندوات « أسبوع التعريب » فى المغرب (يناير ١٩٦٣) وندوة مجلة الثقافة العربية للتعريب (١٩٧٥) ومؤتمر تعريب التعليم العالى ببغداد (١٩٧٨) والتعريب وقضايا اللغة العربية في التعليم الجامعى بالخرطوم (١٩٧٩) . .

وعلى صعيد آخر - هناك إلى جانب هذه الجهود الجماعية التعريبية التعليمية ، الجهود الفردية القيمة فى تعريب التعليم الجامعى ترجمة أو تأليفا ، وإصدار معاجم

عربية لغوية وعلمية متخصصة فى مختلف أقطار العالم العربى - منذ الرواد منير بعلبكى وسهيل إدريس وجبور عبد النور لمفردات الإنجليزية والفرنسية كمورد ومنهل للدارسين - بعد القاموس العصرى بالطبعات المتجددة والأحجام المتعددة لإلياس وأدوارد أنطون إلياس التي قررت وزارة المعارف طبعاتها الأولى لمعلمى اللغة الإنجليزية والترجمة في مدارسها الثانوية - مثلما كان يوزع علينا مختار الصحاح أو المصباح المنير ونحن طلاب ثانوى . . حتى أوائل المعاجم المتخصصة فى العلوم الطبية والصيدلية (شرف ١٩٢٨ ، المتعدد اللغات لكليرفيل ، ترجمة خاطر والخياط والكواكبى بكلية طب الجامعة السورية ، دمشق ١٩٥٦ ، ثم الطبى الصيدلى الحديث لعويضة ١٩٧٠ وحتىّ الطبى ١٩٦٧ وتعويض الاسنان لميشيل خورى ١٩٧٠ . .) وفى عنلوم الفلك (أمين المعلوف ١٩٣٥) ، والنبات (أحمد عيسى ١٣٤٩ هـ) والألفاظ الزراعية (فرنسى عربى للأمير مصطفى الشهابى دمشق ١٩٤٣) ، والنبات والحيوان لمحمود البرعى . . عدا المعاجم الجامعة لمصطلحات عدد من هذه العلوم لعمر كحالة (١٩٦٣) والوارد منها فى السنوات العشر الرابعة الأخيرة فى مجلة المجمع العلمى العربى لنفس المؤلف (١٩٧٢) والطبعة السابعة لمصطلحات الكواكبى العلمية ، مطبعة الجامعة السورية ١٩٥٦ - بل المعجم الكهربائى الإلكترونى (إنجليزى فرنسى روسى عربى لوزارة الدفاع السورية ١٩٧٨ ، والمصطلحات النفطية ، دار النشر للبترول ١٩٧٢ ، ومعجم مصطلحات البترول والصناعة النفطية لأحمد شفيق الخطيب ، مكتبة لبنان ببيروت (التى أصدرت فى ربع القرن الأخير ما يقرب من مائتى معجم فى شتى فروع المعرفة وبمختلف اللغات بكفاءة واقتدار سواء فى دقة التحرير وروعة الإخراج) ، والمعجم العلمى المصور الذى أصدره قسم النشر بالجامعة الأمريكية بالقاهرة تحت إشراف دائرة المعارف البريطانية ورئيس التحرير. الدكتور أحمد رياض تركى . .

وحتى هذه المرحلة ، كان تقييم هذه الجهود الجماعية والفردية الذى بادر به .

الدكتور شكرى فيصل (١٩٧٨) يشير إلى تراكمات هذه الجهود المتكثرة بتنوع لا يصل إلى الوحدة - التى هى الهدف الكبير والبعيد لهذه الوحدة . فمنظور هذه الجهود يرسم خريطة غنية بخطوط متداخلة ومتشابكة لما هنالك من تكامل وتقاطع ، تواصل وانقطاع ، قومية وإقليمية ، كلية وجزئية ، ضيق واتساع ، حذر واندفاع . . . والمناهج ذاتها التى نحاول بتكلف تلمُّسَ هذه الوحدة داخلها ليس بينها هذا التماثل أو التوحد . فمن الأعمال المعجمية ما آثر النقل علي التعريب ، الخطأ الشائع علي الصحيح المهجور ؛ من أصحابها من اطمأن إلى النحت ومَن أنكره ، مَن نزع إلى التشدد أو التيسير . . . والنتيجة المنطقية لهذا التكثر والتنوع هى التشتت وبعثرة الجهود اللذان من شأنهما أن يصبح طبيعياً أن يجهل كل بلد عربى ما حدث في البلد الآخر ، وألا تعرف أحدى الجامعات العربية ما يكون قد أخذ به من تعريب التعليم فى جامعة أخرى . فالكل يعملون بما يشبه أن يكون واحات منفصلة متباعدة على الأرض العربية العريضة لاتتواصل ولا تتكامل . وانعكس ما فى الحياة السياسية للبلاد العربية (من تنوع يقترب من التخالف وتكثُّر يقترب من التكرار) على هذا العمل العلمي الثقافى والتعليمى بحيث أصبحت المؤتمرات والندوات في كل قطر تبدأ عملها من نقطة الصفر لامن حيث انتهت إليه المؤتمرات والندوات السابقة-والجميع مشاركون فيها.

ولعل مما ساعد علي ازدياد تشتت تراكمات هذه الجهود الجماعية والفردية المتكثرة المتنوعة ما أسماه الدكتور فيصل بحق : « غياب مركز الدائرة » . ويعنى به تلك الغربة فى حياة الجامعات التى قصرت بها عن بلوغ هدفي تعلم العربية والتعليم بها والتردد طويلاً بين أن تظل بعيدة عن التعريب (للظروف التى أحاطت بها كما فى دول المغرب العربى خصوصاً التي كان عليها أن يتحقق لها أولا تعلم اللغة العربية فى المراحل قبل الجامعية لكيلا يكون التعليم الجامعى بالعربية منبت الصلة بما قبله من مراحل وكأنه يبدأ دورة جديدة فى حياة الفكر والعلم مبتوتة الصلات بما قبلها من مراحل وما حولها فى نطاق المجتمع وتنميته ؛ بل الصلات بلغته القومية

وعـروبتـه) وبين أن تنقـذ الفكر اللغـوى العربى بحشـد جهود ضخمة ترافـقها نوايا طيـبـة اسـتـغـرقت المدى الزمـنى الطويل للتغلب على ازدواجيات اللغة التي يمارسها أفراد كل مـجتمع داخـل كل قطر عربى . إن تأرجح موقف الجامعـات العربية وتأخر اقتـحامها مـيدان التعـريب والعمل به عن قناعـة بالإيمان اللغـوي وإلحـاح حاجـات المجتمعات العربية وتجارب الأقطار الأخرى فى المنظومة الدولية - حيث لم يكن الأمر يحتاج لأكثر من منهجية واضحة فى العمل تحرص على أن تجمع كل ما هو كائن لتفيد من كل جزئية فتضعها فى مكانها من البناء الكلـى ، ثم وضع برنـامج زمنى يـراعى التزامـه والتقيد به (حـتى لا تبقى حكاية تعريب التعليم الجامعى حكاية لاتنتهى) - لهو الـذي أدى بندوات ومؤتمرات مـجامع وهيئات التعـريب إلى التعميم والتكرار في طــرح المشكلة بما يجاوز الأهتمام بالعمل على حلها . فكما يقول الدكـتور فيصل : كنا دائما نتحدث عن التعريب : عن إقراره أو إنكاره ، عن قـبوله أو رفضـه ؛ ولكن الجهد الأقل كان منصبّاً على التعريب ذاته. وكنا نتحدث عن العربية وعبقريتها ، ولكن دون أن نستثمر - علي نطاق واسع - هذه القدرة وتلك العبقرية .

٢ - جماعية عمل اللجان (فالمجالس والمؤتمرات) تخفف الحساسيات :

لا تزال هناك إذن بقـايا الاجـتهـادات الفردية والجماعية عـلى مستوى الأشخاص والتبـاينات المحلية الإقليمـية على مسـتوى البلدان العـربيـة - فـيـمـا يـتـعلق ببلورة المصطلحات وتهذيبها وصياغتها ، والتنسيق بين الجهـود لتوحـيد العـمل بها وتبـادلها واعتمادها معـجم تعريب مادة تدريس أحد العلوم التى لهـا لجانها فى تشـكيل المجامع اللغـوية منذ سنة ١٩٥٨ - وقـد بلغت فى مجمع القـاهرة سبعاً وعشـرين لجنة منها للعلوم المخـتلفـة ست عشـرة (عدالجـان الفنون وألفـاظ الحضـارة والفلسفـة) هى لجـان : الطب ، الكيمـيـاء والصيـدلة ، الأحياء والزراعة ، الفيزيقا ،الرياضيات ، الهندسـة ، الهـيـدرولوجـيـا ، النفط ، الجيولوجيا، الجغرافيا، القانون،الاقتصاد ، التـاريخ ، الفلسفـة والعلوم الاجتماعـية

علم النفس والتربية ، المعالجة الإلكترونية للمعلومات . . تمر صياغة المصطلح العربى وبلورته بكل لجنة منها بمراحل إعداد وتحضير علي يد مقرر اللجنة (عضو المجمع المختص) والأعضاء والخبراء الذين يعاونونه (من كبار العلماء الأساتذة والباحثين فى المجال) ليتولى محرر اللجنة أمانة تدوين التعديلات و التنقيحات التي تسفر عنها مناقشات الجلسات الأسبوعية للمواد المعروضة - تمهيداً لتجميعها وترتيبها ألفبائيا (عربياً أو أجنبياً حسبما ترى اللجنة أنه الأنسب لموضوعها) وترقيمها وطبعها للعرض على مجلس المجمع فى جلساته الأسبوعية أيضاً ، مادة بعد أخرى - حيث يستعرض المجلس أعمال اللجان فيراجعها ويمحصها بالتدقيق فى تعريب المصطلح وصيغة التعريف ليعدّل ويضيف أو يحذف ما يراه لازماً (وربما ردَّ بعض المصطلحات المختلف عليها إلى اللجنة لإعادة النظر فيها) . وإذ يبعث المجمع بأعمال اللجان التي يقدمها فى صورتها النهائية لأعضاء المؤتمر غير المصريين لإبداء رأيهم فيها حين يفدون إلى المؤتمر السنوى للمجمع ؛ فإن ما يعتمده الجميع فى هذا المؤتمر الجامع للمجمعيين العرب يعد شهادة ميلاد المصطلحات الخاصة بالعلم من العلوم - كما يقال - التى تجيز لها أن تذيع وتنتشر.

ومع أن اللجان العلمية التى هى معمل التجهيز والتصنيع للصياغة والنقل والنحت والاشتقاق - وأعضاؤها وخبراؤها على أعلى مستوى من تقادم الخبرة بتعريب وترجمة وتأليف وتدريس مادة التخصص لعشرات السنين ، وأمامهم على طاولة الاجتماع كل ما ظهر من المعاجم بالعربية والأجنبية ، ونُصب أذهانهم وفى وجدانهم قرارات المجمع العلمية والأدبية وقواعد العمل بالتعريب التى تعاهدوا عند اختيارهم مجمعيين على الالتزام بها . . . فهؤلاء المجمعيون آخر الأمر بشر : لكل منهم ميوله وأذواقه وتفضيلاته التى ترسخت طوال معايشته لفكرة المصطلح الأجنبى (مبنىً ومعنىً) منذ استقر عليه فى المحاضرة والتأليف والبحث فأخذ به نفسه وتلاميذه وقراءه لا يريد به بديلاً أو يرى غيره أصلح منه . . فهو شديد الحساسية لزعزعة هذا الرسوخ الفكرى التى

يحاولها زميل له ولو فى نفس التخصص الدقيق وبكتابه فى نفس الموضوع ومحاضراته لنفس الطلاب . لقد يرى أن أية ترجمة للفظ لا تعطى المعنى المقصود به فى لغته الأجنبية كاملاً ، فمن الخير رسم اللفظ بنطقه الأجنبى بينما يرى زميل لجنة آخر أن من المفيد إعطاء اللفظ العربى التراثى أو المولد أو القياسى أو الاشتقاقى؛ قد يرى أن التعريب بما جرى عليه الاستعمال بين المختصين هو الأقرب إلي فهم الدارسين من الترجمة الدقيقة لغوياً التى يقترحها زميل آخر مهما تكن أصح - وإن كان لابدَّ فهو لايمانع فى وضعها بين قوسين ، قد لايتحرَّج من تعريف المصطلح بنفسه أو بأحد مشتقاته بدعوى أن أى مرادف للاصطلاح مها قرب لا يعطى نفس المعنى المقصود كتفسير (وإن خالف ذلك قواعد التعريف المنطقى بالحد أو الرسم) ولا مانع عنده من تكملة التعريف بمثال ؛ قد يفضِّل علي الفصيح المهجور العاميَّ الشائع عند أهل الصَّنعة برغم التنبيه إلى أن عامية اللفظ تختلف من بلد عربى لآخر - مما يعوق هدف التوحيد النهائى للتقريب ، قد يؤثر عند الاضطرار للنحت والاشتقاق أو التضمين . . . الرجوعَ إلى المعنى اللغوى للفظ الأجنبى والعربى المقترح أو يقول أن لا شأن لنا إلا بالمعنى الاصطلاحى . . . قد يقبل الأخذ برضى نفس بذات تعريب المصطلح عند أصحاب علم آخر وثيق الصلة أو يصر على أن هذا هو شأننا فى الاصطلاح على هذا الاستعمال للفظ.

وإذ لا ينسى المجمعيون أفراداً ولجاناً أنهم يُعَربون لطلبة التخصص بما ييسر التعليم بالعربية فلابد من التعريف المركز المختصر الذى يسهُل فهمه واصطناعه ، كما يتذاكرون ضرورة الجمع بين قواعد التعريب المجمعية السائدة ومقتضيات الاستفادة بالجهود الجماعية فى خدمة مادة التخصص ؛ تخف الحساسيات الشخصية لدى المتمسك بأحد المصطلحات في تشبث وإصرار على أنه الأصلح - خصوصاً فى اللجان التى يتعدد أعضاؤها وخبراؤها بما يتسع لتبادل الآراء والنزول أخيراً على رأي الجماعة - خلافاً للجان التي لا يكون تشكيلها إلا من المقرر وخبيرين فقط - كما هو المعمول به وربما لتخصص مزدوج

كالتربية وعلم النفس ، أو متعدد كالفلسفة والاجتماع والمنطق حيث لا يتوافر مع المقرر إلا خبير واحد لفرع التخصص بافتراض العمل فى معجم شامل لعلم النفس والتربية فى اللجنة الأولى - أو الاقتصار على إعداد معجم فلسفة توزع مواده على أربعة خبراء يلتقى كل اثنين منهم مع المقرر مرة كل أسبوعين لسرعة الإنجاز وإن انعدم التلاقي للحوار والتنسيق . ومهما يكن من أمر ؛ فالذى يُغلِّب الجماعية على الفردية فى أعمال اللجان وإن قل أعضاؤها استشعار الجميع أن نتاجهم سوف يعرض على مجلس المجمع ليدقق النظر فيه ويراجع المقرر والخبير فيما يقترحه الأعضاء من تصويبات لغة أو تعديلات أسلوب فى لفظة التعريب أو صياغة التعريف - وإن كان قد انضم إليهم فى عمل اللجنة عضو مجمع مختص بإصلاح اللغة وسلامة التعبير . أما أعضاء مجلس المجمع فتقوى حساسيتُهم بأن هدف جهود مجمعهم الأم هو تقبل المصطلحات التى يقُّرونها من أجل تبادلها والأخذ بها من جانب المجامع الشقيقة التى يحضر ممثلوها المؤتمر السنوى بالقاهرة أو يذهب لديهم ممثلو المجمع الأم لإقرارها وإصدارصك توحيدها والتوجيه باعتمادها كمعاجم علمية موحدة .

٣ - معاجم الفلسفة بين الموضوعية المذهبية والانحياز الايديولوجي :

وإذا كان هذا هو الشأن فى معيقات توحيد تعريب مصطلحات العلوم الأساسية والكونية التي لها موضوعية صياغاتها واستقرار دلالاتها علي معانيها ، فكيف بأغلب العلوم الإنسانية التي لمصطلحاتها مفاهيمها الذاتية وقضاياها الفكرية ومذاهبها الفلسفية التي تعكس بالضرورة وجهة نظر مستعملها لما أراد (أو لم يُرد) صاحبها - مما نعبر عنه بقولنا «المعنى فى بطن الشاعر» ، أو ننقد مستعملها بأنه قوَّل منُشئها ما لم يقُله - خصوصاً إذا كان اللفظ موروثاً عن القدماء وتطور استخدامه عبر العصور - فليس مستحدثاً قد تلقاه المعاصرون علي نحو موحد وتناقلوه بالاستحسان والموافقة على وتيرة واحدة ، أو كان معناه الاصطلاحى قد بَعُد به كثيراً عن المعنى

اللغـوى - بما يثيـر الجـدل حول ضـرورة مـراعـاة الأصل فى استـعـمـاله أو مَظانٍّ الاصطلاح عليـه - لعـدم مجـافـاة المناخ الفكرى أو البيـئة اللغوية التي نشأ فـيها أو انتـقل إليهـا . . . ؟ إن نظرة إلى مـا يزيد علي سبعـة عشر معجـماً فلسفيـاً عربيا - فردياً أو جماعياً - ظهرت فى ربع القرن ما بين ١٩٦٣ ، ١٩٨٨ ، بالقـاهرة وبيـروت ودمشق وبغـداد وتونس والدار البيـضاء - لتكشف عن سـعة البون بين مـؤلفيـها فى تناولهم الشـخـصى والإقليـمى ، الفكرى والمذهبى ، التعريبى أم التأليفى ، التصنيفى أو الانتـقـائى - حتـى فى اختـيـار المواد والأعـلام التي يكتب فى التـعريف بهـا ، الراجح الأخذ عن الفرنسية أو الإنجليزية أو الروسيـة أم عن التراث العربى ، التـرتيبى للمواد أو الأعلام بالفبائية عربية أم أجنبية ، بل المبـتكر لقواعـد تعـريب خاصـة به فى التـأصـيل لكتـابة الألفـاظ والأرقـام وفي التوليد والاشـتقاق وضم مقـاطع التراكيب ولصق لواحق تسـمـيـات الـعلوم والفنون اليـونانيـة بأصل مـوضـوع العلم أو الفن بالعربية فى مثل چمالوجيا = علم الجمال ، وفكرلوجيا = الأيدولوجيـة . . قياساً على أن اللغـوى الإنجليزى أو الفـرنسى لم يكن يتحرج من بـناء اللفظ من مقطعين لاتينى فـيـونانى ، إن السـؤال هنا هو : كـيف السبيل - ومعاجم الفلسفة هذه على ماهى عليه من نزعـات التميُّـز والانفراد فى كل نواحى عـملية الـتعـريب - إلى أن يُرجَى توحِيدها ليعم استعمالُها الوطنَ العربى من المحيط إلى الخليج مـا لم يتنازل أصحـابها عن رؤيتهم الذاتية للمـفاهيم والمصطلحات - بصـرف النـظر عن انتـقـائيـة المذاهب والأعـلام من شـتى الأجناس فى القـديم والحديث - فيعـتمدوا (برضى نفس وقوة إيمان بالمصلحـة القومـيـة للعالم العـربى) المعجم الموحَّـد الذى يصدره اتحـاد المجامع العربية - سواء فى أعمالهم العلمية الفردية وفي تدريسهم للشباب العربى - علي نحو مـا يحدث فـي تدريس العلوم الأسـاسيـة والكونية بمصطلحات عربية موحدة ؟

لقد كان أول عمل فلسفى فى الحديث نقلاً وتـأليفاً هـــو « الموسوعـة الفلسفـية المختصرة » تـرجـــمة عـــن الإنجـــليزية (لأساتذة فـلسفة إنجلـيز وفرنسـيين وألمان

وطليان) لموسوعة أيرسون قام بها الأساتذة فؤاد كامل وجلال العشرى وعبد الرشيد الصادق (بإشراف الأستاذ الدكتور زكى نجيب محمود) لحوالى ثلاثمائة مادة : ٦٥ مصطلحاً ومائتين وأربعين فيلسوفاً من اليونان والرومان والعصور الوسطى والمحدثين . أضيف إليهم كتأليف : الحديث عن أربع عشرة شخصية إسلامية .

ومن مجرد الاطلاع علي أسماء مؤلفى مقالات هذه الموسوعة فى الإنجليزية وأسماء الناقلين إلي العربية - وخصوصاً المشرف علي إصدار الموسوعة - يبرز الاتجاه إلى إعلاء فلسفات الوضعية والتحليلية المنطقية واللغوية ومناهج وفلسفة العلوم (١٩٦٣) - يقابل هذا ترجمة سمير كرم ومراجعة العظمة وطرابيشى عن الروسية للموسوعة الفلسفية (دار الطليعة، بيروت ١٩٧٤) للقاموس الفلسفى الذى وضعته لجنة من العلماء الأكاديميين السوفيت (وصدر عن دار التقدم ، موسكو ١٩٦٧) بإشراف روزنتال ويادين - حيث الطابع الأيديولوجى لمؤلفى ومترجم ودارَى نشر هذه الموسوعة - بل المواد المختارة للكتابة عنها - يخشى معه الناشرأن لا يخفى على القارئ ما يراد له أن ينساق إليه من عدم حياد وموضوعية فى جملة وتفاصيل ما يطرح من قضايا ويقدم من معطيات . فيضطر المترجم والمراجعان إلى اختلاف الترجمة العربية عن الأصل من حيث استبعاد بعض المواد الخاصة بالتعريف بمفكرين من الروس (وإبقاء آخرين) قد لا تكون لهم أهمية كبيرة بالنسبة للقارئ العربى - مقابل إضافة مواد خاصة بشخصيات عربية تهمه من غير شك - كابن خلدون والفارابى . . . . (وهى ليست كل ما هو عربى مهم) قد أهملها الأصل وهو يدَّعى « شمول معالجة الموسوعة من حيث المضمون لكل ماله أهمية فى حركة تطور الفكر الإنسانى (وصراعاته و اتجاهاته ومفاهيمه) .

وكذلك استبعاد بعض مواد وأعلام الفلسفة الشرقية القديمة - فارسية وهندية وصينية - وإيراد أخرى - بما يتنافى مع شمول الموسوعة المعلن عنه فى اهتمامها بالفكر الفلسفى الشرقى القديم - وإغفالها بالتالي لفلاسفة عرب كان لهم توجهات

مشـرقية مـضافة إلى اليـونانية كالبـيرونى والشهرستانى . وعـموماً الإغراق بإسهاب فى عرض مـواد وأعلام : المادة ، المادية ، المادية التاريخية ، الجـدلية ، الاقتصادية ، بل المادية الفرنسـية في القرن الثامن عـشر . . . الماركسية . . . والإفاضة فى الحديث عن مـاركس وبليـنسكى وبليـخـانوف وتشـيـرفـيسكـى . . مقـابل الإجـحـاف بأفـلاطون وأرسطو وكـانط الذين لم يحظ الواحد منهم بـصفحـة واحدة ؛ بل تحليل كتب بكاملهـا فى الفلسفـة المادية : كأصل العائلة والملكية الخاصة والدولة (لانجلز)، وتطـور النظرة الـواحـدية للتـاريـخ (بليخـانوف) ، وتعليقـات ماركس على فـيـورباخ فى « الأطروحـات » ، والأيديولوجيا الألمانية ، وبؤس الفلسفة .

٤ - نزعتا التوفيق بين المذاهب والتأصيل المعجمى للاصطلاحات :

وفى غـير انحـياز صارخ للمـذهب الفلسفى أو الأيديولوجيا الفكرية هكذا نجد اتجـاهين آخرين للـتوفـيـقيـة بين المذاهب والتأصيل المعجمى للمصطلحات فى انفراد مراد وهبة بإكـمال وتنسيق جهـده المشترك مع يوسف كرم ويوسف شلالة فى المعجم الفلسـفى » من جهـة (١٩٦٦) وأستـاذ الأجيال جميل صليبـا فى معجمه الفلسفى الكبـير (بجـزأيه ١٩٧١، ١٩٧٣) من جـهة أخـرى . لقد بدأت جـهود الثـلاثة الأول كـرم وشـلالة ووهبـة من منطلق استخراج المصطلحات الفلسفية من مؤلفات فـلاسـفـة العـرب الأقـدمين وتـعـريب المصطلحـات الواردة فى المعـجم الفلسـفى المبسـط لكوفلييـه فى اعتـماد على مـعجم لالاند وقاموس رونز وأعمـال مجمع اللغة العـربية - كـما جاء فـى مقدمـة الطبـعة الأولى؛ غير أن هدف « التجميع والتنسيق» الذى اضطلع به « للاسـتكمال والنشـر فى قالب علمى دقيق » الدكتـور مراد وهبة قد حـدا به إلى أن تتـعـدد وتتنوع مـصـادره ليـشـمل - إلى جـانب ما سـبق ذكـره - مـعاجم أخـرى وكتـابات مؤلفين قـدامى وباحثين وأسـاتذة فلسفـة محدثين (يشـير دائمـا إلى اسـمائهـم قرين مـا أخـذه من تعـريفـاتهم) ، كـما أنـه فى استـخـدام

تعـريفـــات القـدمـاء يشـيــر دائمـا إلى التـهـانــوى (كـشــاف اصطـــلاحــات الفـنون) والغـــزالى (فى محك النظر ، مـعـيـار العلـم ، تهـافت الـفلاسـفـة ، مقـاصـد الفلاسـفـة . .) وإلـى ابـن سينا (النجـاة والشفاء ، المنـطق ، الإشارات ، رسالة فـى أقسـام العلوم العقليـة ، رسالة فـى الحـدود) ، وهــو يشـيــر أحـيــانـاً كثيرة لتعريفـات الجرجانى كثرة إشارته إلى لا لاند ،ورجوعه إلى ابن رشد فى كتبه : تلخيص مـا بعد الطبيعـة ، تفسير مـا بعد الطبيـعة ، تهافت التهـافت ، وكذلك إلي ابن حـزم ، والفـارابى (عيـون المسـائل، المدينة الفـاضلة . .) والساوى (البـصائر النصـيريـة) والتوحـيـدى (المقابسـات ، الهوامل والشوامل) . .

وكـما يقـتبس مـراد وهبـة تعريفـات المحدثين من مؤلفات الفلاسفة عثمان أمين وأبو ريدة وعبد الرحمن بدوى وزكى نجيب مـحـمود وثابـت الفندى . . . بل يوسف مـراد ومـصطفى سـويف فى عـلم النفس العـام وســيكولوجـيـــة الإبداع والمذهب التكامـلى ، ويوسف كـرم فى « الـعـقل والوجـود ، وتاريخ الفلسفـة الحديثـة » ، وعزيز الحـبابى فى «كـتابيــه مـن الحريات إلي التحرر ، والشخصانية الإسلامية » . . لا يفوته أن يـنقل عن الكتب المترجـمة بل الدوريات كـمجـلة الطليعـة ومـجلة علم النفس المصـرية والمقـتطف . . تعـريفـات فلاسفة ومؤرخى الحركـة الماركسية والتحرر الوطنى والاشتراكيـة العلمية - إلى جانب إيراده لنصـوص من كـتـابات الفلاسـفـة الأوربيين المحدثين عن : نقد العقل النظرى الخالص والدين في حـدود العقل لكانط ، ومونادولوجـيا ليبنتس ، والطب التـجريبي لكود برنار . . ومؤلفات اسـبينوزا واتسللر وبرجســون . . وفلاسفـة اليونان القـدماء أفلاطون فى مـحاورات فيـدون وفايدروس وثياتيتـوس والجمهورية . . . وأرسطو فى كـتاباته - ممـا لا يزال يزيد عليـه وينقحـه طبعة بعد أخرى لتحقيق الإحاطة والشمول وللإفادة خصوصـاً من المصطلحات القديمة فى الفلسفة العربيـة - وهما ما يميز بالفعل هذا العـمل المعـجـمى الأكـثـر عـدداً فى مصطلحاته الألف والخمسمائة المركزة بدقة وإيجاز فى أربعمائة وستة وسبعين صفحة

مرتبة بألفبائية عربية وما يقابلها بالإنجليزية والفرنسية .

وفى موضوعية حيادية وشمول إحاطة أيضاً بمذاهب الفلسفة وإيديولوجية الفكر الفلسفى فى القديم والحديث شرقيِّه وغربيِّه مع التأصيل والتوثيق بالمصادر اللغوية والفلسفية العربية والأوروبية القديمة والوسيطة والحديثة ، نجد « المعجم الفلسفى » لجميل صليبا بمجلديه الكبيرين فى ألف وخمسمائة صفحة لألف وثلاثة وثمانين مصطلحاً وافياً بالتعريف والشرح لمعانى اللفظ لغوياً واصطلاحيًا. فلاعتقاده بأن « الألفاظ حصون المعانى، وتثبيت المصطلحات العلمية هو الحجر الأساسى فى بناء العلم » دعا العلماء إلى الاتفاق على معانى الألفاظ وكذلك إلى تثبيت المصطلحات العلمية حتى لاتتبدل الحقائق بتبديل الألفاظ التى أفرغت فيها .. فتلك هى المهمة الأولى فى الإبداع الفكرى الذى خير وسيلة إليه.هو هذا الاتفاق على تحديد المعانى - ليس فقط بوضع اللفظ العربى أمام مقابله الإنجليزى أو الفرنسى ؛ بل ببيان وجوه استعماله عن طريق الرجوع إلى النصوص التى ورد فيها، وإذ هو وحده مجمع لغوى فلسفى ، يدعو صليبا لإنشاء مجمع علمى موحَّد ينتقى من الاصطلاحات التى اهتدى إليها النقلة المتخصصون اصطلاحًا واحداً يثبته ويحله حظيرة اللغة . ولست مهمة مثل هذا المجمع فى نظره أن يضع هو نفسه اصطلاحاً علميًّا جديدا ، بل أن ينقح ويمحص فيثبت ويوحد ما يجئ به العلماء المختصون . وأنه ليسرد قواعد التعريب التى تعارفت عليها مجامع اللغة العربية العلمية فى القاهرة ودمشق وبغداد وعمان لكى يلتزم بها العلماء فى وضع مصطلحات علومهم ، وقد ألزم هو نفسه بها فى معجمه - حتى يتبين الجهد الموسوعى العربى ويستفيد به الكافة إذ يجمع بين الرجوع للقديم الأصيل ومطابقة إستحداث الدخيل باقتباس أو اشتقاق صحيح لغويا - كما فى أمثلة يذكرها فى تطبيق هذه القواعد على مصطلحات معجمه .

إن اهتمام الدكتور صليبا بلغة التعريب وإيمانه بضرورة أن تقوم مجامع اللغة بتثبيت

وتوحيد المصطلحات - إلى جانب التزامه هو بقواعد التعريب المجمعية . . . لتجعل من معجمه معجم ألفاظ - لا موضوعات أو مذاهب الفلسفة ، بعبارة أخرى لكأنه معجم لغة قبل أن يكون قاموس فلسفة . إنه يعطى الألفاظ الجارى استعمالها اليوم فى الأخلاق والمنطق والاجتماع وعلم النفس والميتا فيزيقا والجماليات . . مبتدئًا بإيضاح الأصل اللغوى للفظ ، ثم شرحه وتفسيره ، وإيراد نصوص فلسفية تبيِّن وجوه الاستعمال التى له فى سياقها . وحين يجمع إلى جانب التفسير الموضوعى للفظ تفسيرًا تحليليًا خاصًا به - بما له من تعمق فى بحور اللغة والفلسفة كليهما ؛ فهو بكل تواضع رجل العلم المتمكن يعرضها على أنها شروح تقريبية أو تفسيرات اجتهادية تقبل النقاش . وفى ثبت مصادره الذى أورده نجد المعاجم اللغوية كالقاموس المحيط ولسان العرب وتاج العروس . . إلى جانب كتب العرب الأقدمين : تعريفات الجرجانى ، كليات أبى البقاء ، كشاف التهانوى ، مفاتيح الخوارزمى . . . ومن الحديث كراسة المصطلحات والمعجم الفلسفى للمجلس الأعلى للفنون ومجمع اللغة العربية . . . بالأضافة إلى مصادره الغربية خصوصًا لا لاند وحوبلو وبرتران وفولكييه . وإن نهج صليبا فى وضع معجمه الفلسفى على هذا النحو ليتجلى من مجرد الاطلاع علي تناوله لمواد مثل : أخلاق ، إرادة ، إدراك - حيث فى هذه الأخيرة يورد المعنى اللغوى للفظ ، فمختلف معانيه فى الفلسفة العربية (لدى إبن سينا والجرجانى وأبى البقاء والغزالى والتهانوى والرازى). ثم ينتقل لمعنى الإدراك فى الفلسفة الحديثة، والفروق الدقيقة بين الإدراك والإحساس والتلقى من الخارج - ويعرض فى ذلك لآراء فريدومين دوبيران ، ثم الفرق بين الإدراك والوجدان أو العاطفة ، ويستطرد للإدراك كما تناوله ليبنتز ، وللإدراك فى الاصطلاح الديكارتى وهو يطلق على جميع أفعال العقل .

٥ - لايزال للانتقائية والتفرّد سلطانهما على معاجم الفلسفة :

ومهما يكن للنزعة التوفيقية بين المذاهب من استطاعة التغلب على عدم الموضوعية بل الانحياز فى الموقف الفلسفى لواضع المعجم ، أو للتأصيل اللغوى من فائدة تثبيت المصطلحات؛ لا تزال الانتقائية والتفرد - سواء فى اختيار المواد التى يراد التعريف بها والأعلام أو الشخصيات التى يُترجم لها - هما سمة معاجم الفلسفة خصوصًا والعلوم الإنسانية بوجه عام - لا قتران المذهب أو النظرية غالباً باسم مُنشئهما الذى لن يستطيع الدارس فهم وجهة نظره وكُنه مذهبه ونظريته ما لم يربط بين ظروف نشأته في بيئته وعصره التى أدت به إلى تبنيٍّ هذا النظر أو اصطناع ذلك المذهب . نجد ذلك أظهر ما يكون فى معاجم « أعلام الفكر الإنسانى » الذى أصدرته الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٨٤) تكملةً لنشر عمل سابق ككراسة مصطلحات ، وفى معجم الفلاسفة (مناطقة ومتكلمين ولاهوتيين ومتصوفة) لجورج طرابيشى - بل حيث يوجد الجمع بين المصطلحات والأعلام فى سائر المعاجم - من باب أولى للوفاء بالجمع بين المقالات والشخصيات . فالأول (معجم أعلام الفكر الإنسانى) الذى صدر عن لجنة الفلسفة والاجتماع بإشراف الاستاذ الدكتور إبراهيم بيومى مدكور وأعدته نخبة من الأساتذة المصريين - محتويًا على عرض (فى ألف ومائتى صفحة) لثلثمائة من الأعلام مرتبة بألفبائية عربية حسب الشهرة بابن الهيثم ، سقراط ، النظام .. كان المشاركون فى إعدادها اثنين وأربعين أستاذاً تفاوت إسهام كل منهم ما بين كتابة مادة واحدة (= ٩) = إلى مادتين (= ٣) إلى ثلاث مواد (= ٣) فأربع (= ٣) ، فخمس مواد (=٤) ... حسب اهتمام كل منهم بشخصية المفكر : يونانية ، إسلامية ، فرنسية ، روسية ... وهكذا : ست مواد (= ٢) ، ثمانى مواد (= ٣) ، تسع مواد (= ٣)،

ومن بين كتّاب عشر مواد كتب واحد عن أعلام إسلامية ومتصوفة ، أما الباقون فقد حرروا من إحدى عشرة مادة إلى عشرين - حسب اهتمام كل منهم بمذهب المفكر وفلسفته هنا وهناك فى القديم والحديث .

أما العمل الموسوعى الضخم الذى اضطلع به جورج طرابيشى (١٩٨٧) ترجمة وتأليفاً وتصنيفاً فى ستة أجزاء كما قدّر له : يتناول الأول منها الأعلام ، والثانى المؤلفات ؛ وكانت خطته أن يدرج المفكر فى الجزء من الموسوعة الذى يضم زمرته بحسب غلبة تفكيره الفلسفى (الذى لا يخلو أن يميل به إلى طائفة المناطقة أو المتصوفة أو المتكلمين أو يجنح به إلى أهل الاجتماع أو الاقتصاد وسائر العلوم الإنسانية) ؛ فقد أدّى به تداخل المذاهب الفلسفية وتشابك الفكر الإنسانى إلى أن يسلك ماركس فى زمرة الفلاسفة لا مع علماء الاقتصاد ؛ بينما أدرج ريكاردو وآدم اسميث ضمن علماء الإنسانيات (فى الجزء الثالث من المعجم) ، والحال كذلك فى إدراج ابن خلدون ولوفيفر ضمن علماء الإنسانيات بوصفهما علماء اجتماع . . ولكل من هؤلاء فلسفته الاقتصادية والاجتماعية منذ كانت الفلسفة أم العلوم وكان الفلاسفة العرب يكتبون فى الطب والرياضيات والموسيقى والفلك بل طبائع الحيوان والنبات - لكنه الاضطرار للتصنيف بحسب غلبة النشاط الفكرى المتميز للفيلسوف . ومع أن خطة طرابيشى فى معجمه الطموح كانت صدور معجم الفلاسفة كمفكرين ،يليه معجم المؤلفات الفلسفية كمذاهب ونظريات ؛ فإن توقيع المقالات بأسماء محرريها من المتخصصين وأساتذة الجامعات - على غرار ما جاء فى معجم لالاند (وغيره من المصادر المعجمية الفرنسية والروسية والإسلامية التى اعتمد عليها ليضيف إلى معجمه ما يقرب من ثلث حجمه عن الفلاسفة غير الأوربيين . .) قد اضطر إلى تذييل المقالات عن المفكرين بمقتطفات مما قالوه فى أهم مؤلفاتهم ، بل بآراء الباحثين والنقاد فى

مـذاهبـهم على مـر العـصـور - مما يضع القارئ أمام أحكام متناقضة تناقض وجهات نظر المذاهب المخالفة جـميعها ، فـبعد أن يفرغ أرمـاندو بليب مثـلا من الحديث عن هجل يعـرض لما قاله عنه جـوته وماركس وهايني وميرلو بونتي ومـاركيوز وألكسندر كوجـيف . ومع تميز هذا المعجم بتحـقيق التوازن فى نوعية المواد التى يعرضها لنخبة مـفكرى الغـرب والـشـرق - فى القـديم والوسيط والحديث حتى الأحياء المعاصرين - وفى حـجـم الكتـابة عنهـم ؛ لم يكن بوسع المصنف أن يـحقـق توازناً فى توزيع الألف والأربعـمـائة والأربعين مـادة على ألفبائية أسماء الأعلام - فجاء ذكر من تبدأ أسمـاؤهم بحرف الألـف فى مائة وعـشر صفحـات (٢٤٢ علماً) ، بالباء فى ست وثمـانين صفـحـة (١٢٠ - ٢٠٦ لمائتين وسبعة عـشر علماً) ، بحرف الكاف فى سبع وخـمسين صفـحـة (٤٦١ - ٥١٨) ولمائة وعشرة أعـلام ، يليه حرف الميم فى حوالى خمسين صـفحة لمائة علم - وهكذا - بالفاء ٩٢ ، والسين ٨٢ ، واللام ٨٠ ، والعين ٧٧ ، والهـــاء ٦٣ ، والراء ٦١ ، التـاء ٥٠، والنون ٤٥ ، الجيم ٤٠ . أمـا أقل عـدد أعـــلام فـهو مـا بدأ بالحـــرف ص (= ٢) ، ط (= ٦) ، ث (= ٧) ، خ (= ٨) ، غ = ١١ ، ز = ١٢ ، ح = ١٣ ، ق = ١٤ ، د = ١٥ حـــتـى الـــواو = ٢٠. (١)

وإذا كانت الانتقائية فى عرض مذاهب الفلسفة وأعـلامها - سواء لغَـرض التوفيق أم الانحيـاز - شراً لابدَّ منه لمن يتـصدّون لوضع المعاجم الفلسـفية ؛ فإن التـفردُّ هو الآخـر قدَر مـقـدور - لا بمعنى الانفـراد باستكمال عمل جماعى (كما فى استمرار وهبـة بجـهـــود كـــرم وشـــلالـه نحـــو الكمـــال) كـمـــا رأينا ، بـــل بمعنى أن يكـــون الانفـــراد من الأصل أو فيـــما بعد

(١) عن بحث غير منشور للدكتور أحمد عبد الحليم عطيـة ، بعنوان : الموسوعات الفلسفية المعاصرة فى العربية - قراءة تحليلية نقدية ، ص ٣٥ - مقدم من الدكتور حسين عبد القادر .

للأستئثار ابتغاء التمايز والتوحُّد - لأن ذلك يعود بنا القهقرى من الجماعية إلى الفردية ومن الموضوعية إلى الانحياز فى الفكر وفى الاصطلاح . من ذلك أن يستكمل توفيق سلوم معجمه الفلسفى المختصر (١٩٨٦) بتلخيص الموسوعة الفلسفية لسمير كرم من نفس وجهة النظر الروسية ، فيقدم لنا ٤١٠ مقالاً تعرض بالنقد للاتجاهات الأساسية فى الفلسفة المعاصرة ، ونظرية المعرفة والمنطق الجدلى - قديمها وحديثها ، وليس للأعلام فيها قسم مستقل بل هى ترد فى سياق المصطلحات وفى فهرس للأعلام (ص ص ٥٥٠ - ٥٩١) . ثم يأتى الدكتور عبد الرزاق مسلم الماجد فيقدم لنا عملاً بعنوان «مذاهب ومفاهيم فى الفلسفة والاجتماع» (منشورات دار الكتب العصرية ، صيدا - بيروت لبنان ، بدون تاريخ) يذكر فيه صراحة اعتماده على القاموس الفلسفى الروسى المختصر فى عرض وجهتى النظر الأساسيتين فى الفلسفة : المادية والمثالية .

ثم يؤيد وجهة نظره فى انحياز للفلسفة "التى ولدت وستبقى طبقية منحازة بأن وجودنا فى عالم تتناقض فيه مصالح الطبقات والفئات الاجتماعية يحتم علينا أن ننحاز إلى فئة دون أخرى - حيث يظهر انحيازه هو فعلاً فى عرض ٨٤ مادة مرتبة ألفبائيا كجزء أول، يلتوه جزء ثانى مكمل له يتناول أعلام الفلسفة والاجتماع ويأتى أيضاً محمد جواد مغنية فيقدم لنا « مذاهب فلسفية وقاموس مصطلحات » (دار مكتبة الهلال، بيروت، بدون تاريخ أيضاً) على أنه « عمل تجميعى أفاد فيه صاحبه من الأعمال الموسوعية السابقة ونقل عنها - خصوصاً صليباً ووهبة الموسوعة المختصرة (إشراف زكى نجيب محمود) وموسوعة سمير كرم الفلسفية . . . فليس له فى هذا الجهد إلا الاختيار والتوضيح والإبانة فى النقل ، والمعجم قسمان الأول منهما للمصطلحات (١٨٠ مادة) ابتداء بالهمزة و (الـ) التعريف فى ٢٤ مادة : الأبستولوجيا ، الأبيقورية ، الأنثولوجيا ،

الأرستقراطية ، الاستبطان ، الاستقراء ، الاستنباط ، الأسطقس ، الإشراق ، الإضافة ، الاقتصاد ، الأقنوم ، الأكاديمية ، الأمبريالية .... وفى الباء سبع مواد : بابوفيه ، البراجمانية ، البرجوازية ، البرهان ، البعد ، البقية ، البيرونية ، والتاء: التالى ، التأليه ، التاوية ... حتى الياء : اليسار ، اليمين ، اليوجا . أما القسم الثانى فهو للأعلام (٦١ علماً) تبدأ بابن باجة وتنتهى بياسبرز .

٦ - التفرد للتمايز الذاتي ، أو للانطلاقة العربية أو الحماس للقومية في التعريب والتعليم :

وليس للتفرد فى إصدار معاجم المصطلحات الفلسفية وأعلام الفكر الإنسانى عموماً من مخاطر على الاستفادة بوحدة التعريب فى توحيد لغة العلم والتعليم إلا بمقدار ما ينزع هذا التفرد لتقرير الذات ، أو التحمس للقومية ، أو استهداف الانطلاقة العربية نحو فلسفة خاصة بالعرب تنهض بإنتاجيتهم للفكر العلمى العالمى بدلاً من استمرار استهلاكيتهم لمعارف وثقافات الغير .

فأستاذ الفلسفة المصرى الكبير الدكتور عبد الرحمن بدوى الذى تفرد من بين أعضاء لجنة الفلسفة بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب (١٩٦٤) بكتابة مقدمة كراسة " مصطلحات الفلسفة " كعمل تمهيدى لمعجم (مصطلحات) الفلسفة الذى صدر - لا عن المجلس الأعلى للثقافة - بل عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة (١٩٧٩) - فى حوالى مائة صفحة تقابل ألفاً وستمائة لفظاً فرنسياً أو انجليزياً بترجمته العربية عن الفلسفة اليونانية أو الإسلامية باعتماد رئيسى على لالاند ... قد تفرد أكثر تمايزاً وتمركزاً حول الذات (بعد عشرين سنة) عن كافة الزملاء من أساتذة الفلسفة وواضعى معاجم الفلسفة بإصدار موسوعته الفلسفية الكبيرة (بيروت ١٩٨٤) فى جزأين يقول فى مقدمتها : **وقد استقصيتُ فيها أمرين : الأول أن تشمل كل ذى شأن فى الفلسفة**

على مدى تاريخها من منشئ مذاهبها ومؤرخين لها ومهمين فى تطورها ، والثانى يتناول أمهات المذاهب الفلسفية والموضوعات الرئيسية التى تندرج فى ميدانها . لكننا حين نستعرض ٢٣٨ مادة كتب عنها فى ١٥٠٠ صفحة لا نجد غير ١٤ مادة عن فلاسفة عرب ومسلمين قدامى ومحدثين واثنين فقط مصريين هما : عبد الرحمن بدوى (ص ص ٢٩٤ - ٣١٨) ومصطفى عبد الرازق. فالموسوعى عبد الرحمن بدوى الذى ألف وترجم وحقق ونشر مئات الكتب فى الفلسفة القديمة والوسيطة (الإسلامية والمسيحية) والحديثة والمعاصرة . . . لا يسعه إلا أن يستمد من ذاته وينتقى من كتاباته ، وقد اعترف بذلك صراحة إذ يقول : وفى تحريرى لمواد هذه الموسوعة قد استعنتُ - كما هو طبيعى - ببعض ما سبق لى أن عرضته فى كتب لى سابقة ، غير أن انتقائيته للمواد من بين ماسبق أن كتب عنه لا تفى بوعده أن تشمل موسوعته « كل ذى شأن فى الفلسفة على مدى تاريخها من منشىء مذاهب ومؤرخين ومهمِّين فالموسوعة إذ اشتملت حقاً على معظم مَن ترجَم لهم أو حقق أو نشر ؛ أغفلت الكثيرين جداً ممَّن سبق له الكتابة عنهم من فلاسفة العرب وعلمائهُم متصوفتهم ونقلتهم الأوائل مترجمى العلوم- حتى ابن خلدون - إلا إذا كان لا يعده فيلسوفاً - فلم تزد نسبة الفلاسفة العرب فى موسوعته العربية على ٦ ٪ . ونتيجة أخرى لهذا الاجترار الذاتى أنه لم يوجد توازن فى حجم المقالات عن الفلاسفة المختارين ممن ألف عنهم كتباً كاملة (أو لم يؤلف عنهم من قبل من فلاسفة الغرب المحدثين - بما يرفع به بعضهم فوق بعض درجات) - خصوصاً إعلاؤه لفلاسفة الوجودية وكتابته عن نفسه ورسالتيه فى الماجستير والدكتوراه ما يقرب من ثلاثين صفحة عن "مشكلة الموت " والموت والعبقرية ، "ومذهبناً الوجودى " : الزمان الوجودى . وعلى عكس هذا التفرد للتمايز

والاستعلاء ، ومن منطلق الإحاطة والشمول - ابتغاء الابتكارية والإبداع فى فكرنا الفلسفى الحديث الخاص بنا كأمة عربية تسعى لبعث حضارتها وإحياءنهضتها - لكيلا تظل برامجنا الثقافية تجعل منا مستهلكين وتابعين لعلوم ومعارف الغير ، بل نتحول إلى إنتاج العلم والمعرفة . . ظهرت عن معهد الإنماء العربى ببيروت أخيراً (الجزء الأول ١٩٨٦ والثانى بقسميه ١٩٨٨) " الموسوعة الفلسفية العربية " الضخمة التى خطط لها أن تنقسم إلى ثلاثة أقسام رئيسية مستقلة لكنها متكاملة ، الأول للمصطلحات والمفاهيم (٣٥٠ مادة فى ٨٤٩ صفحة) ، والثانى بقسميه للمدارس والمذاهب والتيارات (٨٨ مادة حتى حرف (ش) فى ٨٠٤ صفحة ، ٧٥ مادة حتى حرف الياء فى ٧٩٨ صفحة) ، والثالث للأعلام - حيث فى توازن واعتدال تُرك لكل مشارك أن يختار منهج تناوله لمادته وجاء مقاله منسوباً إليه يحمل اسمه . و المهم فى هذه الموسوعة ، الإجمال النقدى لرئيس تحريرها معن زيادة لتصنيف جميل صليباً للتيارات والاتجاهات الفلسفية فى الوطن العربى إلى سبعة اتجاهات : الفكر المادى (ممثلاً فى الداروينية العربية) فالعقلانية (الدينية عند محمد عبده وفريد وجدى ، الفلسفية : يوسف كرم وشارل مالك) ، فالمثالية (وجدانية العقاد ،جوانية عثمان أمين، رحمانية الأرسوزى) والتكاملية (يوسف مراد والوجودية (عبد الرحمن بدوى) والشخصانية - كرد فعل للوجودية والماركسية كليهما (عند رينيه حبشى وعزيز الحبابى) وأخيراً تيار الاتجاهات العلمية (يعقوب صروف ، إسماعيل مظهر ، زكى نجيب محمود . . . .) .

إن معن زيادة يأخذ على هذا التصنيف أنه غير شامل لما استجد على الساحة من فكر عربى حديث منذ مطلع القرن الحالى - كالتيارات : القومى ، الاشتراكى ، الماركسى . ويقترح من جانبه تصنيفاً جديداً يأخذ فى الاعتبار العلاقة الجدلية بين

الفكرين العربى والغربى الحديث التى جعلتنا نتخذ إزاءه أحد ثلاثة مواقف :

١ - فريق يرفض الفكر الوافد من الغرب - إبتداء من السلفية الوهابية وانتهاء بالحركات الأصولية المعاصرة ، بحسبان الثقافة الغربية خطرا يتهدد المجتمعات الإسلامية - كالمهدية فى السودان ، السنوسية فى ليبيا ، الأمير عبد القادر الجزائرى ، رجال الإصلاح رشيد رضا وشكيب أرسلان والأفغانى . . . ؛

٢ - وفريق يُقبل على الغرب فينقل ثقافاته ويتبنى أفكاره - مُعرضاً عن اتخاذ الثقافة العربية كأساس أو منطلق - من هؤلاء أصحاب الاتجاهات المادية والوضعية والوجودية (شميل وزكى نجيب وبدوى والماركسيون العرب)

٣ - الفريق الثالث ويضم الاتجاهات التوفيقية فى الفكر العربى التى قاد روادها التيار القومى وحركة الاشتراكية العربية منذ رفاعة الطهطاوى وخير الدين التونسى . والموسوعة تعرض كل هذا فى إطار وحدة العقل الإنسانى ووحدة المعرفة البشرية لتركز على أن التوفيقية كاستعارة وتبادل ثقافات الشعوب الأخرى ربما تعُد ضرباً من الابتكار وإيجاد الحلول على طريق التحول الثقافى الذى قد يؤدى إلى التحديث والإبداع فى فكرنا العربى الفلسفى .

وهناك أيضاً التفرد المتحمس لداعى القومية فى التعريب والتعليم الذى تميز به الأحبابى وزملاؤه فى "ندوة الموسوعة" التى أصدرت فى الدار البيضاء (١٩٧٧) - بالتعاون مع مركز الدراسات الاجتماعية والاقتصادية بتونس - معجم "المعين : فى مصطلحات الفلسفة والعلوم الانسانية" فالجزء الأول من هذا العمل الجماعى يغلب عليه "المذهب الأحبابى" فى ضرورة تطوير اللغة وتطويعها من أجل ملاحقة تيار العلم المتدفق - خصوصاً القوانين التى تتصل بجميع أصناف المعرفة لكل لغة حية ، وأن على الجامعات المغاربية أن تتأهب لإصلاحات تعليمية وتعريب قطاعات الإنتاج - دون تهُيب لما يروجه البعض من

أن اللسان العربى قاصر عن أداء مطالب هذا العصر ، فهو لسان قد أدى خدمات حاسمة للحضارة الأنسانية فى العصر الوسيط ولعدة قرون ولن يعجز عن القيام بذلك من جديد فى العصر الحديث .

ثم إن « الكرامة القومية والوفاء للتراث العربى الإسلامى - كما يقول فى مقدمته - ألزمانا أن نتخذ من التعريب مبدأ أساسياً للحركة الثقافية التى بدأنا نخوض غمارها، كما أن العقل والتاريخ أقرانا بأن نحافظ على التراث دون أن نضحى بالمكتسبات الحديثة من لغة وعلم وتقنيات » .

من هذا المنطلق ، جاءت الاجتهادات الجليلة للدكتورمحمد عزيز الحبابى كرائد من رواد حركة التعريب للتعليم فى المغرب العربى الكبير (منذ استقلال بلاده عن الاستعمار الفرنسى) تجلّ عن الحصر ، والقليل منها ما كان قد أخذ به بعض أصحاب المعاجم فى المشرق العربى فى سوريا ولبنان (اللتين كانتا تحت الاستعمار الفرنسى أيضاً حتى منتصف الأربعينات) - كتفضيل ترجمة المصطلح "مذهب ذرّى" بلفظ واحد هو "الذرية" لا "نظرية الذرة" ، وإرداف اللفظين العربى والأجنبى عند الكتابة بأيهما ، واستعمال الأرقام العربية التى يستعملها الفرنجة بدل الهندية الجارى استعمالها فى العربية ، وتفضيل المأنوس من الألفاظ الشائع استخدامه ، وعموماً القياس والنحت والاشتقاق والتوليد على طريقة المجمع المصرى ومعجم جميل صليباً ، وإيراد معانى اللفظ بلونيات دلالاته وتراكيبه قبل إيراد معانيه الاصطلاحية . . . غير أن للأستاذ الأحبابى فى هذا الشأن عبقريات قد لا يسهل تعميم الأخذ بها وشيوعها . ففى الكلمات المركبة من مَقطعين ثانيهما (لوجيا) بمعنى العلم - مثل انثرويولوجيا = علم الانسان، أيديولوجيا = علم الفكر . . . هو يترجمها فى الأولى علم الأناسة ، وفى الثانية فكرلوجيا . ويقول جمالوجيا Aes-thetics لعلم الجمال - مع مجادلته بحق فى أن الجمال فن تذوق وليس علماً،

وأن (لوجيا) الموجودة فى أيديولوجيا معناها القول أو المقال Discours - وهو يدافع عما يسميه اللواصق (سوابق ولواحق) هكذا بأن الغربيين لم يمتنعوا عن إلصاق كلمتين من أصل يونانى ولاتينى - فى مثل سيوسيولوجيا - حيث سوسيوس ، لاتينية ولوغوس يونانية = علم الاجتماع .

وإنه إمعاناً فى التعريب ليترجم الجوريتم أو اللوغاريتم : خوارزميا . . . وهكذا . .

٧ - لا مدعاة بعدئذ للتهيب والتردد ، حتى تبلغ المسيرة غايتها :

ونحن لا نجحد لأى مبدع فى تعريف المصطلحات بذوق فنى وحسّ لغوى مرهف إشراقاته النورانية وتجلياته الملهمة التى ترقص قلوبنا لها طرباً وإعجاباً ، ونتمنى لَو لم يكن قد سبقنا إليها - لكن المشكلة التى لم يعُد حلها يحتمل الانتظار هى حاجتنا الملحة للاصطلاح على لفظ موحَّد نكتب به ونتحاور بلسان وقلم قوميَّين عربييَّن ، وفكر علمى عصرى مشترك على طول وعرض أقطار عالمنا العربى . فلصالح وحدة التعريب للتعليم فى الوطن العربى لا سبيل أمامنا غير اعتماد معاجم مصطلحات تعريفات العلوم التخصصية الحديثة التى أصدرها مجمع اللغة العربية الأم وتقبلها وأفاد بموافقته عليها ، ودعوته لتعميم الأخذ بها أعضاء اتحاد المجامع اللغوية العلمية ، كى يستقر استخدامها لدى المختصين بكل منها - دراسين ومدرسين وباحثين ومفكرين فى كل أعمال ترجماتهم ومؤلفاتهم ومؤتمراتهم. لقد فرغ مجمع اللغة العربية بالقاهرة من إصدار قوائم مصطلحات فروع العلم والقانون والفلسفة التى بلغت عدتها - حتى العيد الخمسين للمجمع ١٩٨٤ - أربعاً وعشرين مجموعة سدَّت بالفعل حاجة التعليم العام ، بما توافر من رصيد كاف من هذه الإصدارات السنوية منذ إنشائه . وحين وجَّه عنايته لمطالب الدراسات العليا الجامعية ومطالب الترجمة والمترجمين ، وَجَدَّ منذ دورته الأولى أيضاً بلجانه الخمس الأساسية للعلوم والآداب

والفنون التى تجاوزت بعدئذ السبع والعشرين - فى جعل اللغة العربية تفى بمطالب العصر من العلم والتكنولوچيا بانتقال من البداوة المتخلفة إلى التحضر والتقدم ، ونشط أعلام المجمعيين فى إعمال قواعد صوغ المصطلحات العلمية الحديثة بالنحت والتوليد والترجمة ، وتذليل البوادئ واللواحق فى الألفاظ الأجنبية التى لا يوجد لها نظائر فى العربية التى عبر عن بعضها لأمين المجمع حينئذ الدكتور محمود حافظ مقرر لجنة علوم الأحياء والزراعة ، كما قدم نهج تعريب وترجمة المصطلحات العلمية (١٩٨٠) ليقره المجمع ويبلغه المجامع والهيئات اللغوية والعلمية الأستاذ الدكتور محمود مختار - الذى أورد فى بحثه بمجلة المجمع (١٩٨٤) قائمة بما تم إنجازه فى تسع لجان علمية ،من وضع التحديد العلمى بأسلوب مجمعى للمصطلحات على النحو التالى :

معجم الفيزيقا النووية : ١٢٠٠ مصطلحاً ، معجم الچيولوچيا ٤٥٠٠ ، معجم الفاظ الحضارة والفنون ١٢٠٠ ، معجم الفلسفة ١٢٠٠ ، المعجم الطبى (جزء أول) ٨٠٠٠ مصطلحاً ، معجم الفيزيقا الحديثة ج ١ ٤٥٠٠ ، الكيمياء والصيدلية ج ١ ٥٠٠٠ ، الأحياء والزراعة ج ١ ٥٠٠٠ ، علم النفس والتربية ، حوالى ألف . وقد نشر الجزء الثانى من معجم الفيزيقا الحديثة (١٩٨٦) والبيولوچيا فى علوم الأحياء والزراعة (١٩٨٨) والمصطلحات الطبية (١٩٩٠) - بخلاف ماتم إعداده للعرض على المجلس فى هذه الدورة وما هو قيد الإعداد والتحضير فى شتى اللجان لكل فروع العلوم الأساسية والتطبيقية والإنسانية للعرض فى دورات قادمة . . . قدّر العلامة شوقى ضيف (١٩٨٤) أن المجمع قد أنجز ما ينيف على ستين ألف مصطلح يتقبلها قبولاً حسناً ويستخدمها فى مؤلفاتهم ومترجماتهم ومؤتمراتهم العلماء العرب وأصحاب المعاجم العامة والمعاجم

العلمية المتخصصة ، بما يبشر بأن ما تصبو إليه البلاد العربية من تعريب التعليم الجامعي يوشك أن يصير قاب قوسين أو أدنى .

فحتى لا تظل معاجم العلوم التخصصية هذه التى أُنجز تعريب وتعريف مصطلحاتها حبيسة فى معاجمها دون استعمال لها كعملة عربية موحدة - حيث من عيوبنا أن نضع المعاجم وتمتلئ بآلاف المصطلحات ولا تستعمل - لأنها تحبس فى داخل المعجم وعلى الرفوف .. - كما قال الدكتور شوقي ضيف ، فى ندوة توحيد تعريف المصطلح الطبى (قرطاج / تونس ١٩٩٢) - ولكى تكون طريقة إثبات قدرة تعريب المصطلحات العلمية على الوفاء بأغراضها أن نتكلم بها ونستخدمها فى مختلف مجالات الحياة وأن ندرس بها - كما أن أحسن طريقة لإثبات قدرتنا على المَشْى أن نمشى فعلاً - على حد تعبير رئيس بيت الحكمة الدكتور سعد غراب ، فى جلسة افتتاح نفس الندوة ، ولكيلا تحدث ردة أو تردد عن التعليم بالعربية فى الجامعات ، بعدما قطعت الشوط الطويل فى هذا المضمار ببعض كليات العلوم والطب والصيدلة ، أو يعلو من جديد صوت التخوف والاشفاق من أن تدريس الطب أو الهندسة بالعربية سوف يهبط بمستوى الممارسة والبحث فى التخصص كليهما - والمناداة بالتالى بضرورة تقوية طلاب الجامعات - حتى في الدراسات العليا - بمقرر فى اللغتين العربية والأجنبية معاً .. لا مفر من عدم التلفت إلى الوراء فى الإقدام على عملية التعليم بالعربية فى كل أقسام التخصصات العلمية بالجامعات والمعاهد العليا - مرحلياً بازدواج لغة التعليم التى تحرص علي وضع المقابل الأجنبى الموحَّد أمام المقابل العربى الموحد فى المؤلفات والترجمات والكتب الدراسية المقررة ، كما اقترح الدكتور أحمد شيخ السروجية الأردنى فى مناقشات الندوة ، وعلى الدوام بتوزيع معجم اصطلاحات التخصص على الدارسين ليدرسوه ويمتحنوا

فيه بجدية وصرامة ؛ تحريرياً وشفوياً ، كمادة نجاح ورسوب - ولن يكون ذلك جديداً على التعليم الجامعى - حيث كُنَّا ومازلنا ندرس مادة نصوص فلسفية واجتماعية ، أو قراءات إنجليزية فى التربية وعلم النفس ، كما أننى درّست مادة «مصطلحات قانونية» فرنسية فى حقوق عين شمس ، ورأست لجنة تصحيح مادة مصطلحات ونصوص إدارة الأعمال بكلية التجارة جامعة القاهرة . فرع الخرطوم ، حين كان يقوم بالتدريس مدرسو لغة إنجليزية أو فرنسية منتدبون من أقسام اللغات بكلية الآداب فى الحالة الثانية بينما استأثر دكاترة القانون الدارسون فى فرنسا ، بتدريس هذه المادة من دون مدرسى اللغات فى الحالة الأولى للمزيد من الاهتمام بهذه المادة - غير أنه فى الحالين ، ورغم كون تدريس المصطلحات أو النصوص إجبارياً ، وأنها مادة نجاح ورسوب لا لمجرد رفع درجات المجموع الكلى أو التقدير العام ، كما فى المواد القومية أو كان الامتحان شفويا أو تحريرياً .. كان الامتحان صورياً بترجمة النصوص والامتحان فى النص الدراسى المنظور فى يد الطالب بجلسة الامتحان وقد دوّن تغريب المصطلحات ... وكان الطالب حتى ولو لم يحسن القراءة أو التعريب يحصل على درجة النجاح بالكاد - لكيلا يرسب فى النصوص أو المصطلحات ، وقد نجح بالحفظ والاستظهار فى مواد التخصص الأساسية (التى لا تعدم أن تورد فى الكتاب المقرر للأستاذ اللفظ الأجنبى مقابل اللفظ العربى)

لا غنى بعدئذ عن كسر حاجز التهيب والخوف - بل التورّع - من أن التعريب إذا مكّناه من العلوم الحديثة ليصبح لغتها سوف يخفض المستوى العلمى للطلاب ويهبط بمستوى تحصيل التخصص المهنى والبحثى ، « فهذه صورة من اليأس ينبغى أن نزيحها عن أنفسنا . وما دام قد صحّ منا العزم على صيرورة الطموحات إلى واقع ، وقَوِىَ التسليم ببديهيات أستاذ

الطب التونسى أحمد ذياب ، فى تجربته الرائدة لتعريب تدريس علوم الطب - وهى: أن توطين العلوم لا يفقدنا العلوم ، بل على العكس من ذلك ، يرفع من شأنها ومستواها ، وأنك إذا علَّمت شخصاً بلغته، فقد نقلت العلم إلى تلك اللغة ، بينما إذا علمته بلغة أجنبية ، فقد نقلت ذلك الشخص إليها - وفى النهاية فإن أمم اليد العليا تفرض لغتها وثقافتها على أمم اليد السفلى ، وإننا قد نقبل أن تدخل اللغة الأجنبية بيوتنا ، لكننا لا نقدر أن نعوض ضياع لغتنا القومية ، وأنه لا يليق بنا بعد أن نقبل وصف التعريب بالانغلاق بينما هو فى حقيقة الأمر يمثل الانفتاح الحق على الذات والهوية الشخصية . . . فالجهاد فى سبيل التعريب حينئذ - فرض كفاية على أمثاله من المجاهدين المخلصين ومنْ لَفَّ لفه واتبع هداه .

٨ - والقرار اللازم تصْلوائح الجامعات على عروبة الأجيال :

فى السؤال الذى وجهه لأستاذ الطب التونسى الدكتور أحمد ذياب - عقب محاضرته بالجزائر . عن تجربته التعريبية فى ميدان التشريح - أحد رفاق السلاح ، عما إذا كان قد أخِذ قرار سياسى فى هذا الشأن ، وأردف على رده بالإيجاب متسائلاً : ومتى ذاك ؟ قال الأستاذ ذياب - بنشوة الذى استطعم حلاوة التجربة وقد جنى ثمارها : لقد حصل هذا القرار السياسى مرتين : الأولى حين فتح عقبة بن نافع القيروان فى القرن السابع الهجرى ، وأما المرة الثانية فكان إقراراً لذلك حين أمضى رئيس الدولة أمراً دستورياً يوم أول نيسان (يونيو) ١٩٥٩، بأن تونس بلد عربى ، لغته العربية ودينه الإسلام - وما أروعه من رد . لقد خاض أستاذ الطب العربى المسلم أحمد ذياب ، تجربة تدريس مادة التشريح بالعربية فى صفاقس ، بعد أن درَّسها سنتين فى فرنسا لطلاب فرنسيين

هذه لغتهم ، ونسبة ٧٩ ٪ من مفردات علم التشريح باللغة الاتينية التى سبق لهؤلاء الطلاب دراستها . فلما عاد للتدريس فى وطنه وسأل عميد الكلية عن برنامج مادة التشريح وعن لغة التدريس، وأجابه هذا بأنه هو نفس برنامج كليات طب فرنسا ، والتدريس باللغة الفرنسية ، ثم تبيَّن له أن مستوى الطالب التونسى فى اللغة الفرنسية وعدم معرفته بأى مفردة لاتينية لا يساعدان على فهم ما يقوله الأستاذ ،بل يؤديان إلى كراهية الطلاب للمادة والحنق على مدرسها العربى اللسان والجنسية والموطن ؛ أقدم الأستاذ عن جانبه على إلقاء بعض الدروس باللغة العربية – حيث استشعر ابتهاج الدارسين وإقبالهم عليه . وحين عز عليه ألا يستطيع الطلاب الإجابة فى الأمتحان بلغتهم الفرنسية الركيكه ، عمد إلى استحداث الأسئلة المقررة والمتعددة الأجوبة تخفيفاً عليهم من الإجابة الإنشائية بالمقالات . . . إلى أن تم له سنة ١٩٨٥ ، وما بعدها التدريس الكامل لعلم التشريح باللغة العربية مع إقحام اللفظ الأجنبى للمفردات التى يدرس بها الطالب المواد الأخرى بالفرنسية ، وتبديد مخاوف الطلاب التى صاحبت بالضرورة خوض هذه التجربة . وباستفتاء كاشف لآراء الطلاب واتجاهاتهم نحو تعريب تدريس العلوم الطبية جميعها انشرح صدر الأستاذ بما أثابه الله به على حسن صنيعه فى استجابات الطلاب الواعية المستبشرة بأهمية التعريب فى تكوين شخصياتهم المهنية والوطنية والقومية .

ليس القرار المطلوب إذن سياسياً – مادام دستور البلاد ينص على أن لغتنا هى العربية – كما تفضَّل الأستاذ الدكتور أحمد ذياب ، ولا أن معوقات التعريب من جهة أخرى "قانونية" ، كما تفضل الأستاذ الدكتور / محمد عماد فضلى ، فى تعليقه على تجربة ذياب ، وهو يشير لتجربة له مماثلة أسبق فى طب جامعة عين شمس درَّس فيها الطب النفسى وتاريخ الطب بالإنجليزية مع إعطاء المصطلح العربى ، ثم سمح للطلاب بالإجابة فى الامتحان اختيارياً بأى من اللغتين – فأجاب ٤٧ ٪ منهم بالعربية . فلما عكس الآية فى العام

التـالى ودرَّس بالعربيـة مع إعطاء المصطلح الإنجليزى - وبمراجع عربيـة وإنجليزية أيضاً - أجـاب ٩٣ ٪ باللغـة العربيـة . ثم إنه بهـواية إجـراء إحـصـاءات الـفـروق فى المستويـات ، ومقاومته فى حـماس فكرى هادىء يخـلو من الانفـعـــال وإن اتَّسم **بالاصـرار على ألاَّ يظـل الطالب صـاحب المصلحة الحقيقـية فى التعريب على هامش القضية . . .** تغلب على دعاوى التمهل أو التـدرج فى التـدريس بالعـربيـة حـتى لا يحدث انتكاس ، ودافع أخيراً أمام مجلس الكلية بأن « ليس لدينا فى لائحـة الجامعة ما يمنع إلقاء الدروس باللغة العربية » ، إذ ينص البنـد الأول مـن اللائحـة على أن : « التدريـس فى الجامعـة المصرية بالـلغة العـربية إلا إذا اسـتـثنى بعض المواضـيع » وإذ لم يبق لدفع الحـرج أمام مـجلس الكليـة عن أسـتاذه الدكـتور بـول غليـونجى ، الذى عاتبه على مخـالفة اللائحة بدون علمه أو طلب اسـتـثناء المادة الثـانيـة ، وهى علم النفس الطبى أيضاً . . . قبل اقتراح الأستاذ أن يتـرك هذه المادة ليـدرّسهـا بالإنجليـزية زمـيله القـادم الجـديد وكـأنما لم يكن هو يدرسها بالانجليزية قبل المبادرة بتعريبها .

إن موقف الأسـتاذ الدكـتور عـمـاد فـضـلى هنا ، قـد كـشف الـنـقـاب عن حقيقتين هامتين أرسَى بهما الأساسَ لحسم مـشاكـل التعـريب - أولاهمـا **أن القـرار** المطلوب مـوجـود بنص لوائح كليـات **الجامعة** فليس علـينا إلا حُـسن تفـهـمـه وصحـة تفسـيره ، والثـانى : **أن مصلحة الطلاب هى فى استـيعاب العـلم باللغة الأم .**

إن فى مـراجعـة الدكـتور غـيلونجى لنص اللائحة درءاً للمـسئولية عن عـدم علمه ، وتحويل مادة "الطب النفسى" لمَن سيدرسها ابتداء بالإنجليـزية تغطيه لعدم الإذن باستـثنائها ؛ لَدليلاً على **أن العلوم الطبية التى تدرس بالإنجليـزية ، هى الاسـتـثناء ، ومـا يلزم استـثناء تدريسـه بالعربيـة هو المطابق لنص اللائحة** ، ولولا الحرج من تـدريس مادتين متصلتين بالعربية ، وعلى يد نفس الأستاذ لكان من الأجـدى منحـه الاستـثناء هو ، أو الأستاذ الجديد الذى لن يريد أن يخوض التـجـربة ، وإثبـات أن لـيس فى تدريس "تاريخ الطب" بالعربيـة - أسوة "بالطب

الشرعى" المعَّرب فى وزارة الصحة - ما يؤيد كونَ المواد التى عربت أقل أهمية من المواد الأخرى التى يتباهى أساتذتها بالتغريب لرفع مستوى انفسهم بتقمص شخصيات غربية مرموقة وهم لم يدُرسوا بالغربْ - إن لم يكن العكس الذى عبَّر عنه مستجيبو الأستاذ ذياب بمرارة فى ملاحظة أحدهم الأخيرة قائلاً : فى السنة الماضية ، وفى بداية التعريب بالذات ، حذرنى بعض الأساتذة - سامحه الله - من هذا الشذوذ - خوفاً على المستقبل ، ولم يكن بوسعى أن أسأله آنذاك : مستقبلى أنا أم مستقبله هو؟ لابد إذن للوائح كليات الطب بالذات - لأنها التى تثور مشكلة تعريب التعليم بها أكثر من غيرها - أن تُلغى عبارة "إلا ما استثنى" حيث الاستثناء عودة للأصل - **وأن تنفيذ بند اللائحة الصريح فى أن التدريس والامتحان بالعربية مع إعطاء المصطلح الأجنبى ، وتدريس مقرر "مصطلحات فى معجم الطب الموحد" الذى أصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة - إجبارياً وبامتحان شفوى وتحريرى .**

وإن قضية تعريب التعليم العالى لتنحسم أيضاً بما عبَّر عنه الأستاذ الدكتور فضلى عندما تتفهم معه علاقة اللغة بالفكر ، ونتدبر ما فى قوله : " إن اللغة أساس الفكر ، كون المقصود باللغة ، تلك التى يتعلمها الطفل ويتكلم بها فى مجتمعه من الثلاث إلى الخمس السنوات الأولى فى حياته ، وإن فكرنا لن يكون واضحاً قادراً على الأبداع والإضافة إلا إذا كنا نفكر فى إطار الخصائص العقلية التى تتكون بها شخصياتنا فى سن الطفولة هذا ، وإننا أخيراً لن تكون لنا إسهاماتنا فى التقدم العالمى إلا إذا استخدمنا لغتنا القومية فى تلقى العلوم" . **إن محك نجاح عملية التعليم بالعربية ، لهو مدى استفادة** الدارسين بما يحصلونه من معلومات ومعارف فى مجالات تخصصهم النظرى ، وما يكتسبونه من مهارات وابتكارات فى حقول ممارستهم العملية التطبيقية - حيث الشباب هم عدة وعتاد أمتنا العربية فى تقدمها ونهضتها ، ومعقد آمالها فى ازدهار ورخاء مستقبلها .

كمال محمد دسوقى
عضو المجمع

عقيدة الموحدين بين التشيع والاعتزال(*)

للدكتور شوقي ضيف

مؤسس عقيدة الموحدين ودولتهم : محمد بن تومرت، المولود بهرغة فى جبال درن ،موطن قبيلة مصمودة بالمغرب الأقصى سنة ٤٧١ للهجرة ، شبَّ مشتغلا بالعلم ، وارتحل فى طلبه سنة ٥٠١ ،ونزل الأندلس ودخل قرطبة لفترة قصيرة اتجه بعدها إلى المشرق ، ورحل إلى المهدية ثم الاسكندرية ، وحج ودخل العراق ، وأكبَّ فى بغداد على حلقات العلماء والنظار ، واستمع إلى أصحاب النحل والمذاهب من الشيعة والمعتزلة والأشعرية ، وفى سنة ٥١٠ اعتزم الرجوع إلى موطنه ، ومر بالإسكندرية وببعض البلدان المغربية ، وفى كل بلد كان يعقد لنفسه مجلس علم ووعظ ، ويأمر، بالمعروف وينهى عن المنكر مثيرا العامة، مما جعل بعض حكام البلدان التى مر بها يضيق به ، ويأمره بمغادرتها ، وكان بعيد الهمة ووقف على ضعف الخلافتين : العباسية فى بغداد والفاطمية فى القاهرة ، ونشأت فى نفسه فكرة الدعوة إلى خلافة فى المغرب يكون هو صاحبها ، وأخذ يجمع حوله بعض مريديه ممن لقيهم فى أوبته ، وتوسم فيهم عونه فى تحقيق فكرته ،مثل :عبد المؤمن بن على وأبى محمد البشير الونشريشى ، ولكن كيف يكون ذلك وخليفة المسلمين ينبغى أن يكون هاشميا ،مثل العباسيين ، أو علويا فاطميا ،مثل الفاطميين، وأكد أنه مثلهم : علوى فاطمى ، إذ ذكر له سلسلة نسب تصله بسليمان ، أخى إدريس الحسنى مؤسس الدولة الإدريسية بالمغرب الأقصى، التى حكمت من سنة ١٧٢ إلى سنة ٣١١ للهجرة ، والمؤرخون مختلفون فى صحة نسبه ، ونزل مدينة فاس سنة

(*) ألقى هذا البحث فى الجلسة السادسة التى انعقدت صباح الأثنين ٢٧ من شوال سنة ١٤١٣ هـ الموافق ١٩ من إبريل سنة ١٩٩٣

٥١١ ولزم مسجدا ظل يدرس فيه ويلقى الوعظ ، جامعا حوله كثيرين من مريديه عاملا بقوة معهم على الدعوة سرًّا له ، وأنه المهدى الذى تنتظره الأمة ، يدل على ذلك أكبر دلالة صَكٌّ احتفظ به داعيتهم ومؤرخهم ابن القطان ، كتبه سنة ٥١١ للقاضى الجذامى أوله بعد البسملة والصلاة : « أقول وأنا محمد بن عبد الله تومرت وأنا مهدى آخر الزمان » وتحول إلى مراكش سنة ٥١٤ يتظاهر بدراسة العلم والوعظ ، ويتزيّى بزى الزهاد ، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ولقى أمير المرابطين على بن يوسف بن تاشفين فوعظه ، وعقد له مناظرة بينه وبين العلماء ، فبزهم وأفحمهم ومضى يدعو سرا إلى الانتقاض على المرابطين ، وأحس بتشديد الرقابة عليه ، فخرج من مراكش ونزل بتينملل ، وهناك أخذ يدير دعوته كاشفا القناع عن وجهه الحقيقى وأنه الإمام المهدى المنتظر ، وما توافى سنة ٥١٥ حتى يكثر أتباعه ، فيعلن ثورته على المرابطين فى شهر رمضان وأنه المهدى المرتقب ، ويخطب فى أتباعه قائلا :

« الحمد لله الفعال لما يريد : . . وصلى الله على سيدنا محمد ، المبشر بالمهدى ، الذى يملأ الأرض قسطا وعدلا ، كما ملئت ظلما وجورا ، يبعثه الله إذا نُسخ الحق بالباطل ، وأزيل العدل بالجور ، مكانه المغرب الأقصى ، وزمنه آخر الزمان ، واسمه : اسم للنبى عليه الصلاة والسلام ونسبه نسب النبى صلى الله تعالى وملائكته الكرام المقربون عليه وسلم ، وقد ظهر جور الأمراء ، وامتلأت الأرض بالفساد ، وهذا آخر الزمان . والاسم الاسم ، والنسب النسب ، والفعل الفعل » .

ولما فرغ من خطبته بادر إليه مستشاروه العشرة المقدمون قائلين : هذه الصفة لا توجد إلا فيك فأنت المهدى ، وبايعوه على ذلك وتتابع الناس يبايعونه ، وانعقدت له البيعة بأنه المهدى المنتظر فى آخر الزمان ، وعظم صيته ، وفرق دعاته فى القبائل ،

وعلا أمره وسمّى كل من دخل فى بيعته وصار من أتباعه باسم الموحدين ، وألف لهم كتابا فى التوحيد باللسان البربرى ، وصار الخطباء على المنابر يقولون عنه : إنه الأمام المعلوم والمهدى المعصوم ، ودخل الناس فى طاعته أفواجا ، ورتّب أتباعه فى طبقات · ودعا جهارا إلى خلع طاعة المرابطين لشيوع المنكرات فى دولتهم ، وكان فقهاؤهم يقتدون بالسلف فى ترك التأويل للآيات التى قد يفيد ظاهرها شبه الله بالمخلوقات مع تنزيه الله ونفى التشبيه عنه والتكييف ، ومع ذلك ادعى على المرابطين أنهم مجسمة لله كافرون ، ومعاذ الله أن يكون المرابطون مجسمين أو كفارا ، ومعروف أنهم أهم دولة مغربية أدت للإسلام خدمات كبرى ، أولها :. القضاء على مجوس برغواطة بإقليم تامسنا فى المغرب الأقصى ، إذ ظلوا يعيشون فى هذا الإقليم فسادا - منذ القرن الثانى الهجرى - حتى قضى عليهم المرابطون قضاء حاسما فى منتصف القرن الخامس الهجرى واستصرخهم أمراء الطوائف بالأندلس لحماية الإسلام هناك وصد غارات الإسبان فعبروا إليهم تلبية لصوت الواجب وهزموا الإسبان هزيمة ساحقة فى موقعة الزلاقة المشهورة ، وكما كان لهم جيش ضخم فى مراكش كان لهم جيش مماثل فى موريتانيا نشر الإسلام بقوة فى غرب إفريقيا ووسطها ، وبفضل البطل : أبى بكر بن عمر ابن عم يوسف بن تاشفين ، بطل الزلاقة تحولت غانة كلها بلدا إسلاميا إلى اليوم · وظلم أن يقال عن هؤلاء المجاهدين إنهم كفار أو مجسمة. على كل حال أخذ ابن تومرت يدفع الموحدين إلى منازلة المرابطين دون أن يكتب له عليهم نصر حاسم ، إنما كُتب ذلك بعد وفاته - بفترة غير قليلة - لخليفته عبد المؤمن ·

وكان ابن تومرت من الدهاء والحنكة السياسية فى الذروة ، فأسس عقيدة الموحدين وثبتها بقوة ، مستضيئا بالنحل فى عصره ، وفى رأينا أن أهم نحلتين

استمد منهمـا الأسس لتلك العـقـيدة ؛ هما : التـشـيع والاعتـزال ، أما الأسس التى ترجع إلـى التـشـيع فـأربعـة هى : الإمامـية والمـهدوية والعـصمـة والتنظيم الطبقى ، ويرجع إلى الاعتـزال أساسان : هما التوحيـد والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ونـبـدأ بعـرض الأسس الأربعـة الأولى ·

والأسـاس الأول : الإمـامـة ، وقـد مضى ابن تومرت يغـرس فى نفوس أتباعه ما عرفـه فى بغداد عن الإمام عند الشـيعة الاثنى عشـرية ، من أنه وريث الرسول ، وأنه حجة الله على عباده ، وأنه مطهَّر من الذنوب مـبَّرأ من العـيـوب ، وأنه معـدن القدس والطهارة والـتقوى والزهادة ، وأنه يعلم علم مـا كان ومـا يكون · ومن وفّى بعهـده فقـد وفى بعهـد الله · ومن نكث عهـده فقـد نكث عهد اللـه . ويقول ابن خلدون : إنه ألّف لأتباعه كتابا فى الإمامية افتتحه بقـوله « أعز ما يُطلب » وصار هذا الافتتاح لقبـا للكتاب ، ومن قوله فيه عن الإمامة : إن اعتقادها واجب على الكافة · « وهى ركن من أركان الدين ، وعمدة من عمد الشريعة ، ومـامن زمان إلا وفيه إمام لله قائم بالحق فى أرضـه ، وأمره أمر الله ورسـوله ، وطـاعـتـه طاعة الله ورسـوله والانقـيـاد له انقـيـاد إلى الله ورسـوله ، وموافقـته موافقة لله ورسـوله ، ومرضاته مرضاة لله ورسـوله ، وموالاته موالاة لله ولرسوله ، وبه تكشف الظلمات ، وتدفع الأباطيل، وبمـوافـقـتـه تُنال السـعـادة ، وبطاعـته تنال البـركـات · والهجـرة إلى الإمام واجبة لا يحـول بينها وبين أحد من المـسلمين أهل ولا ولد ولا مـال ، ومن سمع بأمر المهدى وجبت عليه الهجرة إليه، ولا عذر له بوجه من الوجوه ، ويكفر من لم يصلِّ عليه، كما يكفر من لم يطعه » · ويقول المـراكشى فى المـعجب : بلغ من تعظيم المـصامـدة للمـهدى ابن تومـرت وطاعتـه ، أنه لو أمر أحدهم بقـتل أبيه أو أخيه أو ابنه ، لبادر إلى ذلك بغير إبطاء ·

والأساس الثـانى ، الذى أوجب ابن تومرت على المـوحدين اعـتناقه هو : أنه المهـدى المنتظر فى آخـر الزمان ، الذى يملأ الأرض عدلا ، بعد أن ملئت جورا ، ولينقذهم مما هم فيه من الشرور والآثام ، ولينشر بينهم العـدالة التى لا تستطيع الأمة بدونها أن تعيش معيشة قويمة ومِنْ وَصْفِ ابن تومرت للمهدى فى كـتابه : « أعز ما يُطلب » أنه : « خصـه الله بما أودع فـيه من مـعـانى الهــداية . . . ولا ندَّ له فى الورى ، ولا من يعانده ،ولا من يخالفه ، ولا من يضـاده ، ولا من يكابره ولا من يعصيه ،ولا تصدر الأشياء إلا عن أمره . العلم بـه واجب ، والسـمع والطـاعـة له واجب ،واتباعه والاقتداء بأفعاله واجب ، والإيمان به والتـصـديق واجـب على الكافـة،والتـسليم له واجـب ، والرضـا بحكمـه واجب، والانقيـاد لكل ما قـضى واجب ، والرجوع إلى علمه واجب،واتباع سبيله واجب ، وسنته سنة الله ورسوله ، وواجبٌ طاعتـه فى السر والعـلانية ، وفى الظاهر والباطن ،وفى أمور الدين والدنيا ، وفى القليل والكثيـر ، والخفى والجلى ، والأدنى والأعلى ، وأمـرُ المهـدى حتم ، من خـالفه يقـتل ، لا دفع فى هذا الدافع ثبـت بثبـوت نصوص الكـتاب وقـواطع الشرع » . ويبدو أن فكرة المهدى المنتظر عند الشـيعـة نشأت من أن العلويين حـين فـاتتهم الخـلافة فى العـصرين :الأمـوى والعباسى ، أخذوا يروِّجون لفكرة المهدى العلوى ، الذى يأتى فى آخر الزمان لإقامة دعائم الحق والعـدل ، وشاعت الفكرة ، إذ قلما مرَّ عصر دون أن يخـرج فيه مهدى ويدعـو لنفـسـه ، وهى فكرة مـخطئـة، سيطرت على العـالم العربى فى العـصور الماضـية ، سـببـها انتظار مـصلح يصلح الأوضاع الفاسدة فى الأمـة ، وكان ينبغى أن تنشد الشعوب العربية المصلح فى ذات نفـسـهـا ، وأن لا تظـنه هبـةً من هبـات الزمن .

والأسـاس الشـيـعى الثـالث ، الذى أوجب ابن تومرت على الموحدين اعتناقه ،

هو : عصمة الإمام المهدى ، فهو - مثل الأنبياء - معصوم لا يقع منه خطأ ولا يرتكب معصية كبيرة ولا صغيرة ، وهو لذلك يرتفع عن مستوى البشر من حوله إلى مستوى أعلى رفيع ؛ لما ينتقل فى أصلابه من نور إلهى ، ينقِّى روحه ويخليها من دواعى الشر ، وهو نور ظل ينتقل من آدم إلى أبنائه وأحفاده من الأنبياء والرسل ، وحظى الإمام على بن أبى طالب بشعاع منه ، ظل ينتقل فى أبنائه وأحفاده من الأئمة . وهى فكرة لا يؤيدها الإسلام وتعاليمه حتى فى الأنبياء - فقد ذكر القرآن عن آدم أنه (عصى ربه فغوى) ووكز موسى رجلا فقتله ، وقال : (رب إنى ظلمت نفسى فاغفر لى) وقال الله لرسوله المصطفى ﷺ : (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) . ورأى ابن تومرت من الخير أن يشيع فكرة العصمة عند أتباعه ليحيطوه بضرب من الجلال والقدسية ، ويصدعوا دائما بما يأمر به دون أى مراجعة ، وكان إذا خرج شخص على رأى له يقتله ، ولا يبالى ، حتى لو كان من أقرب المقربين إليه ، لأن فى ذلك إنكارا لعصمته ، ويذكر ابن القطان من ذلك أنه أمر البشير الونشريشى بعملية تطهير فى فئة كبيرة من أتباعه بتينملل سنة ٥١٩ ، فكان يختبرهم ومن ثبت له اقتناعه بعقيدة الموحدين، قال : ردوه إلى اليمين إنه من أهل الجنة ، ومن تراءى له عدم اقتناعه، قال ردوه إلى اليسار إنه من أهل النار ، ويعلم أهل اليسار أنهم مقتولون ولا يفر منهم أحد ، وكان إذا اجتمع منهم كثيرون قتلهم قراباتهم ، يقتل الأب ابنه ، ويقتل الابن أباه ، والأخ أخاه . ولم يرتض أحد مستشاريه العشرة المقدَّمين عنده هذا القتل الجماعى وأنكره ، فأمر بقتله وصلبه، لأنه شك فى عصمته . وفى كتابه «أعز ما يطلب» : الإمام معصوم من الباطل والضلال والظلم والبدع والكذب، ويقول: المهدى معصوم فيما دعا إليه من الحق، لا يجوز عليه الخطأ فيه، ولا يكابر ولا يضاد ، ولا يدافع ولا يعاند ولا يخالف ولا ينازع

والأساس الشيعى الرابع ، الذى أخذ ابن تومرت الموحدين به ، لم يكن أساسا عقيديا ، ولكنه كان أساسا تنظيميا للدولة وأتباعه الموحدين، وهو أساس استضاء فيه، بما وضعه الخلفاء الفاطميون فى مصر لدولتهم الشيعية ، من نظام على رأسه الإمام الخليفة ، وتحته الحجج ، وهم اثنا عشر ، بعدد شهور السنة ، موزعين على البلدان الإسلامية ، ويتبعهم النقباء ، وهم أربعة وعشرون، والدعاة وكانوا يعدون بالعشرات. وكان الخلفاء الفاطميون يتخذون من الجامع الأزهر معهدًا لعلمائهم ، يلقون فيه محاضرات عن النحلة الفاطمية الإسماعيلية وأئمتها ونسبتهم إلى عالم القدس وواجبات الرعية إزاءهم ومهدويتهم وعصمتهم ، مغالين فى ذلك كله. ولم يأخذ ابن تومرت النظام الفاطمى بطبقاته كما وضعه الفاطميون ، إذ نقّحه ونظمه بصورة أكثر دقة ، جعل فيها الإمام المهدى ، ومن يليه من خلفائه على رأس النظام ، ويتبعه مجلس استشارى من مريديه العشرة السابقين إلى اعتناق عقيدته أو دعوته، وسمى هذا المجلس : الجماعة، وهم أهل مشورته فى المسائل الكبرى ، وأضاف إليهم مجلسا ثانيا مؤلفا من خمسين داعيا ، اختارهم من مختلف القبائل المغربية التى بايعته ماعدا خمسة منهم اختارهم من الغرباء ، ويستشارون فيما وراء المسائل الكبرى من المسائل. وبجانب هذين المجلسين : الطلبة ، ويسميهم الفاطميون الدعاة ، ووضع لهم ابن تومرت منهجا لتعليمهم أسسَ العقيدة ونشرها فى القبائل وبين الناس – وكان قد وضع رسالة فى التوحيد ، ووضع بجانبها كتابه « أعز ما يُطلب » وكان يدرسهما للطلبة ، واتخذ لهم بيتا يربون فيه ويعلمون مبادىء العقيدة وتعليمها فى نشأتهم ، وتسمى هذه الطبقة من ناشئة الطلبة باسم الحفاظ ، ومنهم تتألف حين يشبّون طبقة الطلبة أو الدعاة ، وكانت تدرس لهم كتب ابن تومرت ، وكان يقوم عليهم شيخ يسمى : شيخ طلبة الحضرة ،

وكـان بعـضـهـم يصل إلـى أرفع مناصب الدولة ، وبهـذا النظام المـحكم ثبت ابن تومرت دعـائم العقـيدة والدولة إلـى أبعد غاية ٠

وتعـرف ابن تومرت بدقـة - وهو فى بغداد - بجانب مـبادىء الشيعة الإمـامية على مبـادىء المعتزلة الخـمسة ، وهى : التوحـيد ، والعدل ، والوعد والوعـيد ، وأن مرتكـب الكبيـرة فى منزلة بين منزلتى الإيمان والكفـر والأمر بالمـعروف والنهى عن المنكر ، وجـعل المـبـدأين : الأول والأخير أساسيِّين فى عقيدة الموحدين ٠

وشـوَّش الأسـاس الأول طويلا على المـرابطين ، إذ نفـى عنهم التـوحـيـد ، وسمى أتباعه باسم الموحدين ، وغمضت هذه التسمية على المؤرخين المعاصرين من مستشرقين وعرب ، وزعموا أن المرابطين وفقهاءهم كانوا مجسمة ، كـما وصفهم ابن تومرت، وبيّنت - منذ قليل - خطأ ذلك ٠ وقالوا إنه أكد جانب التوحيـد ولم يتبينوا المعنى الذى يريده به ، ونرى أحد المؤرخين المعاصرين يقـول : « إن لقب الموحدين الذى أطلقـه ابن تومرت على أتبـاعه غـير ذى معنى لأن كل المسلمـين موحدون ولم يكن المرابطون أقل توحيدا من الموحـدين ، وكأنها تسمية أراد مـحمد بن تومرت بها أن يـوهـم الناس أن دعـوته تـتـجـه إلى إحـياء عقـيـدة التـوحيد الـخـاصـة » كما تصورها المعتزلة ٠

وابن تومرت إنما رأى أن يجعل مبدأ التوحـيد عند المعـتزلة أساسا راسـخا فى عقـيدة الموحدين ، وأراد به - كـما أراد المعتزلة - تنزيه الله عن الشبه بالمخلوقين تنزيها يحتم تأويل الآيات القرآنية التى يدل ظاهرها على التـجسـيم ، مثل آية سـورة الأعـراف : (اسـتـوى على العـرش) ، ويأخـذ الأشـعـرية - فى القـرن الرابع الهجرى - برأى المعتزلة فى تنزيه الله عن الشبـه بالمخلوقين ٠ ولعل ذلك مـا جعل ابن خلدون وكثيراً من مؤرخى ابن تومرت ، يظنون أنه كان يعتنق المـذهب الأشعرى ، والمـعـتزلة هم الـذين اتخذوه مـبـدأ فى

عقيدتهم ، وفسروه التفسير السالف ، وتعمقوا فى تحليله ودلالته ، وأولوا على أساسه - كما ذكرنا - الآيات القرآنية التى يدل ظاهرها على التجسيم ، ومنهم استعاره ابن تومرت ، بنفس هذه الدلالة الخاصة ؛ يدل على ذلك بوضوح فصل عقده فى كتابه : أعز ما يطلب « بعنوان : « توحيد البارى سبحانه » ، يمضى فيه بهذه الصورة :

« لا إله إلا الله ، الذى دلت عليه الموجودات ، وشهدت عليه المخلوقات . . من غير تقييد ولا تخصيص بزمان ولا بمكان ولا جهة ، ولا حد ، ولا جنس ، ولا صورة ، ولا شكل ، ولا مقدار ولا هيئة ، ولا حال . . صَمَدٌ لا يتقيد بالكيفية ، عزيز لا يتقيد بالمثلية ، لا تحده الأذهان ولا تصوره الأوهام ولا يتصف بالتحيز والانتقال ، ولا يتصف بالتغير والزوال ، لا يقال متى كان؟ ولا أين كان؟ ولا كيف كان؟ كان ولا مكان ، كوَّن المكان ، ودبَّر الزمان ، لا يتقيد بالزمان ولا يتخصص بالمكان ، لا يلحقه وهم ولا يكيِّفه عقل ؛ (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير) .

وواضح كأنه أحد المعتزلة ، يفسر ما يراد بمبدأ التوحيد فى عقيدته ، وبهذا المعنى أطلق ابن تومرت على أتباعه اسم الموحدين ، ليهاجم بقوة المرابطين وفقهاءهم ، ومابنى يهاجمهم فى كتابه « أعز مايطلب » كقوله : أمر رسول ﷺ بمخالفة أهل الباطل فى زيهم وأفعالهم وجميع أمورهم فى أخبار كثيرة ، قال : خالفوا اليهود ، خالفوا المشركين ، خالفوا المجوس ، وكذلك المجسمين الكفار ، ويفتح فصلا لبيان وجوب جهاد المرابطين لإيمانهم بالتجسيم ، ويدعوهم دائما مجسمة كفارا وتابعه فى هذه التهمة المستشرقون مثل : بروكلمان ، فى كتابه تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص٣٢٥ . ولم يكونوا - ولا كان فقهاؤهم - مجسمة ، وإنما كانوا سلفيين مثل علماء السلف يؤمنون بتنزيه الله عن الشبه بالمخلوقات ،

ولا يحلُّون لأنفسهم تأويل الآيات التى يدل ظاهرها على التجسيم- إذ يؤمنون بها، كما وردت ، ولا يؤولونها ؛ لأن التأويل عرضة للخطأ . واستغل ذلك ابن تومرت، فسماهم مجسِّمةً وكفارا ، وبذلك استحل حربهم ورفع أيديهم عن الحكم ، وادَّعى لنفسه وأتباعه أنهم هم وحدهم الموحدون ، بمعنى التوحيد عند المعتزلة ، وهو تنزيه الله عن التجسيم مع تأويل الآيات التى يفيد ظاهرها التجسيم .

وهذا الأساس : أساس التوحيد الذى اقترضه لعقيدة الموحدين من المعتزلة وشوش به على المرابطين ، وادعى به أنهم مجسمة لله كفرة ، وتجب حربهم ، ودعا به إلى الجهاد ضدهم ، اقترض معه من المعتزلة مبدأ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وجعله أساسا مهما من أسس عقيدة الموحدين ، وكان قد أعلنه مبكرا فى عودته من العراق وأثناء رحلته من الإسكندرية إلى فاس، فإنه لم ينزل بلدة مغربية ورأى بها مناكر إلا حاول تغييرها ، وفى فاس أخذ يمشى فى الأسواق يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويكسر المزامير وآلات اللهو ، ويريق دنان الخمر كلما وجدها . وانتقل إلى مراكش ، وغير بها المناكير على عادته ، ولقى بالمسجد الجامع أمير المسلمين رئيس دولة المرابطين على بن يوسف بن تاشفين ، فوعظه وأغلظ له القول ، فاستدعاه إلى مجلسه ليعرف شأنه ودعوته ضد المناكير فقال له : أنا رجل فقير طالب الآخرة ولست بطالب دنيا ولا حاجة لى بها ؛ غير أنى آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر ، وأنت أولى من يفعل ذلك ؛ فإنَّك المسئول عنه وقد ظهرت بملكك المنكرات وفشت البدع ، وقد أمرك الله بتغييرها ، إذ لك القدرة على ذاك ، وقد عاب الله قوما تركوا النهى عن المنكر ، فقال تعالى: ((كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) ، فأمر على بن يوسف بإحضار الفقهاء لمناظرته فأفحمهم وظهر عليهم ، وخرج من مجلسه ، وارتحل إلى ديار قومه فى

هرغة وإلى السوس ونزل تينملل ، وهو يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر . وأخذ يطعن جهرا - بعد أن كان يطعن سرا - فى المرابطين وأنهم مجسمة كفار ، وأن غزوهم واجب ، بل أوجب من غزو الروم والمجوس لأنهم مجسمة كفار ، ولأنهم يحلون المنكرات ويفسحون لشيوعها بين رعيتهم فى مختلف بلدانهم ، وهى تهمة بالغ فيها ابن تومرت ، لأنه لم يؤثر عن فقهاء المرابطين أنهم أحلوا الخمر أو أى منكر ، غير أن ابن تومرت أشاع ذلك وجعله باعثا قويا لحرب المرابطين وخلع طاعتهم بجانب ما أشاع عليهم من تهمة التجسيم ، ويفتح لوجوب جهادهم بسبب ذلك فصولا فى كتابه « أعز ما يطلب » .

ومع أن الذى أوعز إليه بالتهمتين المبدآن الاعتزاليان : الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ؛ والتوحيد ؛ بمعنى أن الله - جل شأنه - لايحيط به زمان ولا يحصره مكان ، ومع ذلك كان يشيع - على مايقال - أنه على مذهب الأشاعرة المتوسطين بين مذهب السلف الذى كان عليه فقهاء المرابطين ومذهب المعتزلة ، وفى رأيى أن الذى دفعه إلى القول بأنه على مذهب الأشاعرة ، أنه كان المذهب الشائع بتونس والبلاد المغربية منذ القرن الخامس الهجرى . ونجد ابن حزم يخصه بجزء فى كتابه الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، وكان قد شاع فى بغداد والمشرق وظهر على مذهب المعتزلة ، فرأى لمصلحة عقيدته أن ينتسب إليه وخاصة أنه وجد الأشعرى، إمام المذهب ، يتفق مع المعتزلة - مستضيئا بهم - فى تأويل الآيات القرآنية التى يدل ظاهرها على تجسيم الذات العلية ، فلم ير بأسا من أن يعلن أنه على مذهب الأشعرى .

وتنبه المراكشى فى كتابه « المعجب فى تلخيص أخبار المغرب » إلى أنه خالف الأشعرية فى إثبات الصفات للذات العلية ووافق المعتزلة فى نفيها . ولله فى القرآن الكريم سبع صفات : الحياة والقدرة والعلم والإرادة والسمع والبصر والكلام ،

فتساءل المعتزلة ؛ هل هذه الصفات زائدة عن الذات أو هى عين الذات ، أما الأشعرية وغيرهم من المتكلمين فقالوا : إنها زائدة عن الذات ؛ أما المعتزلة فدفعهم اعتقادهم بالتوحيد - بالمعنى الذى ذكرناه - وأن الله واحدٌ أحدية مطلقة ، وليس له كثرة جسمية ولا معنوية ؛ إلى أن يذهبوا إلى أن صفات الله المذكورة هى عين ذاته ، لا زائدة عن ذاته ، فالله عالم قادر سميع بصير بذاته ، لابعلم وقدرة وسمع وبصر ، زائداً ذلك كله على ذاته مثل الإنسان ، لما يقتضى ذلك من إثبات الجسمية عليه وهو منزهٌ عنها ، وأيضا فإن القول بزيادة الصفات على ذاته يؤدى إلى نوع من التعدد فى الذات الإلهية ، إذ تكون بجانب الذات صفات إلهية متعددة زائدة عليها . وأخْذُ ابن تومرت ، بفكرة نفى الصفات عن الذات الإلهية عن المعتزلة ، دليل قوى على ماقلناه من أنه أخذ فكرة التوحيد عنهم بمعناها الذى أوضحناه والذى يترتب عليه نفى الصفات عن الله وأنها عين ذاته.

دكتور شوقى ضيف
نائب رئيس المجمع

المصادر

- أعز مايطلب ، لمحمد بن تومرت (مهدى الموحدين) .
- الجزء السادس من تاريخ ابن خلدون .
- المعجب فى تلخيص أخبار المغرب، للمراكشى .
- روض القرطاس لابن أبى زرع .
- نظم الجمان لابن القطان ؛ (تحقيق الدكتور محمود مكى) .
- الملل والنحل للشهرستانى .
- الفصل فى الملل والأهواء والنحل لابن حزم .
- تاريخ الشعوب الاسلامية، لبروكلمان ، (نشر دار العلم للملايين) .

الإسلام والعصر *

للأستاذ حسن عبد الله القرشى

ليس ثمةَ عصر من العصور محتاجٌ إلى تعاليم الإسلام وإلى السّيرِ على هُداه وتطبيقِ مناهجه كعصرنا الراهن الذى استشرى فيه الطغيان ، وانهارت قيم الإنسان وأصبح منطق القوَّة هو عنوانُ العصر .

وقد جاءَ الإسلام والناسُ فى ضَلالَة ، وعِمَاية ، وجَهالةِ وغِواية : يأكُل القوِىُّ الضعيف ، ويتسلَّط الغنُّى على الفقير ، ليس هناك من حقٌّ لسائل أو محروم ، والقوم سادرونَ فى عبادة الأصنام ، وتقديس الأوثان ،والشجاعُ فيهم هو ناهب غيره وغازى جارِه ، وآكلُ مال اليتيمِ ظلمًا وعُدواناً .. فإذا خِيف الفقرَ وئدَ الذكور-، وإذا خيف العار وئدت الإناث ، جاء الإسلام داعيًا للدِّين القيِّم الحنيف دينِ الخيرِ والاستقامةَ والعفوِ والتسامح وحفظِ الجِوار ، ورعايةِ الرحم وتثبيتِ الصلاتِ بخالق الكون وموجدِ الأمم من العدم ، فأعلا من مركز الإنسان وشجَبَ الظلم والغدر ، والعدوان ، وأحيا فى النفوس رواكدَ الهمم ، بالنَّصفة فى الآخرة إن فات الإنصاف الإنسان فى الدنيا ، وتوعدَ الظالمين والجحدةَ والكاذبينَ والبغاةَ بالعذاب الأليم (يوم لاتملكُ نفس لنفسٍ شيئاً والأمرٌ يَوْمَئذ لله ويوم يَعَضُّ الظالمُ على يَدْيه يَقُولُ يَاليُتنى اتَّخَذْتُ مَعَ الرسُولِ سبيلاً) .

وحين انبثق فجرُ الاسلام بنزول الوحى على سيدِ الخَلق أجمعين ، اطمأن

(*) ألقى هذا البحث فى الجلسة السادسة ، من جلسات المؤتمر ، يوم الاثنين ٢٧ من شوال ١٤١٣ هـ . الموافق ١٩ من أبريل ١٩٩٣ .

نفـــوس هداهــا الله ، واســتــكبـــر أُناسُ معتــصمين بالشكّ والجدل العــقيم ، وهنا نحن أولاء نعانى من أمثال هؤلاء - الذين

استـحـوذَ عليهم الـشيطانُ فـأضلَّهم وأعـــمى أبصــــارَهم عن نور الـحقِّ وعن الرشاد فهم يجادلونَ فى الله ، ومماحكونَ فى الدين ، ويتشدَّقــون فى التّديَن ، وهم فى ضلالاتهم يتخبطون .

فــالإســــلام شــعلةٌ لاتنطـفىء ومنارةٌ لاتنحنى . أتَى سلامًا وبرداً للبشَرية جمعاء ، وهبطَت تعاليـمُه على خَير الرُّسُل وصـفوةِ الخلق نبىٍّ الإنسانية كلِّها ؛ فإذا هى مصفاة منتقاة صالحة لكل زمان ومكان ، وقد كان رجــالات الإسلام مُـثُـلاً عليا ، ونمــاذجَ ساميةً فهمًا للدِّين ، وتفقُّهاً فيه ، وعكوفًا على حلٍّ مايطرأُ من مُعـضلاتٍ ومشكلاتٍ ومسارعةٍ إلى حَمل راياتِ الجِهاد فى سبيل الله ، مادعت إلى ذلك الدَّواعى .

وبرز من التابعين الأعلام ، أئمة الفقة الأربعـــة : الأمــام ؛ مـــالكُ بن أنس ، والشافـعىً محمد بنْ إدريس،وأبو حنيــفة النعــمان وأحــمدُ بن حنبل ، وكـثيــر من مريديهم ، وتلامذتهم .

كما خُدمت السُّنة بالأفذاذ وأصحابِ الكتب الستــةُ وغيـرهم ؛ الأمر الذى أدّى إلى حفظِها وصيانتها .

وسار الإسلام على نَسَقٍ عُلْوِيٍ مستمدٍ من كتاب الله وسنِة ورسوله ، ومــا اجْتهد به الاعلامُ من رجالاتِه الكبار .

وقـد أتَى العصــرُ الراهن بمــشكلاتٍ وتحديات افتــقدنا لها رجلُ الدين ،الواسعَ الأفق العصرىَّ الثقــافة ، الذى يستطيُع أن يسيــرَ على هُدىً الشعارِ المحـمّدى (أنتم أعلم بأمــور دنيــاكم) ، وإن كــانَ هناك فريقٌ ينظُر إلى مثلِ هذا الرجل - إذا وُجد - نظرةَ شكٍ وريبة ويِضعــه موضعَ اتّهام ، إذا حــاول أن يجتــهدَ ويســتنبِط بمــا ينفع المسلمين مع أن باب الاجتهاد مفتوح غيرَ موصود ، ومع أن مـصادرَ البحث العلمِى

الدينى قد توافَرت بصُورة لم تُتح فى العهود الأولى .. وبذلك تأخر ركبُ الدين وتخلفتْ مسيرة الإسلام ، وأصبح القيِّمون عليه هم الذِّين يتَمسكون بحرفيةِ النصّ ، دون النظر إلى مابين سطورِه ، ولا الاهتداء بفلسفته السامية الشاملة .. فإذا بالجمُوُد والركود يسربلان المسَيرة ويعيقان الاجتهاد ويغُلاَّن الرأى الصالحَ المفيدَ ، الذى لايخرج عن مفهوم جوهرِ الدين ، بما يُصلِح حالَ المسلمين ويوجدُ حلولاً ميسرةً لما يعرضُ لحَيَواتهم من ملابسات ومشكلات ؛فالدِّين يُسرٌ (ولن يَشَادّ الدِّينَ أحدٌ الاَّ غَلَبهَ) كما قال المصطفى ﷺ .

وقد شرَعَ القرآنُ والسنة للمسلمين مالو ساروا عليه لم يضلوا ولم يهنوا وهم الأعلون .

وقد كان الرسول ﷺ فى حياته النبراسَ القوىَّ ، يضىء ظلامَ الوجود ، ويُبددُ غُيومَ الفرقةَ والشكّ والانحراف و الجُحُود ، وهو يستمدُّ تعاليمَه من السماء فى كتاب منزَّل منها .. وقد رزقه الله من كَمالِ الخُلُق وبلاغهِ القول وثاقبِ البصيرة وقوة الشخصية والخبرة. بالرجال والحُضور المضىء مالاَ مزيدَ عليه ، وقَرنَ الله آسمهَ بآسم عبدِهِ ورسولِه محمد ، إذ قال جلَّ شأنه : (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاؤوك فَاستَغْفَرُوا الله وآستَغفرَ لهُمُ الرَّسولُ لوجَدوا الله توّابا رحِيمًا ،فَلاَ وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حتَّى يُحكِّمُوكَ فيما شَجَر بينَهم ثُمَّ لاَيَجِدُوا فى أنْفُسهِم حَرَجاً مما قَضَيْتَ ويُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) وقال تعالى : (من يُطِعِ الرَّسولَ فقد أطاعَ الله وَمنْ تولَّى فما أرسَلْنُاكَ عَلَيهِمْ حَفِيظاً) .

وقد كانَ الرسولُ الهادى فى حُكْم الحاكم العدْل للأمة الإسلامية فى عصره كما كان مدبِّرَ أُمورها وباعث عزتها ومجدِها وقوَّتها ، ثم تَوالَى على المسلمين مِنْ بعَده خلفَاءٌ عِظامٌ أقاموا منارَاتِ العدلِ والمساواةِ وآخَوْا بين الناس ، وفى الأثر : (الخلافة بعدى ثلاثون سنة) وهى ما احتَسبَه الناسُ لِخلافة أبى بكرِ الصِّديق ،

وعمرَ بن الخطّاب ، وعثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب ، والحسن بن على . . واختلف المسلمون فى عَهد عثمانِ وذرّ قرن الفتنة حُسَمِ الأمر - فيما بعد لمعاوية بن أبِى سفيان ، داهيه الرأى ، فجعلَ من الخلافة ملكاً ، وحمل النّاسَ على البيعة لابنه يزيد بالملْك من بعده فأصبحَ مُلكا عَضُوضًا متحدِّيا كبارَ الصحابة ورجالَ الرأى والدين . . وتوالى على حكم المسلمين خلفاءٌ من بني أمية حتى آنهار حكمُهم ، وَثلَّتْ عُروشَهم فئة الحاكمين من بَنى العباس ، ثم استبدت كثير من الفتن بمسِيرة الإسلام فيما تلا ذلك .

والإسلام كدين سماوىّ عظيم ، لايحجر على الرأى، ولا يُلغى الاجتهاد . وقد أخرج أحمد وأبو داود والترمذى وغيرهم من حديث الحارس بن عمرو . . آبن أخى المغيرة بن شعبة قال : حدثنا ناس من أصحاب معاذ ، عن معاذ قال : لما بعثَه النبّى ﷺ إلى اليمن قال : كيفَ تقضِى إذا عَرَض لك قضاءٌ ؟ فقال أقضى بكتاب الله ،قال : فإن لم تجد فى كتاب الله ؟ قال : فبُسنَّةِ رسول الله ، قال فإن لم تجِد فى سنة رسول الله ولا فى كتاب الله ، قال : أجتهدُ رأيى ولا آلو : قال فضرب رسولُ الله ﷺ وسلم صَدْرى وقال : الحمدُ لله الذى وفَّق رسولُ رَسُولِ الله لما يرضاه رسولُ الله .

إن تنقيةَ الدِّين من الشوائب وتطهيرَه من البدع والخُرافات أمورٌ واجبةٌ محتّمة ، وفى الوقتِ ذاته ، فإن الاهتداءَ بتعاليمه ومناهجِه ، والسّير على هواه ، والنظر فى شئونِ المسلمين على ضوءِ تشريعاته ؛ كلُّ أولئك كافِلٌ لخير البشرية ، ورفع القيم الإنسانية والإسلام لم يأتِ من فراغَ، وإنما هو (وملّة أبيكُمْ إبراهيَم ، هُوَ سَمّاكمُ المسلِمينَ مِنْ قبلُ وفى هَذَا ليكونَ الرسولُ شهيدًا عليكُمْ وتكونوا شهداءَ على الناسِ) .

ووردَ فى القرآن الكريم : (مايقالُ لك إلاَّ ما قَدْ قيلَ للرُّسُلِ مِنْ قبلَك إنَّ ربَّكَ لذو مَغفرَةٍ وذُو عِقَابٍ أليمٍ) .

وورد فيـه: (قُلْ مَـاكُنْت بِدْعـاً منَ الرُّسلُ ،ومَـاَ أدْرى مايُفْـعَلُ بى ،ولابِكُمْ، إن أَتَّبِعُ إلا مـا يُوحى إلىَّ ومـا أنا إلاّ نذيرٌ مبينٌ).

وقـد أتى الدين الإسلامىّ بمبـادىءَ عليا كثيرةَ .. ومن أهمِّـها حقوق المِلكيةِ الفرديةِ ،كـما أتى ببشائر البـعث والنشور .. وإن الحياةَ الدنيا مـا هى إلا متاعٌ قليل وإن الإنسان إذا حُـرِمَ من مسَّـراته الوقتـية فيها ، فإنه سـيحظَى بمسّراتٍ أعظمَ وأوفرَ وهى مسَّراتٌ أبدية خالدة .. وأنه إذا ظُلِم فى دار الفناء فـإنه سيلقى النَّصَـفَةَ فى دار البقـاء ، ويُؤْخذُ له حقُّـه عُنوةً من ظالِمِهِ ، وحَثَّ الإسلام على العمل والاستغراق فى أداءِ الواجب وبشَّر بأنه سيعوَّضُ عن كل ما يؤلمُ ويضـير فى هذه الدنيـا ، مهـما قلّ وضؤل (بأن العـبدَ ليُـؤْجرَ على الشـوكة يُشَاكُها) .

وأتى الإسلام بالسَّمـاحةِ والعدل (لا إكـراهَ فى الدِّين قد تبـيّنَ الرُّشْـدُ مِنَ الغَىِّ فَـمَنْ يَكْفُـرْ بالطَّاغُوتِ ويُـؤْمنْ بالله فقـد آستمسكَ بالعُروة الوُثْقى ، لا آنفصامَ لَها، والله سميع عليم) .

وأخيـراً ، فإن إجـاباتِ الإسلام على تَساؤلات العـصر ، ومواصفَـاتِه وتحدِّياته، هى إجاباتٌ سليمة مقنعـة ؛ كما أن حجتَه علـى المشكـكين والمرتـابينَ والمتـــــردِّدين والمنافقين ظاهرةٌ قويةٌ ، وإن سماحَتَه ليس لها من حـدود ، فعسى أن يعـودَ الهاربُ إلى الحظيـرة ، والـشـاردُ إلى المَسـيـرةِ ، والشاذُّ إلى الجَماعَة ، والشاكُّ إلى اليقين ، والعـاصـى إلى الطاعـة ، والـضـالُّ إلى الصراط المستقيم .

وعـسى الله أن يأتى بالفتحِ ، أو أمـرٍ من عنده ، فهو نعمَ المولى ونعم النصير.

حسن عبد الله القرشى

عضو المجمع المراسل من السعودية

* * *

تجربتى فى صنعة معجم البلاغة العربية *

للدكتور بدوى أحمد طبانة

أردت أن أسهم فى هذا المؤتمر المشهود الذى احتشد له هذه الصفوة من العلماء العاملين والجهابذة المفكرين المختصين فى فنون من المعارف الإنسانية ، وهذه الكوكبة من علماء العربية ، وأهل الحفاظ على مقوماتها وعلى تراثها الخالد ، ولسانها المبين الذى نزل به القرآن الكريم هدى ونوراً يهدى إلى الحق وإلى الصراط المستقيم ·

وأردت أن يكون إسهامى بحديث عن تجربتى فى صنعة « معجم البلاغة العربية » لارتباطه الوثيق بالموضوع الذى اختاره مجمعكم الموقر للبحث والمدارسة فى هذا المؤتمر ، وهو منهج المعجم العربى ومصادره ·

وقد كان إصدار معجم للبلاغة العربية حديثاً للنفس ، وحلمًا من الأحلام ظل يراودنى سنين طوالاً فى ربيع العمر منذ قُدِّر لى أن أنحاز فى دراستى العليا إلى مجال البلاغة والنقد الأدبى ·

وقضيت فى إعداد هذا المعجم خمسة وعشرين عاماً فى البحث والتنقيب وتقليب المراجع المشهورة والمغمورة على السواء لاستخلاص مادته العلمية ·

وأقدمت على هذه التجربة مستعينًا بالله ، وأنا مشغوف بها ، ومطمئن إلى نتيجتها وجدواها ، وكان من وراء هذا الشغف غيرة على هذا التراث الخالد ، وخوف عليه من عوادى الزمن ، بعد أن

---

* ألقى هذا البحث فى الجلسة الثامنة من جلسات المؤتمر ، يوم الثلاثاء ٢٨ من شوال سنة ١٤١٣هـ ـ الموافق ٢٠ من أبريل سنة ١٩٩٣ م ·

ارتفعت أصوات غريبة تحاول أن تقوض هذا الصرح المكين ، وتزهد طلاب المعرفة فيه بدعوى صعوبة مناله ، ووعورة السبيل إليه ·

ولست أعرف أن الصعوبة وحدها سبب كاف لانتقاص ماهو حسن فى ذاته ، أو لاطّراح مافيه خير كثير ، بل إن صعوبة المطلب هى محكّ الرجال ، ومختبر العزائم ، وقديماً قال الشاعر : « على قدر أهل العزم تأتى العزائم » وكما قال : « لولا المشقة ساد الناس كلهم » !

ولو كان تحصيل العلوم كلها سهلاً ميسوراً « لبطل التفاوت بين الناس ، وسقطت المحنة ، وماتت الخواطر · ومع الحاجة تقع الفكرة والحيلة ، ومع الكفاية يقع العجز والبلادة · وكل باب من أبواب العلم منه مايجلّ ، ومنه مايدقّ ، ليرتقى المتعلم رتبة بعد رتبة ، حتى يبلغ منتهاه ، ويدرك أقصاه ، ولتكون للعالم فضيلة النظر وحسن الاستخراج » ·· كما يقول ابن قتيبة - أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ) فى كتابه « تأويل مشكل القرآن» ·

وليس يشك منصف أن هذا التراث البلاغى جدير بالعناية ومواصلة البحث فيه ، لأنه يمثل خلاصة ما اهتدت إليه الفطر السليمة والأذواق الرفيعة لأسلافنا من علماء الأدب ونقدة الكلام الذين أرسوا دعائم هذا العلم النافع ، وبنوا صرحه العتيد ، بالإضافة إلى أن فن الأدب كان ومايزال الفن المتميز الأثير عند أمتنا العربية ·

وإذا كان هنالك علم للغة وعلم للنحو وعلم للتصريف وغيرها من العلوم ، فإن هذه العلوم تستهدف صحة العبارة وسلامة المنطق فى كل كلام يتعامل به أصحاب اللغة ، إذ أنها علوم صحة توقف على الصواب ليحتذى ، وعلى الخطأ حتى لا يقع فيه متكلم يدعى أنه يتكلم بلسان العرب ·

أما البلاغة فإنها علم جمالى ، يبحث فيما وراء الصحة من خصوصيات الفن الأدبى ، أى أنها « علم الأدب » تختص به ، وتبحث عن أسباب الإجادة والإبداع

فى الأعـمال الأدبيـة التى يتـفاضل فـيهـا الأدباء ٠

ويجب ألا يغرب عـن البال أن « علم البلاغة » كان أول العلوم التى استقلت عن العلوم الأدبية ، وقد تحـددت مباحث هذا العلم ، وأصـبح له كيـانه منذ نشـأة هذه العلوم ، وظلت ترفـده العـقـول الواعيـة والأذواق المستنيرة ، حـتى نضج واستوى على سوقه ، وشغل حيزاً متميزاً بين علوم العربيـة ، مما يدل على حفـاوة الأسلاف بهـذا العلم الـذى رأى بعـضـهم أنه أحق العلوم بالتعلم ، وأجدرها بالتحفظ ، كما قـال أبو هلال العـسكرى (٣٩٥ هـ) فى خطبة كتاب « الصناعتين » :

« اعلم ٠ ٠ علَّمك الله الخير ، ودلّك عليه ، وقيَّـضه لك ، وجعلك من أهله - أن أحق العلوم بالتعلم ، وأولاها بالتحفظ - بعـد المـعـرفـة بالله جـل ثناؤه - علم البلاغة ، ومعرفـة الفصاحة ، الذى يعرف به إعجاز كتاب الله تعالى ، الناطق بالحق الهادى إلى سبل الرشد ، المدلول به على صـدق الرسالـة ، وصحـة النبـوة ، التى رفعت أعلام الحق ، وأقامت منار الدين ، وأزالت شـبه الكفـر ببراهينهـا ، وهتكت حجب الشَّكِّ بيقينها » ٠ ٠ ٠

فـقـد رأيت أنه لم يـقـدِّم على علم البلاغة فى وجوب تعلمه ، والحفاظ عليه علمًـا آخـر ، وأن هذا العلـم يجىء فى أهميته تاليًا لـمعرفة الله عزّ وجلّ ، وذلك لأنه رأى أن البلاغة هى الـسبيل إلى إدراك إعـجاز القـرآن الكريم ، وهو المـعـجـزة الكبرى لرسـول الله ﷺ ، وأهم وجوه إعجازه فـصاحته وبلاغتـه التى تحدى بها المشركين والمنكرين ٠

* * *

وقد رأيت المكتبة الـعربية وهى تزخر بطاقـات هائلة من المصنفـات التى عنيت بخـدمة تراث هذه الأمـة ، وفى طليـعتـه التراث اللغوى الذى حفظ التاريخ منه ثروة طائلة فى كتب اللغة ومعـاجمها منذ مسّت الحاجة إلى تدوينها والتأليف فيها ٠

وقد عنى العلماء بإحصاء ألفاظها وضبطها ، والإبانة عن دلالاتها الإفرادية والتركيبية ، وألوان التصرف فى تلك الدلالات عبر الزمان وعبر العصور المتلاحقة التى تداولت هذه الألفاظ والصيغ التعبيرية ، وطوّعتها لمقتضيات الحياة والبيئات والعصور وألوان الحضارات .

واستطاعت هذه المعجمات أن تحافظ على أصول اللغة ودلالاتها ، كما استطاعت أن تصل حاضر هذه اللغة بماضيها ، وأصبحت بذلك عاملاً من عوامل الحفاظ على اللغة ، ومتابعة إصلاحها وتقويمها لمتابعة ركب الحياة ومقتضيات الحضارة المتحركة المتجددة ، فأسدت بذلك فائدة كبرى فى بعث اللغة وإحيائها وتجديدها ، وهى اللغة التى يفيدها عامة المتعاملين بها وخاصتهم فى هذا الزمان وفى قرون سبقته بالتعلم والتلقين ، لا عن طريق الفطرة الواعية التى اكتسبتها فى أول عهدها عن طريق السماع والمزاولة المتأثرة بوحدة البيئة ووحدة المفاهيم التى أدت إلى وحدة اللسان فى التعبير عنها ، حتى أصبح هناك عرف لغوى عام ، وهو الذى نعبر عنه بقولنا : « الدلالة اللغوية » أو « الدلالة الوضعية » أو « الحقيقة اللغوية » .

وفى هذا اللون من ألوان الدلالة وحدة ، وفيه أيضاً دقّة وتحديد يعرفها واضعو اللغة وأصحابها الأصليون ، وهم دائماً الحجة التى يعتد بها ، والمرجع الذى يعتمد عليه فى إدراك ما خفى من أصول التعبير وأسراره .

وهنالك طبقة أخرى من العلماء ينتمون إلى علماء هذه اللغة العربية بأوثق الأسبابِ مع ثقافة أخرى أفادوها فى فن من فنون المعرفة ، وقد استطاع أعلام من هذه الطبقة أن يجردوا من ألفاظ العربية ودلالاتها ألفاظاً ميزها العرف الخاص فى علم من العلوم ، أو فى فن من الفنون ، أو فى صناعة من الصناعات بدلالة خاصة ، أصبحت بها ذات مفهوم خاص عند أرباب هذه المعارف والصناعات .

واستطاع أولئك العلماء المتخصصون أن يجمعوا تلك المصطلحات فى معاجم مختصة بضرب من ضروب المعارف والعلوم والفنون . .

فكانت هنالك معاجم للطب ، ومعاجم للحيوان ، ومعاجم للنبات ، ومعاجم للموسيقى ، ومعاجم للبلدان ومعاجم للرجال ، وغيرها مما حرص أولئك العلماء على جمعه وتدوينه مما استطاعوا إحصاءه ، ليسهل الرجوع إليه والإفادة منه على طلاب المعرفة ، وفهم مايدل عليه فى العرف الخاص لكل ضرب من تلك الضروب الثقافية العلمية منه والفنية على السواء .

وذلك بالإضافة إلى حشد كبير من الموسوعات ودوائر المعرفة التى اتسع فيها نطاق البحث ليشمل ضروبًا شتى من المعارف والثقافات التى تعم بها الفائدة لجماعات الباحثين فى الثقافة الإنسانية على اختلاف تخصصاتها .

وبقيت البلاغة العربية من غير معجم يضم شمل فنونها ، ويضم شتات مصطلحاتها التى كانت ذات دلالات وضعية عند أصحاب اللغة الأولين ، ثم جنح بها العرف البلاغى إلى تحديد المفهوم الخاص ، لتصبح مصطلحات بلاغية محدودة المعنى ، واضحة المفهوم .

وقد كان علم البلاغة فى طليعة علوم الأدب ، وكان فى الوقت نفسه من أغنى علوم العربية ، وأغزرها بالدلالات الخاصة والمصطلحات الفنية ، لأنه العلم الجمالى الذى يبحث فى صناعة الأدب الذى يمتاز بالعبارة الفنية الممتازة ، ويحصى مظاهر القوة والوضوح والجمال فى التعبير الفنى .

وتلك الأسباب هى التى دفعتنى إلى تأليف هذا المعجم منذ أحسست بفراغ مكانه فى المكتبة العربية ، وبالحاجة الملحة إلى ملء هذا الفراغ منذ جنح بى التخصص العلمى إلى البحث البلاغى والنقد الأدبى منذ عهد بعيد .

ومن نافلة القول أن مؤلفى المعاجم فى كل لون من ألوان المعرفة لم يكونوا هم الذين ابتدعوا تلك الدلالات التى اشتملت عليها معجماتهم ، ولكن الفضل فى ذلك كان لأصحاب تلك العلوم أو الفنون الذين محّصوا مسائلها ، ودرسوها مفصلة فى أبوابها وفصولها بعد أن حصروا مباحثها وموضوعاتها ، وأصبحت ذات ضوابط ورسوم ومصطلحات يعرفها الخبراء بها ·

ولست أحب أن يفهم من هذا الكلام أن أصحاب المعاجم أو دوائر المعارف كانوا بمعزل عن تلك الثقافات التى ألفوا معجماتها ، بل إن العكس هو الصحيح ، إذ أنه لا يستطيع التصدى لاستقراء تلك المصطلحات والكشف عن دلالاتها الخاصة فى لون من ألوان المعرفة إلا من كان حاذقاً فيه ، عالماً بمباحثه عارفًا بأصوله وفروعه ، خبيرًا بمَظَانِّه وأصول البحث فيه ، قادرًا على الموازنة بين الآراء ، ليمخض زبدتها ويستخرج الصالح النافع منها ·

ولابد من الإشارة إلى أننى استعنت فى تأليف معجم البلاغة العربية بجميع ما استطعت الوقوف عليه من أصول البلاغة ومظانها المختلفة منذ بدء التفكير والتدوين فيها ، ثم تتبعت الآثار المختلفة التى سجل فيها الأسلاف خلاصة الجهد الذى بذلوه فى إثراء هذا الفن ، وما أكثر ما خلفوا من ثمرات ذلك الجهد الذى لا يقدره إلا أهل الخبرة والمعرفة ·

واستطعت بالجدّ والصبر أن أجمع المادة العلمية لهذا الأثر ، وأن أنسّقها على النحو التالى :

١ – قسّمت هذا المعجم إلى أبواب مرتبة على حسب ترتيب حروف الهجاء ·

٢ – رتبت المصطلحات والفنون البلاغية فى داخل هذه الأبواب على حسب ترتيب حروف الهجاء أيضًا ، فالهمزة أولاً ثم الهمزة مع الألف ، ثم الهمزة مع الباء ·· وهكذا حتى الهمزة مع الياء وهكذا كان الضبط والتنظيم فى جميع الأبواب التى جعلت حروف الهجاء عناوين عليها ·

٣ - عمدت في هذا الترتيب إلى الأصول اللغوية في كل مادة من مواد المعجم بعد تجريدها من حروف الزيادة ، كما هو متبع في معاجم اللغة التي تراعي الحرف الأول في الكلمات وتجعله الأساس في الترتيب .

٤ - لم أقتصر في هذا المعجم على ذكر الفنون البلاغية ، ولكنني ضممت إليها من حروف المعاني ماقد يتفاوت في الأداء ، وما يؤدي أغراضا بلاغية في بعض وجوه الاستعمال الفني .

٥ - عمدت إلى التعريف الذي رأيت أنه يفي بالحاجة في كل فن من الفنون أو مصطلح من المصطلحات ، وقد راعيت في هذا التعريف أن يكون موجزًا بقدر الإمكان، بشرط أن يبقى الوضوح المنشود في المعاجم ، وقد يدعو حرصي على هذا الوضوح إلى شيء من التفصيل إذا دعت الضرورة إلى جلاء المفهوم .

٦ - قد يكون المصطلح البلاغي واحداً ، ثم تتعدد مفاهيمه عند العلماء الذين يعتدّ بعلمهم ورأيهم . وفي هذه الحالة يتكرر اسم المصطلح في المادة الواحدة بحسب تكرار المفاهيم واختلافها .

٧ - وقد يكون الأمر على عكس ذلك ، فيتحد المفهوم ويختلف اسم المصطلح من عالم إلى عالم ، وفي هذه الحالة تحصى هذه المصطلحات المؤتلفة لمعنى، ثم أضع كل لقب أو مصطلح منها في الموضع الذي يقتضيه تركيب حروفه وترتيبها ، وأكتفي بإيضاح المفهوم في أشهر الألقاب التي عرف بها ، ثم أحيل إليه غيره ، مشيرًا إلى أن هذا هو ذاك ، وقد يقتضي الأمر أن نشير أيضًا إلى اسم العالم البلاغي الذي خالف غيره في تلك التسمية .

٨ - وقد كان لي في بعض فصول هذا المعجم ملاحظات استدركتُ بها على بعض علماء البلاغة ، ولم يسعْني إلا أن أسجلها مسبوقة بعبارة : « قُلْتُ » : فحيثما وجد القارىء هذه العبارة فليعلم أن

مابعدها من تعقيبات مؤلف هذا المعجم .

ولم أرد أن يكون لهذا المعجم الجفاف الذى يحس به قارىء المعجمات المتخصصة، ولذلك بذلت الجهد فى التوضيح الكافى الذى يجد فيه القارىء بغيته من التعرف الواضح على المفاهيم الحقيقية لكل مصطلح من المصطلحات حتى يستطيع أن يستغنى بهذا المعجم عن الرجوع إلى المصادر المتباينة ، ويبعد عن متاهاتها بقدر الإمكان .

* * *

ومضت سنوات طوال ، وأنا أهم بنشر هذا الأثر ، ثم لا ألبث حتى يغلب التردد ، فأحجم عن هذا النشر .

وقد يكون من دواعى العجب أن يكون الباعث على الإقدام على نشر هذا المعجم وثيق الصلة بالدافع الذى كان يدعو إلى الترددوالإحجام عن ذلك النشر . .

لقد كان عامل الإقدام وعامل الإحجام ينبعث كلاهما عن إحساس عميق بضرورة هذا العمل الذى كنت أعده دَيْناً فى عنقى وأعناق غيرى من المتخصصين فى مجالات البحث البلاغى على قلّتهم فى هذا الزمان، وهو دَيْنٌ واجب الوفاء لأمتنا وتاريخها وتفكيرها وتراثها الجدير بالبقاء .

كما كان كلاهما ينبعث عن رغبة صادقة فى أن يكون هذا العمل الخالص لوجه الله والعلم ، ووجه الثقافة العربية وتراثها فى المعرفة ، عملاً ناضجاً وافياً بالمقصود . . وذلك ماكنت أشفق منه على نفسى كل الإشفاق تقديرًا منى لخطورة ما أنا مقدم عليه بعد أن أعددت له عدته من الجد الموصول ، والأناة فى تخطى عقبات طريقه واجتيازها فى سبيل الغاية التى نشدت الوصول إليها .

ولعل من أعظم الآمال التى كنت أمنى النفس بها أن يرى هذا العمل النور وأنا مازلت فى قيد الحياة ، حتى يكون ذلك سبباً من أسباب الكمال الذى نشدته له ، إذا ما أتيح للعارفين أن يقرءوه ، وأن يقفوا على ثغرات نقص فيه ، يستطيعون أن

ينبهوا إليها مؤلف الكتاب ليتداركها ويقِّوم مُنْآدَها ، إذا وقعت عيونهم على نقص فى الاستقراء ، أو خلل فى التأليف .

وذلك مالا أنزّه هذا المعجم أو أى أثر من آثارى المطبوعة عن وقوعه فيه ، فأنا واحد من جملة البشر الذين استولى عليهم النقص ، وإن كنت لم أقصر فى طلب الكمال !

ذلك أنى كنت أشعر دائماً بأن ما أقدم عليه من محاولة إخراج كتاب جامع لمصطلحات البلاغة العربية وأدواتها وفنونها ليس باليسير ، وأن جهد واحد من المختصين لا يستطيع أن يوفيه حقه كاملاً إلا بعناية من الله وعون منه ، لعظم المئونة وفداحة العبء ..

وقد يكون من المناسب فى هذا المقام الذى أتحدث فيه عن تجربتى فى صنعة معجم البلاغة العربية أننى فى سنة ١٩٦٤ م . قدمت أصول هذا المعجم كاملة إلى صديق عربى رأيت أنه يشارك فى الاختصاص ، ليعيد النظر فيه ، ويضيف إليه ما قد يرى أنه غاب عنى ، وشرحت له شفويًا وفى رسائل متبادلة بيننا النحو الذى ينحوه فى العمل كما أراه ، وأعطيته الحق فى أن يضع اسمه بجانب اسمى ، وأن يشرف على طبعه ونشره ، فقد يكون عنده من قوة الجسد ونشاط الشباب مالا أجد . وقد ظلت أصول هذا المعجم بين يديه خمس سنوات كاملة ، ثم كان أن ذهبت إلى بلده العربى الشقيق سنة ١٩٦٩ م مشاركاً فى أحد المؤتمرات العربية التى أقيمت فيه ، وكانت المفاجأة التى لم أكن أتوقعها ، فقد أعاد إلىّ أصول هذا المعجم كما تسلمها ، وقال إن ماصنعته فيه الكفاية والكمال المنشودان ، وأنه لم يستطع فى هذه السنوات الخمس أن يعدّل فى الكتاب شيئًا ، أو أن يضيف إليه فنًا ، فشكرته ، وحملت أصول كتابى معى إلى القاهرة !

لم يبق بعد ذلك أمامى إلا أمران أحلاهما مرّ ، فإما أن أنهض بهذا العبء الذى أشفق منه ، وأحتمل ثقله وحدى ، وإما أن أدعه طعاماً للأرضة والجرذ ، حتى يلفظ آخر أنفاسه ويموت فى مهده إلى الأبد .

ولم أرد أن أقدم هذا المعجم إلى دار النشر التى تقوم بطبع كتبى ، وتحتمل عنى تكاليف الطباعة والإعلان ، فقد أشفقت على صاحبها من التكاليف الباهظة فى إخراج المعجم بالشكل الذى أريد ، ومن الخسارة المحققة التى يتعرض لها ، فكم عدد الذين يعنيهم أن يقتنوا نسخًا من هذا المعجم المتخصص فى ناحية واحدة من نواحى المعرفة التى لا حصر لها ، وهو على كل حال تاجر يجيد حساب الربح والخسارة . .

وأخيراً . . تدركنى عناية الله ، فترحب جامعة طرابلس بالجمهورية العربية الليبية بهذا المعجم ، وتتعاقد معى سنة ١٩٧٤ م . على طبعه ونشره لقاء مكافأة قدرها سبعمائة دينار نقدتنى نصفها ، ومايزال النصف الباقى مع النسخ المتفق عليها للهدايا فى ذمتها إلى الآن !

ثم صدرت الطبعة الثانية فى الرياض سنة ١٩٨١م . ثم الطبعة الثالثة سنة ١٩٨٨م . وكانت جملة المطبوع فى تلك الطبعات الثلاث خمسة عشر ألف نسخة .

وكان مجموع ما اشتملت عليه الطبعة الأولى ٩٠٣ من الفنون والمصطلحات وصلت فى الطبعة الثانية إلى ٩٢٦ وفى الثالثة إلى ٩٤٥ ، وتصل فى الطبعة الرابعة التى تقدم قريباً إلى المطبعة بإذن الله نحو ٩٨٠ من الفنون والمصطلحات البلاغية .

وقد وفق الله إلى هذه الزيادات بإدامة النظر ، ومتابعة البحث والتنقيب فى أصول البلاغة ومصادرها .

ولاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

★ ★ ★

والحمد لله على ماهدى إليه ، وأعان عليه ، وله الحمد فى الأولى والآخرة ، وله الحكم ، وإليه المرجع والمآب .

بدوى أحمد طبانة

عضو المجمع

العامىّ الفصيح
من المعجم الوسيط *

للدكتور أمين على السيد

السيد الأستاذ الدكتور رئيس المجمع

ورئيس المؤتمر ؛

السادة الزملاء الأساتذة أعضاء المؤتمر ؛

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛

وبعد؛ فإن مما يشرفنى أن أتابع البحث فى إخراج « العامى الفصيح من المعجم الوسيط »، وقد سبقت ثلاث حلقات انتهت بى عند حرف الراء فى الأعوام (١٩٩٠ ، ١٩٩١ ، ١٩٩٢) .

وهأنذا أتقدم إلى المؤتمر الموقر فى العام الثالث والتسعين بعد تسعمائة وألف من الميلاد - أتقدم بالقدر الباقى من الجزء الأول من المعجم الوسيط الذى ينتهى بحرف الضاد ، سائلا المولى القدير أن يعين على التمام .

باب الزاى

زئير الأسد : معروف عند العامة .

والموت الزؤام: من هتاف العوام بمصر فى عهد الاحتلال ، كانوا يقولون : الاستقلال التام أو الموت الزؤام .

والزبيب : ما جف من العنب ، من مأكولاتهم .

والزُّبدة : ما يخرج من اللبن بالمخض ، والزُّبدية (مجمعية) ولبن الزبادى (مولد) .

الزبرجد : حجر كريم يشبه الزمرد (مجمعية) وهى من معجمهم .

الزُّبالة : والزبّال : من يجمع القمامة

(*) القى هذا البحث فى الجلسة الثامنة من جلسات المؤتمر، يوم الثلاثاء ٢٨ من شوال سنة ١٤١٣ هـ، الموافق ٢٠ من أبريل سنة ١٩٩٣ .

والزنبيل : القُفّة ، والمزبلة : موضع الزبل ، والجمع مزابل من ألفاظهم ·

الزّبانية : من ألفاظهم ، وكذلك الزبون ؛ وهو الذى يشترى من تاجر ، واللفظ مولد ·

تزتّت العروس : تزينت ، والزّتة : تزيين العروس ·

الزجر : وزجره فانزجر ، زجر الكلب : كفّه ، وزجر البعير : حثه على السرعة – من معجمهم ·

الحمام : معروف ومنه حمام الزاجل ·

الزُّحار : (مجمعية) وهو مرض يتميز بتبرز متقطع معظمه دم ومخاط ويصحبه ألم وتعنٍّ·

الزحزحة : وما يشتق منها عامى فصيح ·

الزحف : معروف عندهم · زحّف الأرض : سواها (محدثة) ·

زحوله عن المكان : أبعده · وتزحول : بَعُدَ·

تزحلف : تزحلق · الزحلوفة : الزحلوقة · ·

زحم : والزحمة وزاحم وتزاحم والزحام·

زخرفه : زينه ، والزخارف والزخرفة من معجمهم ·

الزّريبة : حظيرة الماشية ، معروفة · والمزراب الميزاب · · ·

الزّرد : معروف عندهم · والزّرديّة (محدثة) ·

الزّر : والأزرار · · / والزرع : ومشتقاته · · / والزرافة · واللون الأزرق : / والزورق : / والزرنيخ ،من معجمهمَ ·

زعج : وانزعج وشىء مزعج · /

الزعفران: معروف ·

زعق : صاح .

زعِل من الشىء (محدثة) ·

زعم : الزعم والزعامة والزعيم والمزعوم

من ألفاظهم ٠

زغد فلانا : عصر حلقه ٠

زغر : لم تذكر فى المعجم الوسيط ٠

وفى القاموس المحيط : زغره : منعه ، وهو قريب من العامية ٠

زغزغ : عند العامة معناه : غمزه فى موضع ما ،ليضحك ٠

الزغل : الغّش ٠

وزفّت الشىء : طلاه بالزفت ٠٠

زفزف فلان : ارتعد ٠٠٠

زفّ العروس زفافا وزفة : نقلها من بيت أبويها إلى بيت زوجها ٠٠

زقزق الطائر زقزقة وزقزاقا : صوت ٠٠٠

زقّ الطائر فرخه زقا : أطعمه بفمه - الزُّقاق : الطريق الضيق ٠٠

الزكيبة : الغرارة (مصرية) ٠٠

زك الرجل والفرخ زكا وزككا وزكيكا : مر يقارب خطوه من ضعف ٠

زكم الله فلانا : أصابه بالزكام ٠ الزكام معروف عندهم ٠

الزكاة : تزكية المرشح لعمل ما - وتزكية المال ٠ وإخراج الزكاة معروف عندهم ٠

الزلج : الزلق ٠٠٠

زلزله :هَزَّه وحركه حركة شديدة ٠٠٠

الزلط : الحصى الصغار الناعمُ الململسِ واحدته زلطة (د) ٠

زلف إليه : دنا وتقدم ٠ الزلفى ٠٠٠ المزدلفة ٠٠٠

زلقت القدم ٠٠: زلت ولم تثبت ٠٠

والمزلقان ٠٠ (محدثة) ٠

التزمُّت ٠٠٠ (مجمعية) والعامة تعرفه ٠

زمجر : ردد صوته فى صدره وكان فيه غلظ ٠

زمر زمرا وزميرا : صَوَّت بالمزمار ٠٠

الزمرد : حجر كريم ٠٠ (مج)

زمزم - الزمزمية (مو) ٠

إزميل : آلة من حديد أحد طرفيها حاد ينقر بها الخشب والحجر ٠٠

الـزميـل ٠٠: مـعـروف عنـــــدهـم ٠

زم الحـــذاء : شـده بالـزمام – الـزمـام : أرض ٠

الزمن والزمان : من معجمهم .

الزنبور : حشرة أليمةُ اللسعِ ٠

الزنبرك : ٠٠ الزنبلك ٠

تزنتر : تبختر يستعملونها بمعنى تكبر ٠

الزنجى : من الزنوج

الزنجبيل: معروف ٠

الزنجار: صدأ النحاس ، يعرفونها بالقلب: جنزار .

الزَّنَخُ : تغير الرائحة ٠٠٠

الزِّناد : أداة تدق الزندة فتـشتعل فـيتفـجر البارود (محدثة) ٠

الزنـدقـة : والزنـديق كـل شـاك أو ضـال أو ملحد (مجمعية) ٠

الزنزانة : حجرة ضيقة يحبس فيها السجين على انفراد ٠٠٠

زنّق على عياله : ضيق، بخلاً أو فقراً ٠٠

الزنقة : مسلك ضيق فى القرية ٠٠٠

زنّ عصـبه : يبس واسترخت مـفاصله ٠

وزن فلانا بخير أو: شر : اتهمه به العامة لا تعرف هذه المعانى ، ولكنهم يسـتـعـملون هذه المادة بمعان أخرى فيقولون :

* فلان كثير الزنّ – إذا طلب شيئا بإلحاح

* فـلان زنّ على خراب عـشـه – لمن يفضح أمره بسبب منه ٠

الزنا : معروف شرعا وعرفا ٠٠٠

زهد : وزاهد وزُهّد وزهادة كل هذه ألفاظ فـصـيـحـة جـارية عـلى ألسنة العوام ٠

الزهر : نَوْر النبـات والشـجر ٠ واحـدته زهرة وجمعه أزهار ٠

والجـمع علـى زهور لم يرد فى المـعـجـم الوسـيط ٠ والأزهر معـروف عندهم ،وكذا كـوكب الزُّهَرَة ٠

زَهقت نفسه : خرجت ٠

وزهق الباطل : من معجم العوام من قوله تعـالى « وقل جـاء الحق وَزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا » ٠

زها : وزهوٌ وزاهٍ من معجمهم أيضا ·

زوّج فلانًا امرأة : جعله يتزوج بها ·

وتزوج امرأة : اتخذها زوجة، والزواج معروف عندهم ، والزوج والزوجة وبيت الزوجية كذلك · ومازال بعض العوام يدخلها القلب المكانى فيقدمون الجيم على الزاى فى قولهم : جواز ، وفلان جوز فلانة أو متجوز فلانة وفلانة متجوزة فلان ولكن كثيرا منهم عرفوا الصواب واستخدموه ·

زاح الشيء زوحا : أبعده - أزاحه : نحاه وانزاح : زال وتباعد من معجم العوام ·

الزاد : وزوده وتزود ؛ بمعنى اتخذ زادا كذلك زاره زيارة والزائر (بالياء بدل الهمزة) والزُّوّار وشهادة الزور ، والزير الذى يوضع فيه الماء

والمزار : موضع الزيارة ، وما يزار من قبور الأولياء ···

زاغ وزوغان : مال عن القصد ، ويستعمل العوام هذه المادة فيقولون : فلان زاغ وزوّغ ·

زوّقه : زينه وحسنه ، ومنه زوّق العروس، وزوّق الكلام · وزوّق المسجد وزوّق الكتاب ··

التزويق : التحسين والتزيين ، والزّوّاق : زينة المرأة ،ومن معجمهم : كلام مزوّق ·

ومن معجمهم : الزوال والإزالة والمزولة ·

فلان زام أو يزوم - نظر مُتَغَضِّباً مغمغما بكلام لا يبين - من معجم العامة .

خشب الزان ،معروف عندهم ، وكذلك الزانة ·

زواه - انزوى - زاوية : من معجم العوام .

زيّت - الزيت - التزييت - الزيتى - الزيات - الزيتون . كل هذا من معجم العوام .

زاحه : زاحه - انزاح - أزاح الله علته عامى فصيح .

زاد مال فلان : كثر - زايده : نافسه فى الزيادة ، الزائدة الدودية ، والمزاد كل هذا عامى فصيح .

زاط زيطا وزياطا : صاح وجلب ، وزاط الناس : اختلطت أصواتهم .

والزيطة يكسرون الزاى لتناسب الياء : الجلبة، واختلاط الأصوات - من معجم العامة

زاغ : مال وتباعد . زاغ عن الطريق : عدل . وزاغ البصر : مال

ومن كلامهم : فلان عينه زايغة بالياء بدل الهمزة .

وتزييف النقود ، وتزييف الأختام وغيرها معروف لهم .

الزيق من القماش معروف عندهم أيضا .

زام له فأسكته : فعَل ما يسكته . من معجمهم .

زانه وزينه وتزين والزين الزينة والمزيِّن : الحلاق ، وهى مزيِّنة . يعرفون هذا .

والزى والأزياء من اللباس معروف لهم كذلك .

باب السين

سأله عن كذا سؤالا -وسأله - يسأل - سائل - اسأل - مساءلة - المسئولية - المسئول - من معجم العامة .

السب : سب فلان فلانا : شتمه -
والسبب : كل شىء يتوصل به
إلى غيره - تسبب فى كذا ..

السبت : يوم من أيام الأسبوع .

السباحة ومشتقاتها : سبح يسبح اسبح
سابح سباح . والتسبيح
سبح الله وسبحان الله
والمسبحة ...

والسّباخ : السماد بلغة مصر . والسبخة :
أرض ذات ملحٍ ونَزٍّ لاتكاد
تنبت - من معجمهم .

والسبورة عرفها العوام لحاجة أبنائهم
لاقتنائها .

سبسب الرجل : سار سيرا لينا هذه
لا يعرفها العوام ، ولكنهم
يقولون : سبسب شعره أى
سرحه ، ولعلهم أخذوها من :
تسبسب الماء : جرى
وسال .

سباطة النخل : عرجون فيه ثمرة : مصرية
قديمة ، عربيتها : الكباسة .

السبعة والسبع والأسبوع والسّبوع والسابع
والسباعى، والسبع كل ما له
ناب والعامة يسكنون الباء .

سبقه : تقدمه - سابقه إلى الشىء : أسرع
إليه .

السابق : المتقدم . السابقة (فى القانون)
جريمة تحدث من المكلف
وتسجل عليه . والجمع :
سوابق . ويعرفون صحيفة
السوابق ،والمسابقة بأنواعها .

السباكة والسباك (مجمعية) والسبيكة
والمسبك من معجمهم .

السبلة : سُنبلة الزرع . وابن السبيل .
سبيل الله . سبيل الخير .
ويقصدون بالسبيل ماء الشرب
يقدم للمارة .

السبهلل : الرجل الفارغ . ويقولون :
يمشى سبهللة أى يجى .
ويذهب فى غير شىء وإلحاق

تاء التأنيث أكثر من حذفها عندهم .

الست والستة والستون من العدد : معروف عندهم . والست بمعنى السيدة . .

الستر ومشتقاته معروف عندهم . يقولون - ستر . يستر . استرها يارب - ساتر - ستار . ستارة مستورة .

السجود ومشتقاته من معجم العامة . يعرفون : سجد - يسجد . اسجد . ساجد . والسجادة : البساط يصلى عليه . والمسجد : مصلّى الجماعة .

السجق : معنى يحشى بقطع اللحم (مجمعية) .

السجلّ : معروف عند العوام . يعرفون السجل المدنى . والرسالة المسجلة، ومن كلامهم : عقد مسجل ، ورسوم التسجيل ، حديث فلان مسجل .

الانسجام بمعنى السروز والرضا لم يرد فى لسان العرب ولا فى القاموس المحيط ولا فى المصباح المنير ، ولم يضف هذا المعنى فى المعجم الوسيط . لذا ينبغى إضافته للعلاقة الوثيقة بين هذا المعنى ونزول المطر ، فإذا نزل المطر فرح الناس وابتهجوا وإذا سال الدمع من العين هدأت النفس واستراحت . والمعنى الذى جدّ جار على ألسنة الكثير من الكتاب .

السجن والسجين والمسجون والسجناء والسَّجَّان . . .

السحب والمسحوب والانسحاب والمنسحب، والسحاب والسحابة.

كثير من العوام يعرفون السحت ، ومنهم من يقولون : فلان يأكل السحت ، وهو ما خبث وقبح من المكاسب . والسّحتوت فى معجمهم لكنهم يفتحون السين.

السحسحة : عين سحساحة : كثيرة الصب للدموع · وسحسح الصغير إذا بال من معجم العوام والسحسحة فى معاجم اللغة وقد جاءت فى المعجم الوسيط ·

السحر والسحور · · · ومن كلامهم : فلان يقرأ وِرْدَ السحَر ، والسحر والساحر والمسحور ، معروف لهم ·

مسحوق ومساحيق · · · وانسحق الدواء : اندق · · · ·

الساحل : منطقة من اليابس تجاور بحرا أو مسطحا مائيا كبيرا وتتأثر بأمواجه وجمعها سواحل (مجمعية) وهى من معجم العوام ، ومن (سحل الشيء: سحقه) أُخِذ السحلُ وهو القتل بالسحب على الأرض والجر حتى يموت ·

سخّ فى السير والحفر : أمعن – هذا ما فى المعجم الوسيط ، فإذا قلنا : إن سخّ بمعنى أمعن بصرف النظر عن قيدها بالسير والحفر وجدنا العامة قد استعملوها فقد قالوا : سخّ المطر ، كما نقلوها إلى مضعف الرباعى ، وقالوا سخسخ فى الضحك إذا تمادى فيه وأمعن ، ولم يرد هذا فى المعاجم ·

وأعمال السخرة معروفة عندهم · وكذلك المسخرة بمعنى الهزء ·

ويعرفون السخط بمعنى عدم الرضا ·

والسخف معناه عندهم عدم العقل أو ضعفه ·

والسخام عند العامة : كل شيء ردىء ، وقد اشتقوا منه فعلا وصفة ، وفى المعجم الوسيط: سَخَّمَ الله وجهه : سَوَّده ·

السخونة والسخن والساخن وسخّن الشيء وقد أضاف المجمع كلمة « السخّان » والعوام يعرفون كل هذا ويستعملونه ·

ومن السخاء يعرفون : فلان سَخِيّ ، وفلانة سخيّة .

السد : الحاجز بين شيئين ، والبناء في مجرى الماء ليحجزه . ومن معجمهم : السدّة الشتوية - لماء النيل في موسم الجفاف .

ومن كلامهم : فلان سدّاد ، لا بمعنى مستقيم كما في المعجم الوسيط ، وإنما بمعنى القيام بأمر عظيم ، أو النهوض في حل مشكلة أو تحقيق مصلحة .

والسدس : جزء من ستة أجزاء ، والمسدس : شكل ذو ستة أضلاع متساوية ، وسلاح ناري - من معجم العوام .

السَّدى مقرونا باللُّحمة من معجمهم .

ويقولون : فلان ساذج بمعنى قليل الخبرة والتجربة .

سرّب الشيء : أرسله جزءا جزءا - تسرب الخبر مجاز من قولهم : تسرب الماء بمعنى سال .

السرج : رحل الدابة، وجمعه : سروج، والعامة تنسب إلى الجمع ، فيقولون لصانع السروج : سروجي ، ولا يقولون: سرّاج ، توقيا للبس بصانع السراج ، وكبار السن منهم يعرفون : المسرجة . ويفتحون الميم ، وقد كانت تستعمل قبل مصابيح الكهرباء .

سرّح الماشية : ذهب بها إلى مكان خاص لتأكل .. وسرّح شعره : رجّله ، وسرّح العامل : أخلاه من عمله (محدثة) والمسرح مكان تمثيل المسرحية (مولدة) من معجم العوام ، ومن معجمهم : بيّاع سريح أي متنقل لا مَقَرّ له ، وهم يفتحون السين .

السرداب : بناء تحت الأرض يلجأ إليه من حر الصيف ، وجمعه : سراديب من معجمهم ·

السرادق : معروف عندهم ·

السردين : نوع من السمك يملح ويؤكل أو يطهى · ·

سره سرورا : أفرحه - السر : ما نكتمه ونخفيه · السرة فى وسط البطن · السرير معروف لهم ·

السرعة والإسراع والسريع والمسرع والمتسرع وأسرع وسارع وتسارعوا وسرعان - من معجمهم ·

الإسراف : مجاوزة الحد · وفلان مسرف، وهو يسرف فى المال وفى الكلام وفى الوعود · · ·

السرقة وما يشتق منها مما يجرى على ألسنتهم ·

وشجر السرو معروف عندهم ·

والسروال والسراويل من معجمهم ·

والإسراء وليلة الإسراء والسارية ومنها : سارية العلم ، وعمود السوارى ·

والأسطبة : مشاقة الكتان (معربة)

والمسطبة : التى يجلس عليها وجمعها مساطب من معجمهم ·

السطح والسطوح والمسطوح والسطيح وسطحه وانسطح والسطيحة والمسطح منه أيضا ·

السطر : الصف من كل شىء ·

والساطور: سكين عريض ثقيل ذو حد واحد يكسر به العظم (مولد) ·

والمسطرة ، والمسطرة الحاسبة ، والمسطرين (أداة البناء) (دخيل) من معجم العوام ·

ويعرفون الأسطول والأساطيل ·

وكذلك الاسطوانة والاسطوانات والشكل الأسطوانى ·

السعد والسعادة وسعيد وسعداء وساعده

والساعد والمساعد والسواعد ، كل هذا جار على ألسنتهم ·

السّعر والمسعر والتسعير الجبرى أى تحديد ثمن للسلعة لا يتعداه البائع ، ويعرفون الكلب المسعور ·

سعف النخل : جريده · والإسعاف · وجمعية الإسعاف ، وسيارة الإسعاف ، ورجال الإسعاف ، والإسعافات الأولية (محدثة) من معجمهم ·

السُّعال والسُّعلة من معجمهم ويقولون : سعل ويسعل بكسر حرف المضارعة والسعال الديكى · ·

السعى والساعى والسعاة والمسعى ، وفلان سعى أو يسعى إلى كذا ، ولجنة المساعى الحميدة من العامى الفصيح ·

سفح الجبل : أسفله · وهذا الولد من سِفَاح أى من زنا · والسفّاح من معجمهم ·

السفر ومشتقاته : سافر ، يسافر ، سافر ، مسافر ومسافرة ، وهو كثير السفر · والسفور عكس الحجاب ، والسفير والسفراء والسفارة · كل هذا من معجمهم ·

السفرجل : معروف عندهم ·

وبعضهم يستعمل كلمة سفسطة ويقصدون بها الكلام غير المفيد ·

ويقولون : سفّ الدواء · والسَّفوف : دواء يابس غير معجون ·

ومن معجمهم أسفل ضد أعلى ، وسافل بمعنى نذل خسيس ، ومنه السفالة ·

سفينة وجمعها على سفن ، ومما أضيف إلى معجم كثير من العوام : تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن ·

السفاهة ومشتقاتها كسفيه وسفهاء ، وسفّه رأى فلان ، وتسافه عليه من معجمهم ·

سقط سقوطا : وقع . والساقط : اللئيم
في حسبه ، وهي ساقطة . .
والسقطة مرة من السقوط.
والسُّقط : الجنين يسقط
من بطن أمه قبل تمامه . .

الأسْقُف : رئيس من رؤساء النصارى .
والسقف : غطاء المنزل
وجمعه أسقف . .

سقاه وأسقاه وساقاه ماء أو شرابا - وصلاة
الاستسقاء معروفة ، والساقي.
والساقية أداة ترفع الماء إلى
الحقل (مولدة) والسقّاء
معروف عندهم بالقصر وإبدال
الألف هاء ، ويقولون : أرض
مسقية .والمسقاة من غير
ألف: قناة السقى .

السكوت وكل مشتقاته عامي فصيح .

وكذا مادة (سكر) بمعانيها من العامي
الفصيح .

سكعه : ضربه على رأسه - وتسكّع في
أمره : لم يهتد لوجهته ،
والمتسكع الذى يسير على غير
هدى بدون غرض أو قصد .

الاسكاف : معروف لهم ويضيفون إليه ياء
في آخره ويقصرونه على
من يصلح الأحذية .

سكّ الشيء : سده ، وسك الباب :
ضببه بالحديد ،وسك العملة،
ودار سك العملة ، وسكة
الحديد (محدثة) .

سكن وأسكن وسكّن ومشتقاتها من معجم
العامة ، والسكين معروف
ومنهم من يفتح السين وكذلك
السكينة . ويقولون : فلان
عليه سكِينة- المسكينة
والمسكين والمساكين من
معجمهم.

السَّلَبة : نوع من الحبال وجمعه : سَلَب ،
وهذا من معجمهم .

ويعرفون السِّلاح آلة الحرب في البر والبحر
والجو . . .

ويقولون من السُّلاح : سلَح على نفسه ·

سلخ الجلد سلخا : كشطه ونزعه · والسّلاّخ من يفعل ذلك ، والمسلخة مكان السلخ · والسّلخة : القطعة من الشيء تُسلخ منه · والمسلوخ : ما سلخ · وعرفوا كلمة (سلخانة) ولكنها عربت وحلت محلها كلمة مجزر ، ويقولون : المجزر الآلى ·

السلسلة : حلقات متصل بعضها ببعض : وجمعها سلاسل ، ويقولون قِرْد مسلسل · والمسلسلات مشهورة عندهم ·

سلّطه عليه : مكنه منه وحكمه فيه · والسلطان والسُّلطة والتسلط ·

والسَّلَطة : طعام يعمل من الخضر المقطعة أو اللبن المخيض أوالطحينة مضافا إليه الخل أو الليمون والملح (مجمعية) أخذت من معجم العامة ·

وسَلْطَنَه : جعله سلطانا والسلطنة منه ·

والسلطانية : وعاء من خزف ونحوه يؤكل فيه (مجمعيّة) مأخوذة من معجم العامة ·

السلعة : كل مايتجر به من البضاعة معروفة لهم ·

السّلف والسُّلفة والاستلاف والتسليف ومشتقاتها معروفة عندهم ·

والسِّلف للرجل : زوج أخت امرأته وهما سلفان · والسلفة للمرأة : زوجة أخى زوجها ، وهما سلفتان ، والجمع سلائف والعامة تنطق الهمزة ياء ·

سلَق اللحم أو الخضر بالماء الحار ، وفيه : أغلاه ، دون أن يضاف إليه شىء من دُهْنٍ أو أفاويه - ومطاوعه: انسلق · ويقولون: طعام مسلوق أو سليق ·

وتسلق الجدار : صعد عليه ·

والسلق : بقلة لها ورق طويل وأصل

ذاهب في الأرض ، ورقها
غضّ طرى يؤكل مطبوخا ٠

والسَّلَقون : من معجم العوام
(مجمعية) ٠

السلوك والتسليك والسلك والمسلك
والمسالك والأسلاك ، ومنه
سلك الكهرباء مثلا (مولد)
وهو من معجم العوام ٠

سلّ : يقولون : سل الشعرة من العجين٠
ومرض السّل معروف عندهم ٠

والتسلل وما يشتق منها ، والسّلة ٠
والسّلالة ، والمسلّة من
معجمهم ٠

سلم وسلّم والسلام والإسلام والسالم
والسُّلَّم والتسليم والسليم
والمسلم والمسلمون من
معجمهم أيضا ٠

سلاه : نسيه ٠ وسلاّه تسلية : من
كلامهم ، وسلوى من أعلام
النساء ٠

السّماجة وفلان سميج وسمج
واستسمجه ٠٠٠

السماح والمسامحة والتسامح وبسمح
وسامح ومنامح ٠٠٠

السّمرة والأسمر والسمراء ٠ وسامره وهو
سمير يحسن السمّر ٠
والمسمار والمسامير من
معجمهم ٠

السمسرة والسمسار والسماسرة من معجم
العامة وهو فارسى معرب
السمسم واحدته سمسمة معروف عندهم ٠

المسمط : موضع تقدم فيه أسقاط الماشية
كالكرش والأكارع (محدثة) ٠
أخذت من العامية ٠

السمع والسماع والاستماع وما يشتق منها
معروفة عندهم ٠

السمكة واحدة السمك والسّماك : صائده
أو بائعه ٠

سمك الشيء : غلظه وثخانته
(محدثة) ٠

السمكرى من يصنع الأدوات من الصفيح، ومـن يعـالـج الحـديـد (محدثة) ·

السّم : سمّه وسَمَّمَهُ فتسمم · وحالات التسمم ، ومسامّ الجلد من معجمهم ·

والسّمن والتسمين ، والسمين ضد الغث من معجمهم أيضا ·

اسم وأسماء وسمّاه وتسمى واستسمى ومسمى · · · والسماء معروفة عندهم ·

سنبل الزرع · والسنبل واحدته سنبلة والسنابل · · ·

السّنجة - سنجة الميزان ما يوزن به كالرطل - بفتح السين والعامة تكسرها ·

السنجاب معروف عندهم ·

والسّند والمسند والمساند: كل ما يستند إليه · والسند :صَكُّ الدَّين · ·

والسنـدان : مـا يطـرق عليـه الحديـد (معربة) والعوام يعرفونها ·

السندرة : مكان على سطح الحجرات فى المسكن لحفظ ما لا حاجة إليه فى الاستعمال اليومى (مجمعيّة) ·

السندس : نوع من رقيق الديباج (معرب) وقد نقلت فسمى بها الإناث·

السنط : شجر معروف عند العامة يؤخذ منه القرظ والصمغ ·

سنام الجمل معروف لهم ·

سنّ السكين ونحوه - وسنّ الأسنان : سوكها · والسنة من الصلاة غير الفرض وكذلك الصدقة · والمسنّ بكسر الميم ما تسن به السكين ·

السنة والسنين والسنوات ، والمساناة يغيرونها ويقولون : مسانيّة ·

السهر ومشتقاته من معجمهم والسهّارى
(مجمعية) .

السهل والسهولة من معجمهم .
وسهيل علم من أعلام الذكور
عندهم .

ساهم : شارك . والسهم : النصيب
وجمعه أسهم ، والسهم جزء
من أربعة وعشرين) جزءا من
القيراط ، ويعرفون : شركة
مساهمة .

السهو والساهى وسجود السهو لمن نسى
شيئا فى الصلاة من
معجمهم .

أساء فلان : أتى بسيّىء . وأساء عمله :
لم يحسنه . والسوء : كل ما
يَغُمّ الإنسان ، وكل ما يقبح .
ومن دعائهم : وقاك الله شر
السوء .

الساحة : المكان الواسع ، والفضاء بين
الدور ، وساحة العدالة . . .

السيد والسيدة والسادة والسيادة وسواد
اللون ، واسودّ الشيء إذا صار
أسود ويقولون عن الحبة
السوداء : حبة سودة وحبة
البركة . ويعرفون السودان
والسودانى ، ويفرقون بينهما .

السّور : كل ما يحيط بشيء من بناء
ونحوه ، ويجمع على أسوار ،
وتقترب السين فيه من الصاد .
والسورة من القرآن جمعها
سور .

سوّس الحبّ : إذا أصابه السوس .
السائس : رائض الدواب
ومدربها – ينطقون همزته ياء
ويجمعونه على : سيّاس
والفصيح جمعه على :
سوّاس .

والسياسة والرجل السياسى وسياسة الدولة
معروفة لهم .

السوط ما يضرب به من جلد ونحوه

يبـــدلون الســـــين صـــــادا ويضمونها .

الســـاعـة : جـزء مـن الوقت وإن قل . والليل والنهـار أربع وعشـرون ساعة ، والساعة آلة يعرف بها الوقت ، وساعـة الصـفـر : وقت يحـدد لعـمل عـسكرى ومن كـلام العـوام : سـاعـة لقلبك وساعة لربك .

المسافة معروفة عندهم ، ويقولون : فلان يسـوف فى مـواعـيـده أى : يمـاطل ويكســرون حـرف المضارعة ويعرفون التسويف .

السُّوق : مكان البيع والابتـياع . والسوّاق والسائق بدون همز معروف .

السواك : عـود من شجر الأراك يستاك به أى تنظف به الأسنان ويقولون: المسواك والمساويك .

تسوّل ومتسول والتسول (مولدة) .

المساومة فى البيع والشراء معروفة .

المسـاواة والتسـوية وسواء وسـوىّ وسويّة وسـيـان ، ويسـتـوى ، وهذا يساوى من الثمن كذا . . .

ساب : ذهب حيث شاء . وسيّبه : تركه وخـلاه ، وممـا يجـرى على ألسنتـهم كلمـة التسـيّب ومـشـتـقـاتهـا ، والتسـيب الإهمال .

السياحـة والسائح بلا همز وجمعـه سياح بضـم الســـين ومـنهـم من يكسرها .

السيَّـر بكسر السين من الجلد مـعروف . والسـير والـمسـار والمـسيـرة والمـسيـر بمـعنى المـشى . والمسـايرة بمعنى المـجاراة . والسـيـرة النـبـوية والسـيـارة المعروفة (محدثة) .

السِّيف ويكسـرون سينه وجمعـه سيوف ، والسـياف من يسـتـخدمـه فى القصاص مثلا .

السيل والسائل بدون همز وسال الماء ٠٠
ومرض السيّلان معروف ٠

باب الشين

الشؤم والتشاؤم والمشئوم والمتشائم من معجمهم ٠

وكذلك الشأن والشئون ٠

شبّ الغلام وشبت النارُ وشب النارَ والشاب والشبان والشابة والشابات والشباب والشب والشبة هما الشاب والشابة ٠ كل هذا من كلامهم ٠

والشبت : نبات معروف لهم ٠

تشبث بالشيء ، وهو متشبث برأيه من كلامهم لكنهم يجعلون الثاء سينا ٠

الشبح معروف عندهم وجمعه أشباح ويعرفون الفعل : شبّح ومضارعه يشبح ولكن المعنى المقصود عندهم غير وارد في المعجم لأن معنى التشبيح عندهم الخطف والأخذ بكل وسيلة ٠

الشبر : ما بين طرفي الخنصر والإبهام ٠
والشّبّور : البوق ٠
والشبورة : الضباب في الصباح (محدثة) ٠

الشبرقة من معجم العامة ويقولون : فلان يشبرق على فلان بمعنى يغدق وينفق عليه ، ويقولون : هذه شبرقة بمعنى متعة ، اللفظ فصيح والمعنى لم يرد ٠

الشّبوط : نوع من السمك يعرفه العوام ٠

الشّبَعُ : عندهم بفتحتين ، وصوابه بكسر ففتح ويقولون فلان شبع بكسرتين ويشبع بكسر حرف المضارعة ، كما يقولون : شبعان وشبعانة ٠

شبك وشبّك وتشابك واشتبك ٠ والشَّبكَة والشباك والشُّبْكَة للخطْبة (مجمعية) والمشبّك : نوع

من الحلوى (مولدة) والمشبك
ويفتحون الميم (مجمعية) ·

الشبل والأشبال من معجم العامة عرفوها
في النشاط المدرسى ،
وعرفوها فى حديقة الحيوان ·

الشبه ومزيداته ومشتقاته من معجم العامة ·

شتّت الأشياء : فرقها والشتات : التفرق
والأشتات · · ومن معجمهم:
أشتاتا أشتاتا · وربنا يشتت
شمل الأعداء ·

شتل الزرع شتلا ، والشتلة : النبتة :
تنقل، والمشتل الأرض يبذر
فيها البذر ، ثم ينتقل - جاء
فى المعجم الوسيط أن هذه
محدثة وكأنها أخذت من ألسنة
الزراع وأضيفت إلى متن اللغة
تطبيقا لمبدأ المجمع بفتح باب
الوضع للمحدثين ·

الشتم والشتيمة ويقولون : فلان شتام ·

الشتاء : مقصور عند العامة وهو أحد
فصول السنة ·

الشجب : بمعنى الاعتراض على شيء
وإدانة القائل به مما شاع فى
معظم البلاد العربية ·

الشجر والتشجير والمشجر والشجار
والمشاجرة من معجمهم ·

الشجاعة والتشجيع والشجاع من معجمهم
وبعضهم يجعل الشين سينا ·

الشجن : الحزن ، ومن أعلام النساء
أشجان وشجون ·

شحب وشحوب وشاحب من كلامهم ·

شحث والشحّاث : السائل الملحّ فى
السؤال ، والثاء تاء عندهم ·

شحّ وشحيح من معجم العامة ·

شحذ والشحاذ : السائل الملحّ ويبدلون
الذال تاء ·

ويعرفون الشحرور ولكنهم يفتحون أوله ·

شحّطت الآلة : نفد وقودها وكادت تتعطل
(مولدة) ·

شحّم الآلة : لينها بالشحم · والتشحيم
معروف عندهم وكذلك
الشحم ·

شحن السيارة ونحوها : حملها وملأها ·
وهى مشحونة والشّحنة ما
تشحن به السفينة ونحوها
وبعضهم يضم الشين · ومن
معجمهم : بينهم مشاحنة
أو مشاحنات · ويعرفون
الشحنة الكهربية ·

شخَب اللبنُ : خرج من الضرع له صوت
– وشخب الدم من الجرح ·
والشَّخب والشُّخب : الدفعة
من اللبن عند الحلب ·

شخّ عندهم تُرَادِفُ بال أو تغوط والمعنى
الأول وحده هو الذى ورد ·

شخّر شخيرا بتضعيف الخاء يقصدون به ما
يصدر عن النائم من تردد
الصوت فى حلقه ·

شخشخ القشّ : سمع له صوت
كخشخش · · · ·

الشخص والأشخاص والشاخص
والشخصى والشخصية
والأحوال الشخصية والبطاقة
الشخصية من معجمهم ·

شدّ ، وشدّد ، وتشدد ، واشتد والشداد
والشد والشدة والشديد من
كلامهم · والمِشدّ (مولدة)
وهو نطاق تشده المرأة على
بطنها ليدقّ ·

الشادوف معروف عندهم (كلمة مصرية قديمة)

الشدق : جانب الفم مما تحت الخدُ
معروف عندهم ·

الشادى : المغنى وطالب العلم والأدب
ومن الأعلام شادية وشادى ·

شذ وشذوذ وشاذ وشذاذ من معجم
العامة ·

شـرب · أشـرب ·شـرّب · تشـرّب · استشـرب · الشارب والشـاربة والشراب والمشروب ،والشُّربة: الحسـاء (محـدث) والمِشرب والمشـربة : إناء يـشـرب منه ويفتحون الميم ·

شـرح · شـرّح · انشــرح · التـشـريح والشريحة والشرائح بدون همز والمَشرحة (محدثة) ·

الشـرخ : انشـقـاق الحـائط ونحـوه دون الفصل معروف ·

شـرد · شرّد · تشرّد · الشارد · المتشرد (محدث) ·

شـرذمـة وشراذم وتشرذم – يبـدلون الذال زايا ·

الشر : السوء · والشـرار والشرر من النار أو الكهرباء · والشّرير بضبطها الصحيح من معجم العامة ·

هو شــرس وهـى شـرســة ،وأشــرس وشـرسـاء بالقـصـر وهاء بدل الألف (شرسة) والشراسة ·

شرشر السكينَ ونحـوها : جعل فى حدها أسنانا (محدثة) والشرشرة : المنجل الصغير (مولد) ·

شرط الجلد : شقه · شرط عليه : شارطه. واشـتــرط عليـه كـذا · والـشّرط والشّرطـة والشّرَطـة والشـريط والمِشـرط والمِشـرطة بفتح الميم عند العوام ·

شرع وشـرّع والشرع والشريعة والتـشريع، والشُّرّاعة (محدثة) والشّراع، والمشروع (مولد) ·

الشـرف : علو المنزلة · شريف وأشـراف وشرفاء والأشراف والمشرف · والشّرفـة : بناء خـارج من البيت (مجمعية) ·

شروق الشـمس · شَرِق فلان بالماء: غص– بكسر الـشين والراء ، شرّق : أخذ فى ناحية الشرق ·

شركة ومشاركة وشارك ومشارك وشريك واشتراك واشتراكية من معجمهم ·

الشرم وشرّمه وانشرم وتشرّم من معجمهم ·

يقولون : فلان شره ، وهى شرهة ·

اشتراه : أخذه بثمن · والشارى : المشترى، ولا يعرفون الشارى بمعنى البائع ولا بمعنى من يبيع نفسه فى طاعة الله ·

شطب الكاتب الكلمة : طمسها عدولا عنها (مولد) · والقاضى الدعوى : حذفها من جدول القضايا بلا حكم فيها لسبب قانونى (مجمعية) شَطَّب العمل : أنهاه (مجمعية) · والشطب (فى اصطلاح الدواوين) تقييد المصروفات فى الدفاتر لإسقاطها من جملة المبالغ المعتمدة فى الميزانية (مجمعية) والشَّطْبة : خط يمدّ على الغلط الواقع فى المكتوب (مولدة) ·

شطَح فى السير أو فى القول : تباعد واسترسل (مولد) · وليس هذا معجميا ·

الشاطر فى العامية : الماهر فى عمله ، وفى الفصحى الخبيث الفاجر · وكثيرا ما يكتبون فى برقيات العزاء : نشاطركم الأحزان ·

شطت الدار : بعدت · شطّ فى الحكم جار ·

شطّط واشتطّ : بالغ فى الشطط ، والشط : جانب النهر ·

شطف الثوب : غسله (مولد) · ولِمَ لم توضع الشطافة هنا ؟

الشيطان معروف عندهم ومنهم من يكسر الشين ·

شظية وشظايا يعرفها العوام من المتفجرات ·

الشعب والشعوب والشُّعبة والشعَب ·
شعبان ، ومن معجمهم: مطالب الشعب ، وأصابت فلانا نزلة شعبية ·

الشعوذة والمشعوذ يقلبون الذال زايا ·

والشّعر والشّعر والشعور وشاعر وشِعار السفرِ أو الحرب والشعرة ·
والشعرية (محدثة) والشعير والمشعر والمشاعر - كل هذا من معجم العوام ·

شعشع الضوء والإشعاع والأشعة والشعاع من معجمهم ·

الشّعفة عندهم : شدة البرد وهذا المعنى ليس فى المعجم الوسيط ولكنها فيه : المطرة الخفيفة تبل وجه الأرض ، ولا بأس بإضافة المعنى الأول ·

الشُّعلة : فى موقد الغاز ، وفى بدء المهرجان والدورات الرياضية وغيرها · ومن كلامهم : فلان شعلة نشاط أو شعلة ذكاء ·

الشعانين : عيد مسيحى يقع يوم الأحد السابق لعيد الفصح يحتفل فيه بذكرى دخول السيد المسيح عليه السلام بيت المقدس ·

الشغب - شاغب مشاغبة والمشاغبين من معجمهم ·

الشاغر : الخالى يعرفها كثير من العوام ·

مشغوف بكذا ومشغوفة به من معجمهم ·

شغل الدار :سكنها · اشتغل وانشغل وتشاغل والشّغّال والشغالة (مجمعية) والشغل،وهو خالى شغل أى عاطل، والمشغول ، دار مشغولة بها سكان ، ومنصب مشغول - من معجمهم ·

الشفشاف من الثياب ونحوها الذى لم يحكم نسجه والعامة تطلقه على كل ثوب يشف عما تحته والشفاف معروف لهم ·

شفع لفلان : كان شفيعا له . وشفّعت فلانا . والشفيع والشافع والشفاعة ، وحق الجار بالشفعة من معجمهم .

الشفق : حمرة بعد غروب الشمس ، والشفقة : الحنان ، والشفيق والمشفق ،وأشفق عليه : عطف وخاف عليه . . .

ينطق العوام الشفة : شفّة بكسر الشين وتشديد الفاء ويجمعونها على: شفايف ، ويقولون : أحمر شفايف ، وبعضهم يعرف الامتحان الشفوى والامتحان التحريرى - دار الشفاء يقصرونها ويبدلون الألف هاء، ويدعون للمريض بقولهم : شفاه الله - والمستشفى (محدثة) وهو معروف عندهم ويجمعونه على مستشفيات .

يقولون : شَقَّحت النخلة إذا بدت الحمرة أو الصفرة فى البسر وفصيحها: أشقح .

الشُّقْدُف : مركب أكبر من الهودج يستعمل فى السفر .

الأشقر : من معجمهم ، وهو من أشْرِب بياضه حمرة . وهى شقراء يقصرونها ويبدلون الألف هاء فيقولون شقرة .

من كلامهم : الفجر شقشق بمعنى ظهر ، وهذا المعنى ليس فى المعجم الوسيط ، وهو تعبير مجازى من : شقشق الجمل أى هدر ، أو :شقشق العصفور ونحوه أى صوت .

الشقف بتسكين القاف : الخزف أو مكسّره، والشقّاف صانعه والجمع عندهم : شقافة ، وكوم الشقافة معروف .

شق الأرض : حرثها ، وشق الثوب :

قطعه من جيبه . وانشق بمعنى انصدع . وتشقق الجدار : تصدع . والشق : الصدع . وعمل شاق : فيه مشقة والشَّقة جزء من البيت تنفرد غالبا بسكناه أسرة (مجمعية)

الشقيق : الأخ من الأبوين وهى شقيقة .

الشقاوة والشقّى وهى شقية من معجم العامة .

الشكر بمعنى الثناء ومشتقاته يجرى على ألسنتهم .

شاكس فلان فلانا : أغضبه ، وهو مشاكس والشكاسة سوء الخلق وسوء المعاملة من كلامهم .

الشك : التردد . شك الشىء : خرقه . وفلان شكّاك أى كثير الشّكّ .

الشكل معروف والإشكال فى القانون (مجمعية) وشكال الدابة : قيدها ، والمشكل : الأمر الملتبس . كل هذا من معجمهم .

ومن معجمهم : فلان شكم الظالم أى رده بقوة كأنه سدَّ فمه بالشكيمة . ومنه قولهم : اشكمه أو اشكمها يا فلان .

شكا ، اشتكى ، وتشكّى ، والشاكى والشكوى : الشكيّة ، والمشتكى من معجم العامة .

شلّحه : عرّاه من معجمهم وهى فصيحة .

شلشل : من ألفاظهم ولكن معناه بعيد عن المعاجم فالعوام يستعملونه لتحريك اليدين فزغا أو حزنا وهذا معنى الشلشلة عندهم فاللفظ فصيح والمعنى جديد .

الشلل : معروف عندهم وهو تعطل فى حركة العضو أو وظيفته ، والشلال فى مجرى النهر كذلك .

اشمأزّ من كذا اشمئزازا وهو مشمئز من العامى الفصيح .

دخلت فى كلامهم الشماتة والشامت
وتشميت العاطس من معجمهم .

شمّر وتشمّر بمعنى جدّ واجتهد فى أمره .

الشُّمروخ من معجمهم ولكنهم يفتحون الشين .

الشمس - شمّس الشىء - تشمّس : تعرض للشمس ، والشمسية .
والشمّاس : من يقوم بالخدمة الكنَسِية ، والشموس بالصاد من معجم العوام .

والشمط من معجمهم ولكنه بمعنى الضرب وليس واردا فى المعاجم .

والشمع والشمعة والشماعة والشمعدان (د) معروف لهم .

الشّمل والشّمال والاشتمال والشمول والشّملة من الثياب يتلفع بها معروفة .

الشملول عندهم بفتح الشين الماهر فى عمله ، وفى المعجم الشملال: السريع الخفيف ،
والشملول : عرق من الرمل ، وغصن من الشجرة .

الشم : إدراك الرائحة - وشَمّ الخبر : أدرك طرفه - وشمّمه الطيب : اشتمه . الشمّام : الحادّ الشم، ونبات ثمره مستطيل وقشره مخطط قوى الرائحة (فى المعجم الوسيط).

والمحدثون استعاروا الشنب للشارب واستعملوه فيه حتى تناسوا الأصل .

تشنّج - التشنّج - متشنج وينطقون هذه بكسر الميم وسكون التاء على طريقتهم .

شنّع ، يشنّع بكسر حرف المضارعة إلا الهمزة فإنهم يفتحونها ، والشُّنعة والتشنيع والشناعة بنطق عربى فصيح .

الشنق وشنقه : قتله مشنوقا معلقا بحبل حول رقبته ، والمشنقة ويفتحون الميم وجمعها مشانق (محدثة) .

المشنّة : ينطقونها فصيحة بكسر الميم وهى وعاء يوضع فيه الخبز ونحوه ويتخذ من خوص أو نحوه (مولد) ·

شهد : يكسرون الشين · وكذلك فى شهادة ويقولون شاهد زور ، وشهيد الحرب ومشهود وشهداء، والشّهد بفتح الشين : عسل النحل ،والمشهد والمشاهد والمشاهدة والمشاهدون والمشاهدات من معجمهم ·

شهر العقد : وثقه فى الشهر العقارى (محدثة) وعامله مشاهرة أى بالشهر واشتهر الأمر : انتشر والشهر أحد شهور السنة،والشهر الحرام ، ومصلحة الشهر العقارى (محدثة) وحب الشهرة · والشهرية : ما ينسب إلى الشهر ، والمرتب ونحوه ، والشهير والمشهور من معجمهم ·

الشهيق : الصوت الشديد ، والشهيق إدخال النفس إلى الرئتين · وشهق يفتحون الهاء منها : من معجمهم والفصيح بكسرها ·

شهّل الأمر : أنجزه والتشهيل والتشهيلات من معجمهم ولم يثبتها المعجم الوسيط مع أنها مستعملة كثيرا · وفى لسان العرب : الشَّهْلاَء : الحاجة،يقال قضيت من فلان شهلائى أى حاجتى ، فكأن واضع « التشهيلات » أخذها من « شهلاء» فمعنى التشهيلات : قضاء الحاجات وإنجازها ·

الشهم والشهامة من العامى الفصيح ·

الشهوة والشهية والشهىّ والشهوانى والمشهيات واشتهى ويشتهى بكسر حرف المضارعة إلا الهمزة فتفتح-مما يجرى على ألسنة العامة وهو فصيح·

الإشـارة إلى شيء والمـشـاورة فى أمـر
والشورى والمشورة والشُّوار :
متـاع البيـت وجهاز العروس
والمشوار والمستشار (محدثة)
وهى من فصيح العامة

شـوّش · والـتـشـويـش · والشاش :
نسـيج رقـيـق تضـمـد
الجـروح، ويستعـمل لفـافـة
للـعمـامـة (مولد) ·

الشَّوط : العدْو مرة إلى الـغاية · والعامة
تضم الشين ·

شاف : نـظر · ومضارعـه يشوف بكسر
حرف المضارعـة إلا الهمزة ،
فإذا أمـروا أتوا به على الأصل
وقالـوا : شوف ولم يحـذفوا
عـين الأجـوف مـع سكون
لامه·

الشـوق : بضم الشين وشـوّقه واشـتاقـه
والمشـتاق والمـتشـوّق بإدغام
التاء فى الشين من معجمهم ·

الشـوكـة والشـوك بضم الشـين عندهم
والأشـواك وهى ما يخـرج من
الشجـر أوالنبات دقـيقـا صلبا
محدد الرأس كالإبر ، والشوكة
من أدوات المائدة بـضم الشين
عندهم أيضا (محدثة) ·

شال الشيء : رفعه · وشوّل لَبَنُ الناقة :
قلّ · والشـال : رداء يوضع
على الـمنكبـين ويلـف على
الصـدر ، أو يوضع عـلى
الرأس، ونسـيج رقـيق يلف
عـمامـة · وشـوّال · عاشـر
شهور السنة الهجرية - هذا من
معـجم العامة ولم تذكـر كلمة
شّوال وهـى معروفـة عندهم
وبه لون شـوال دقيق أو شوال
سكر مـثـلا ، والشوال غـيـر
عـربى وجـاء فى المـعـجم
الوسيط (وهـو عـند الـعامة
شـوال) (مع) (مادة جوالق)

شوّن الغلة ونحوها : خزنها (مولد)
والشونة : مخزن الغلة
(معربة) والعوام يضمون
الشين ، وإذا جمعوا كسروا
الشين .

شوّهه فتشوه . وشيء مشوّه من
معجمهم .

شوى اللحم . والشوّاية : آلة الشّيّ
(مجمعية) وانشوى والشيّ
جيد واللحم المشويّ - كل
هذا من معجم العامة .

شيء وأشياء ومشيئة من معجمهم ولكن
منهم من يكسر الشين من
شيء، ومنهم من يفتحها
ويسهل الهمزة ويدغمها في
عين الكلمة فيقول مثلا : شيّ
غريب .

فلان شاب . وهو شائب بياء بدل الهمزة
والشيب بياض الشعر معروف
عندهم .

شاخ الإنسان : أسنّ - والشياخة
(محدثة) والشيخ والشيوخ
ومنه : شيخ البلد وهو دون
العمدة في القرى .

الشيش : من الألعاب الرياضية . وشيش
النافذة يحجب الشمس ويدخل
الهواء - الشيشة معروفة
عندهم .

شاط : قارب الاحتراق - شيّط الشيء :
جعله يشيط .

شاع الشيء : انتشر . شاعت الدار :
كانت مشتركة لم تقسم ، شيّع
فلانا : ودعه ، ويقولون:
تشييع الجنازة ، والإشاعة،
والشيعة : جماعة ، والواحد:
شيعي . والشيوعية مذهب
معتنقه : شيوعي لا دين له .

الشيك معروف عند العوام وقد وضع بعد
تعريفه رمز (ج) وهذا خطأ
صوابه (مج) .

الشيال : الحمّال – الشّيالة : حرفتُه أو أجرتُه · وشال الشيء : رفعه من معجمهم ·

الشامة : العلامة · والمشيمة ما يخرج مع الجنين عند الولادة ، والشيمة والشيم ، ومن كلامهم : شيم الكرام ·

الشّين من معجمهم ولكنهم يكسرون الشين ·

باب الصاد

صب الماءُ فانصب : انسكب ، وصب الماءَ على اليدين · والصبابة : الشوق ومن كلامهم : فلان مغرم صبابة · ومنه أيضا : من المنبع إلى المصب ·

صباحة الوجه : جماله · والصباح والصبح وصبّح والصابح بمعنى الطازج من كلامهم (محدثة) ومن كلامهم أصبحنا وأصبح الملك لله · واصطبح ، والصباحية : صبح ليلة الزفاف (محدثة) وقد يحذفون ألف المد ·

الصبر ومزيده والمشتقات··والصبار نبات : معروف عندهم ، وكذلك الصبر وهو عصارة شجر مر · ويغيرون فى نطقهم بالأصبع تغييرات كثيرة ·

صبغ الثوب والصباغة والصبّاغ والصبغة والصّبغ والمصبغة ·· يعرفون هذه المفردات وتقرب الصاد عندهم فى النطق من السين ·

الصابون (دخيل) وأخذوا منه الصبّان والصبّانة والمصبنة ·

الصبى والصبيان ، والصبية والصبايا من معجمهم ·

الصحبة والصحابة والمصاحبة والاصطحاب وما يشتق منها من كلامهم ·

صح الخبر ، وصحت الصلاة ، وصح المريض ، وصح العقد ،

وصحت الشهادة ، وهو صحيح ، وصحح الخطأ ، والصحة ، والمصحة : مكان يعالج فيه المرضى (محدثة) ·

الصحراء عندهم مقصورة ، وقد تبدل الألف هاء ·

صحصح بمعنى انتبه من معجمهم وفى المعجم الوسيط صحصح الأمر : تبين ·

من معجمهم : صحيفة سوابق - والصحف والصحافة وفلان صحفى أى يزاول حرفة الصحافة والمصحف غلب استعماله فى القرآن الكريم ·

الصحن : إناء من أوانى الطعام (مجمعية) ، وتجمع على صحون وأصحن · · ·

صحا النائم - يغيرون فيقولون : صحى بكسرتين · وفى القاموس المحيط : صحى كرضى - فلعل (صحى) بالكسرتين منها وكسرت الصاد تبعا لكسرة الحاء ·

الصخب معروف عندهم ·

·الصخر والصخرة والصخور معروفة عندهم أيضا ·

الصدأ للحديد ونحوه من المعادن مستعمل بمشتقاته عند العوام ولهم فيه تغييرات كثيرة ·

صُدّ فلانا عن كذا أى امنعه واصرفه عنه ، وهذا يصدّ عن كذا - والصديد معروف عندهم ·

صدر الأمرُ ، وأصدر الأمرَ ، وصادرت الدولة الأموال : استولت عليها عقوبة لمالكها · تصدر فلان واستصدر الأمر · والصادر والوارد (محدثة) والصدار ثوب يغطى به الصدر والعوام ينطقونها سديرى بكسر السين والدال وياء قبلها كسره فى آخره · والصدر والمصدر والمصدّر من معجمهم ·

الصداع وصدّعه · وتصدع من معجمهم أيضا ·

الصّدغ : جانب الوجه ولكنهم يغيرون حركة الصاد فمنهم من يفتحها ومنه من يكسرها ويقتربون بالصاد من السين ، ويجمعونها على أفعال ·

صادف فلانا : لقيه من غير توقع · والمصادفة من كلامهم ويعرفون الصدّفة ولكن المعجم الوسيط لم يقرها · والصَّدَفَةُ فى بعض الحيوانات المائية معروفة ·

الصدق فى الحديث والوعد والنصح والأمانة وهو صادق والصداقة والمصادقة والصديق والتصديق وصداق المرأة · والصَّدَقة ، وتصدّق عليه من معجمهم ·

صَدَمه · صادمه ، تصادما · اصطدما – هذه ومشتقاتها ومصادرها مستعملة عند العامة ومن محفوظاتهم : الصبر عند الصدْمة الأولى ·

الصراحة والصريح والتصريح وهم صرحاء بقصر الهمزة وإبدال الألف هاء · ويقولون : صرّح بكذا · والتصريح بمعنى الإدلاء ببيان عن أمر سياسى، والإذن بعمل ما ممن يملك الإذن (محدثة)·

الصراخ والصريخ ومنهم من يبدل الصاد سينا والصاروخ المستعمل فى الحرب (مجمعية) ·

الصرة معروفة عندهم وصرة الغداء : قطعة من قماش يلف فيها الطعام لمن فى الحقل · وأصر على الأمر : ثبت عليه · والصرصور معروف عندهم ·

الصراط من معجمهم ·

الصّرع والصراع والمصارعة من معجمهم

وبعد تعريف المصارعة ذكر
أنها (محدثة) .

صرف وصَرّف وتصرّف والصرّاف
والصِّرافة والصّرف بمعنى مبادلة
عملة بعملة (مجمعية)
والصِّرف :الخالص من كل شيء
والمصرف : البنك، والمصرف:
قناة لصرف الماء الزائد بعد ري
الأرض- معروف عندهم .

الصارى: عمود يشد عليه شراع السفينة . .

المصطبة : بناء غير مرتفع يجلس عليه
وجمعها مصاطب .

الصعوبة والصعب والصعبة والتصعيب
والاستصعاب . والعملة
الصعبة من معجمهم .
وبعضهم يفتح الصاد فى،
الصعوبة .

صاعد وصُعود ومصعد « مجمعية »

وصعّد الحرب : زاد فى
حدتها (محدثة) تصعّد ،
مصاعد وصعيد مصر من
معجمهم .

الصاعقة وصعقه التيار الكهربائى من
كلامهم .

صغير وأصغر وصغّره وصغر بضم الصاد
والصغيرة من الذنوب واحدة
الصغائر من معجمهم .

صفح عنه : عفا عن ذنبه . صافحه :
حياه يدا بيد وهما يتصافحان .

والصفائح : رقائق من الحديد تصنع منها
الأوعية وغيرها (محدثة)
والصفيحة وعاء من الصفيح
يحمل فيه الزيت أو البنزين أو
غيرهما (محدثة)
والمصفَّحة: سيارة مكسوة
بصفائح الفولاذ لحمايتها
(محدثة) أيضا .

صفّر : صوَّت بفمه وشفتيه - صفّر
الثوب: صبغه بصفرة .

واصفَّر الزرع فهو أصفر وهى صفراء ·
وصفر ثانى شهر من السنة الهجرية.والصفر معروف عندهم ودرجة الصفر وساعة الصفر · ·

صفصف عند العوام له معنى لم يذكره المعجم الوسيط وهو قلة عدد الشيء فى مكان ما ·

الصف والصفوف وتصفيف الشعر اصطفاف الجنود - معروفة عندهم ·

الصفقة من البيع والشراء والتصفيق وقد يحدث فيه قلب مكانى بوضع القاف موضع الفاء وإبدال الصاد سينا · وأكثرهم يقول تصفيق ·

صفا الجو وصفَّى الحساب وصفَّى الشركة (محدثة) ·

اصطفاه وتصافى الشريكان والصفو والصفاء والصفوة والصفىّ والمِصفاة وهم يفتحون الميم ويخذفون لام الكلمة ويقولون: مصفة ·

الصفر معروف عندهم ·

الصقعة : شدة البرد · ولكنهم يبدلون الصاد سينا ·

الصلابة والصلب والصليب والمصلوب وصلب وصلّب وتصلب ·· هذا من معجمهم ·

الصالح والصلح والصلاح والمصالحة · والصلاحية (محدثة) ·
والمصلحة : المنفعة ،
ومصلحة الضرائب (محدثة) ·

الصلصال معروف عندهم وكذلك صلصلة الجرس ·

صَلْطَحه : بسطه وعرّضه والمصلطح : المنبسط المعرّض - معروف عندهم ·

الصلَع والصلْعة والصلاعة والأصلع من معجمهم ·

صلى عليه : دعا له بالخير . والصلاة : الدعاء والعبادة المخصوصة .

والمصلَّى : مكان الصلاة وفراش يخصص لها . من معجمهم .

ومن معجمهم . إذا كان الكلام من فضة فالصمت من ذهب .

ومنه أيضا : الصمد المقصود فى الحوائج ويحفظون « الله الصمد » .

وبعضهم يقولون : صَمْصَمَ فى كذا بمعنى صمم ، وهى فصيحة .

والصومعة والصوامع : أبنية لخزن الحبوب (محدثة) .

الصمغ معروف عندهم والصمَّاغة قارورة أو نحوها فيها صمغ يلصق به الورق (مجمعية) .

صمل للعمل : صبر لمشقته واستمر فيه (محدثة) فهو صامل والصمولة معروفة عندهم (محدثة) .

الصملاخ : إفراز الأذن (مجمعية) .

الصمم : فقدان حاسة السمع . والصميم الخالص فى الخير والشر .
ومصمم أى ماضٍ فى أمره بعزيمة صادقة والتصميم على شىء معروف عندهم .

الصَّنوبر شجر يزرع لخشبه وللزينة وهو شجر جبلى . .

الصندوق: معروف . ومن المحدث : صندوق الدَّين ، وصندوق البريد وصندوق التوفير .

الصندل (معرب) وهو معروف عند العامة وهو خف بنعل متين له سيور من الجلد يثبت بها فى القدم وخشب الصندل كذلك .

الصِّنارة : حديدة معقفة تربط بخيط يصاد بها السمك .

صنع الشىء : عمله والصناعة والصانع

والمصنوع والتصنيع والمصنع
والمصنّع واصطنع وتصنيع
والصنعة والصنيع والمصانعة
من معجمهم ·

صنف الأشياء : جعلها أصنافا والصنف
من الشيء : ضرب منه متميز
والتصنيف من معجمهم ·

الصنم من المفردات المعروفة عندهم
والأصنام جمع·

الصُّنان : الريح الكريهة يعرفونها
ويحرفونها ·

صاهرهم وأصهر إليهم : تزوج منهم
والمصاهرة معروفة لهم ،
وكذا الصهر والأصهار والحديد
المصهور ·

الصِّهريج وهو عند أكثرهم بفتح أوله
وقلبه سينا والجمع عندهم :
سهاريج ·

صهل الفرس صهيلا من مفرداتهم ·

أصاب : لم يخطىء · وأصابه شر ،
والإصابة ، وصوّب سلاحه
نحو الهدف ، وصوّب الرأى
لم يخطئه واستصوبه وصوّبه ،
والصواب من مفرداتهم ،
وكذلك الصوب ولكنهم
يضمون الصاد · والصوبة :
مزرعة زجاجية (محدثة)
والمصيبة والمصايب بالياء
عندهم·

الصوت : المسموع · والصوت فى
الانتخاب (محدثة) .
« الصيت ولا الغنى » من
كلامهم · والصيِّيِّت بمدة قبل
آخره عندهم: الحسن
الصوت، والفصيح بلا مدّ ·

صوره : رسمه · تصوّر والمتصوّر
والصورة وصورة الحكم
التنفيذية (مجمعية)
والمصوِّر : محترف التصوير ·
والمصوِّرة : آلة التصوير -
بعضهم يعرفها·

الصائغ عندهم بالياء : من حرفته الصياغة

والصيغة والمصاغ : الحلى المصوغة ·

الصوف والملابس الصوفية · والمتصوفون والطرق الصوفية من معجمهم ·

صام · والصوم بِضَمّ الصاد ، والصيام ، وفلان صايم بالياء بدل الهمزة وهو صوّام وصيّام من كلام العامة ·

يصون الأمانة ، ويصون العرض ، ويصون حاجاته : يحفظها · وحجر الصوّان معروف لهم ·

الصبّاح معروف عندهم ·

صاد والصيد والمصيدة والصائد بدون همز والصياد واصطاد وتصيد · ·

الصيدلة والصيدلية والصيدلانى من معجم العوام ·

صار وصيّر ومصيّر وتصيير من معجمهم أيضا ·

صيَّف بالمكان : أقام به صيفا · والصيف أحد فصول السنة ويكسرون الصاد ، ويحرفون كلمة المصيف لمكان الاصطياف ، فيقولون : مَصْيَف ·

صال عليه صيالا : اعتدى والفعل المضارع يصيل مستعمل عندهم بكسر حرف المضارعة ·

الصينية : ماعون من الخزف أو نحوه توضع عليه أوانى الطعام أو الشراب لتقديمها ويجمعها العامة على الصوانى ·

باب الضاد

من معجمهم : ضئيل وضئيلة وضآلة ومتضائل والتضاؤل ·

الضأن من الغنم ويقولون فى لهجتهم : ضانى ·

الضباب معروف ، وكذلك ضبة الباب من حديد أو خشب ، والضبّ حيوان من جنس الزواحف يكثر فى صحارى البلاد العربية ·

الضابط لقب فى الجيش والشرطة ، ومن
العوام من يجعل الضاد ظاء ·

الضبع : جنس من السباع معروف عندهم
ويسكنون الباء فى وسطه ·

ضج والضجة والضجيج معروف أيضا ·

فلان ظهر عليه الضجر أى الضيق
والتبرم ·

ضجع وضاجع واضطجع وانضجع ضجعة ·
هذه معروفة - وبعضهم يجدث
فيها قلبا مكانيا فيقدم الجيم
على الضاد ·

ضحك ، ويكسر العوام الضاد فى الفعل
الماضى وفى المصدر ،
ويكسرون حرف المضارعة من
المضارع · ومن معجمهم :
حكاية مضحكة ينطقونها
صحيحة فصيحة

المضحّى والضحية وعيد الأضحى ، وفلان
ضحى أى : ذبح ضحية ·
وضحى بنفسه أو بعمله أو
بماله: تبرع به بدون مقابل
(محدثة) ·

الضخم : العظيم الغليظ - ضخّمه :
جعله ضخما - والتضخُّم
فى الاقتصاد (مجمعية) ·

الضد أى المخالف · ·

الضرب وما تصرف منه من معجمهم
ويعرفون : ضرب بالعصا
وضرب المثل وضرب الأرض
وضرب الحصار على الأعداء،
كما يعرفون الإضراب
والمضاربة والاضطراب ·
وضربة الشمس (مجمعية)
والضريبة عن المال ،والضريبة
من الأرز ·

الضريح : المقبرة · · ·

ضرّ فلانا : ألحق به مكروها ، واضطره إلى أمر : أحوجه وألجأه · وتضرر به أو منه · الضرر · الضرير والضرورة والضرورى ، والمضرة ، الضرة للزوجة الثانية وبعضهم يضم الضاد - كل هذا من معجمهم ·

الضرس من الأسنان ، وضرس العقل من معجمهم ·

ومن معجمهم : تضرع فلان إلى الله أى دعا وابتهل ، ومنه : الضرع ، ويقولون : ماله زرع ولا ضرع ·

تضعضع جسمه : خف وضعف · وضعضعه الفقر أو المرض : أخضعه وأذله · · ·

الضّعف والضّعف والمضاعفة والتضعيف والضعيف والضّعفان وأضعفه وضعفه وضاعفه - كل هذا من كلام العوام ·

الضغط · · · وضغط الدم ، والضغط الجوى (مجمعية) ·

الضغينة : الحقد الشديد ، والضغائن بالياء بدل الهمزة من العامى والفصيح بالهمزة ·

الضفدع والضفادع · · ·

الضفيرة : خصلة من الشعر تضفر على حدة · ·

الضَّفّة من النهر أو البحر أو الوادى : شطه وساحله · ·

الضلع والضلوع والأضلاع ، وفلان ضليع فى كذا أى : قوى · · ·

ضل يضل بكسر حرف المضارعة ، والضلال ، والتضليل وضلله يضلله بكسر حرف المضارعة ·

ضمّد الجرح : نظفه وغطاه برباط أو غيره والتضميد والضمادة · · ·

الضمور والضامر والضمير وما يؤخذ منها من معجم العوام ·

ضم الشىء إلى الشىء ، وانضمامه إليه والضمة . . .

الضمانة والتضامن والضامن والمضمون والضمين - هذه من ألفاظهم .

الضنك : الضيق والشدة - معروف لهم .

الضنين : الشديد البخل - من كلامهم .

ضاهأ بتسهيل الهمزة والمضاهاة ، وهذا يضاهى هذا - من معجمهم .

اضطهده : أذله وظلمه والاضطهاد والمضطهد من ألفاظهم .

الضوء والضياء والأضواء والإضاءة كذلك .

الضوضاء معروفة عندهم .

ضاع الشىء ضياعا ، وضيّعه تضييعا ، والمضيعة : الإهمال ، والضَّيْعة كل هذا من معجمهم .

الضيف والضيوف ، ودار الضيافة ، وضيّف : أضاف ، والإضافة وانضاف واستضاف وتضايف . والمضيفة : موضع الضيافة ، وفى الطائرة مُضيف أو مُضيفة يقوم على خدمة الركاب (محدثة) .

ضاق وضايق وتضايق والضّيق والضَّيِّق من معجمهم .

الضيم : الظلم أو الإذلال .

ضامه : ظلمه أو أذله ومن كلامهم المأثور : الكريم لا يضام .

وهذا آخر ما جاء فى الجزء الأول من « المعجم الوسيط » من « العامى الفصيح » وقد أوجزت فى كثير من المواد اللغوية ، وتركت بعض المعانى لوضوحها .

وإنى لأسـأل الله أن يهيىء لى من أمـرى رشدا ، وأن يعيننى على السير قدمـا حتى أقـدم ما يصلح أن يكون أساسـا لمعـجم العامى الفصيح . وحسبى أنى وعدت من قبل ، وهأنذا أسير على الدرب وأحاول الوفاء .

والله من وراء القصد .

أمين على السيد

عضو المجمع

* * *

شواهد أندلسية وغيرها للعناصر الحميرية فى العربية*

بحث

للدكتور فيدريكو كورينتى كوردوبا

من المشهور الغنى عن البيان أن جميع القبائل العربية منتسبة إما إلى عدنان ، وهى المضرية التى موطنها الأصلى شمال الجزيرة وأوساطها ،وإما إلى قحطان ، وهم أهل حمير القاطنون أول أمرهم فى جنوبى الجزيرة من اليمن إلى عمان وما يليهما ، ومنهم بدو وحضر ، وإليهم تنسب الدول الحميرية المشهورة ، أى ممالك سبأ ومعين وحضرموت وقتبان وأوسان ، التى لعبت دورا تاريخيا هاما جدا فى الحضارة والتجارة ، والفلاحة والملاحة ، والسياسة والعمارة ، حتى قضت المقادير بأفول سعدها فتعرضت لفتن خضدت شوكتها ، ودهتها أزمات اقتصادية وسياسية أتت على أخضرها ويابسها وانقرضت تلك الدول وتفرق أهلها أيدى سبأ كما جاء فى المثل المضروب بهم وتبدى الكثيرون منهم وربما زاحموا العدنانيين على سباسب شمال الجزيرة ونجادها ، فى حين أن بلاد الجنوب التى لم تعد تحميها جيوش ولا ملوك كشأنها آنفا أمست عرضة لغارات البدو العدنانيين الطالبين للغنيمة أولا ثم للكلأ لا غير ، فتجاور العنصران العدنانى والقحطانى فى كل صُقع من أصقاع جزيرة العرب وحتى فى بادية الشام وسواد العراق ، وربما اختلطا بعض الاختلاط نسلا ومعيشة على الرغم من تباغضهما المتوارث كابرا عن كابر ومن تمسكهما بأنسابهما وعصبيتهما ، مع تمضر الحميريين اللغوى التدريجى سواء

* ألقى هذا البحث فى الجلسة الثامنة من جلسات المؤتمر يوم الثلاثاء ٢٨ من شوال سنة ١٤١٣ هـ الموافق ٢٠ من أبريل سنة ١٩٩٣

منهم الباقون فى الجنوب والمهاجرون إلى الشمال ٠

هذا ما جاء فى كتب التاريخ والأنساب ، ولا يفوتنا أن بعض المؤرخين العصريين الإيجابيين منذ أيام المستشرق المجرى كَولد تسيير يقفون من هذه الأخبار موقفا مفرطا فى الانتقاد مشيرين إلى ما يتخللها من عناصر أسطورية غاضين النظر عما لا ريب فيه من إفادات تثبتها شواهد لا تقل حجية من أخبار أخرى يعتمدها جميع المؤرخين فى أيامنا هذه ، والحقيقة الجلية أن الأدلة على صحة لب أخبار النسابين لكثيرة فإن أقدم المصادر التاريخية من يونانية ولاتينية بل من آكادية وفرعونية الراجع بعضها إلى الألف الثانى قبل المسيح مجمعة على إنبائنا بوجود هاتين الأمتين من العرب فى جزيرتهم ، وأما ما نشأ واشتهر من الأحقاد والحروب بينهما فيما قبل الإسلام وبعده فلا يمكن عزوه إلى مجرد صلة عاطفية بماض بعيد ، فضلا عن خرافة قد يصدقها بعضهم دون بعض ٠

ولكننا لم نأت اليوم هذه الدار الحافلة بالعلماء لنرد بضاعتهم إليهم ولم نقصد الإتيان بجديد فى علم التاريخ الذى لسنا من أهله ، مع احترامنا الكبير لهم ، وإنما قصدنا الإشارة إلى بعض المعطيات اللغوية التى قد تساعد المؤرخين على ضبط بعض ظروف العرب الاجتماعية قبيل الإسلام وبعده ، وهى معطيات معروفة فى أكثر الحالات ، إلا أنها مهملة الذكر فى النقاش العلمى الحديث ، إما لاحتقار شأنها على غير استحقاق ، وإما لعدم تحليلها الضرورى لاستخراج عواقبها البالغة الأهمية ٠

ومن الجدير بالملاحظة بل بالتعجب أن الدراسات حول التداخل اللغوى بين العرب العدنانيين والقحطانيين لم تحظ بعناية كبيرة على خلاف شأن الفوارق بين كلام الحجازيين والنجديين مثلا ، التى وصفها أشهر النحاة واللغويين العرب القدماء، ثم عالجها المستشرقون من أمثال كوفلير ورابين وفليش ، وقس على ذلك الفوارق بين الفصحاء

من العرب وبين إخوانهم المنبوذين بالأنباط الذين يلمح إلى أنواع لحنهم فى مصادر قديمة كثيرة ، كما أشرنا إليه فى مقالتنا « على هامش كتاب الأغانى » الصادرة فى العدد ٢٠ سنة ١٩٧٥ ص ٣٨ - ٦١ من مجلة الدراسات السامية البريطانية ، بينما قل ما نجد تفاصيل عن لغات اليمن وخصائص كلام القحطانيين ، إن استثنينا المعلومات النادرة وغير الواضحة أحيانا حول الجيم غير المعطشة اليمنية ، والطمطمانية الحميرية ولخلخانية عمان واستعمال طى لذو عوضا عن الذى وغير ذلك قليلا مما يصعب تحليله ومقارنته وتقييمه ، فكأن الدارسين القدماء والمحدثين لم يروا كبير فائدة من إلقاء الأضواء على مظاهر تمضر القحطانيين أو على تأثيرهم اللغوى فى المضريين ، مع أنه لا شك من الأمرين ، أى أولا من أن عربية القحطانيين على الأقل لم تخل من التأثر بالحميرية ، وثانيا من أن الحميرية هى الأخرى لم تخل من نصيب من التأثر بالمضرية كما ينعكس فى المراحل الأخيرة من كتابات المسند وفقا لأبحاث المتخصصين من أمثال ميلر وهوميل وكونتى روسينى وهوفنر وريكمنز ونامى وغيرهم .

وكيف لا تتأثر العدنانية بكلام الحميريين الذين ازدهرت حضارتهم فى جنوب الجزيرة وانتشرت مستعمراتهم التجارية ، لا سيما مستعمرات أهل معين فى شمالى الجزيرة وما وراءه ؟ ناهيك من ذلك بأن النقوش الثمودية واللحيانية والصفوية المتفرقة فى شمال الجزيرة والشام مع كونها عدنانية اللغة هى مدونة بالمسند ، أى ، بالأبجد الحميرى ، وفى هذا برهان قاطع على أن تأثير حميرَ الحضاريَ فى شمالى الجزيرة كان بعيد المدى فى بعض الفترات ، ولا غرو فى ذلك ، فإن كان تأثير الروم والفرس فى جزيرة العرب قد أدى إلى بعض التداخل فى نطاق المعجم على الأقل ، مع كون اليونانية واللاتينية والفارسية مستغلقة على العرب ، فكيف لا تتأثر لغتهم المضرية بالحميرية مع كونها قريبة جدا منها وأختا شقيقة لها ؟ إن هذه بديهية لا ندعى السبق إلى إدراكها ،

إذ قد سبقنا إلى ذلك المستشرق الألمانى ايفالد فاكَنير فى مقالته الصادرة فى العدد ١٢من مجلة اللسان الألمانية سنة ١٩٦٦ التى أومأ فيها إلى وجود عناصر يمنية فى لهجات المغرب والأندلس ، على أن فى بحثه انحرافا منهاجيا خطيرا لاعتباره اليمنيين موصلين متوسطين لا غير بين الأحباش والمغرب العربى ، وليس الأمر كذلك وإنما غره ما بين الحميرية والحبشية من مصاقبة وتشابه طبيعى بين الأم والبنت .

ونحن عندها أمعنا النظر فى أخبار النحاة العرب القدماء وفيما يؤكدها من فوائد مستخرجة من مقالات دارسى اللهجات العربية الحديثة لم نلبث أن اكتشفنا أن العرب قبل الإسلام كانوا ينتمون لغويا إلى أربع طوائف، منها طائفتان فصيحتان ، أى، تميم أو قيس من ناحية، والفصحاء من أهل الحجاز من ناحية أخرى ، ومنها طائفتان غير فصيحتين وهما العرب المسمون بالأنباط فى الشمال والعرب الحميريون فى الجنوب وكلاهما بعيد من معايير الفصاحة ، أما المنبوزون بالأنباط ، وليس جميعهم من ذرية الأنباط الصحاح بل إنما سموا بذلك لازدواجيتهم العربية والآرامية ، فلعدم سلامتهم من الخلط بينهما كلاما وكتابة ، ، وأما الحميريون فلحداثة عهدهم بالمضرية، إذ كانوا قبلئذ لايتكلمون بغير الحميرية ، ولا أدل على عدم فصاحة هاتين الطائفتين من خلوهما من الشعراء فى الجاهلية ، على خلاف شأن المضريين ، لا سيما منهم أهلُ نجد من تميم وقيس وإخوانِهم المضريين الأقحاح .

وبما أننا قد أومأنا ، فى المقالة المذكورة أعلاه وفى مقالة أخرى صدرت فى العدد ٢١ سنة ١٩٧٦ ص ٦٢ - ٩٨ من نفس المجلة حول مناهج النحاة واللغويين العرب القدماء ، إلى الفوارق بين كلام الحجازيين والنجديين كما تناولنا فيها موضوع العربية المسماة بالنبطية ، وهى فى نظرنا أم العاميات الحضرية الحديثة فليس بصددنا اليوم أن نعيد الحديث عن تينك

القضيتين ولكننا نريد أن نركز جهودنا فى ذكر العلاقة بين كلام العرب القحطانيين المضرين والعربية الفصحى ·

ولا يخفى علينا أن هذه قضية علمية غير خالية من الخطر لما يغلب على ظنون الكثيرين من علماء اللغة العربية من العرب والعجم أولا من أن العربية الفصحى كادت أن تكون لغة مضر الصميمة بنت أمها السامية الأولىٰ التى لم تَشُبْها قط شائبة من الاختلاط بلغات أخرى سامية أو غيرها ، وثانيا من أن اللهجات الحديثة ليست سوى فروع منحطة من الأصل الفصيح غير محتوية على فوائد ثمينة وأضواء مشرقة على تطور كلام العرب فى الجاهلية والإسلام ، وهذان فى نظرنا رأيان مخطئان معاكسان للحقائق المثبتة عيانا ولمبادىء علم اللغة الحديث الذى يقضى على كل لغة بالتطور الداخلى وبالاقتباس من جاراتها ومداخلتها على مختلف الدرجات ·

ولقولتنا إن فى الفصحى عناصرَ قحطانيةً داخلتها نتيجة لاختلاط الأمتين أدلةٌ لامعة وبراهين قاطعة ، منها أن سيطرة الحميريين فى الجزيرة طيلة قرون وشيوع كتابة المسند فى كلها ما كان ليخلو من تأثير حضارى ولغوى عميق فى نفس الوقت ، ومنها أدلة أخرى أقوى متولدة من دراستنا للغة العربية نفسها ولأختيها الحميرية والحبشية وبناتها اللهجات العربية المحدثة ، لا سيما منها اللهجات الغربية المتشربة بالعناصر القحطانية وخصوصا اللهجة الأندلسية المتميزة بفرط محافظتها على خصائص كثيرة تقادمت وسقطت من أخواتها العصرية ، وذلك لأجل كون كثيرين من غزاتها قحطانيى الأصل ممن قد تمضرت لغتهم نوعا ما إلا أنهم لم يزالوا مميزين بملامح حميرية فى بعض كلامهم أحيانا ، كما سنبينه فيما يلى ·

ففى مستوى الأصوات الذى هو أدنى مستويات البنية اللغوية كان بعض القحطانيين مثلا يفتحون ما قبل الواو أو الياء الساكنتين ، يدل على ذلك ورود رسوم مثل « ايس » و « جير » و « حين » بمعنى الإنسان والجير والحين فى كتابات

المسند ، مع ثبوت عدم استعمال حروف المد فيها ، فتسبب ذلك فى وقوع كلمة الحَيْن بمعنى الموت فى الفصحى وفتح العين من الثَوْم والرَوْز والصَوْف واللؤلؤ فى الأندلسية كما ينعكس مثلا فى القشتالية القديمة aleules أى اللآلىء

وكان بعضهم يدغم النون فى الحرف التالى ، كما ينعكس فى قول الأندلسيين « ات » عوضا عن « أنت » و « كِتَّرى » عوضا عن « كنت ترى » ،ولذلك ما نجد فى أسماء الأماكن القشتالية العربية الأصل صيغا مثل Mazaleón, Mazalquivir, Mazarrazín ، أى منزل العيون والمنزل الكبير ومنزل بنى رزين ، بدون أى أثر من النون، وذلك مثل ما نجد فى الحميرية القديمة عند قولهم « بَتهَوْ » عوضا عن « بنته » أو « إسان » عوضا عن « إنسان » على خلاف شأن المضريين المحققين لها فى جميع الأحوال ، ما عدا قولهم « عم صباحا أو مساء » عوضا عن « أنعم »

ولعل ذلك من بوادر تأثرهم بجيرانهم القحطانيين .

وكان بعض أهل الأندلس أول أمرهم ينطقون بالضاد الجانبية القديمة التى لم يحتفظ بها غير أهل مهرة والشحر وسقطرة الناطقين إلى أيامنا هذه بلهجاتهم الحميرية المحدثة ،وهو صوت بين الظاء واللام ينعكس فى الألفاظ القشتالية alcalde, albayalde , rabalde ، أى القاضى والربض والبياض (بمعنى أبيض الرصاص) .

كما كان بعضهم ينطق بالجيم غير المعطشة ، وهى من ملامح كلام القحطانيين المشهورة ، يتبين ذلك من طريقة نقلهم لاسمى نهر تاجه وبلاد جليقية وهما Tagus و Gallaecia باللاتينية .

وربما كانوا ينطقون بالغين عينا بجوار الراء ، كقولهم الجعرفية عوضا عن الجغرافية أو ربما حذفوا العين من أواخر كلامهم كقولهم اليرا والنطا ومتى عوضا عن اليراع والنطع ومتاع ، وهى مميزة

للهجة حضرموت القديمة وللهجة المهرية الحديثة .

وكان القحطانيون ولا يزال بعضهم يميلون إلى الخلط بين الميم والباء ، فلذلك ما تردد أهل الأندلس بين القنم والقنب وملولب وملولم ، الأمر الذى ينعكس فى قول الإسبان almotacén, alacràn بمعنى المحتسب والعقرب، أو ربما حذفوا الميم إذاما قاربت حرفا شفويا آخر فلذلك ما قال العرب الإنْفَحة والإرْزَبّة والإشفى عوضا عن المنفحة والموزبة والمشفى التى هى أصولها ، وقد ضربنا أمثلة أخرى لمثل هذه الظواهر فى بعض مؤلفاتنا المختصة بهذا الميدان وفى مقالتنا حول الخصائص القحطانية فى كلام الأندلسيين المدرجة فى الكتاب التذكارى المهدى لحاييم بلانك ص ٩٤ - ١٠٣ .

وإذا انتقلنا إلى المستوى الصرفى وجدنا فى كلام الأندلسيين أوزانا شاذة بالنسبة إلى مقاييس الفصحى مع أنها متمكنة فى الحميرية أو فى بنتها الحبشية ، كاستعمالهم لوزن فعالىّ عوضا عن فعّال للمبالغة ، كقولهم التيّانىّ لبائع التين واللحّانىّ للكثير اللحن والبيّازىّ لمربى الصقور والزجّالىّ لقائل الأزجال ، وهو وزن اسم الفاعل فى الحبشية وفى بعض اللهجات العربية الحديثة القحطانية التأثر كقولهم القذّافىّ لمجيد الرماية ، وقد ذكر صاحب المغنى شاهدا له بالعربية العليا وهو « والدهر بالإنسان دوّارى » .

ومن تأثرهم بالحميرية أيضا إلحاقهم التاء بضمائر الغائب المنفصلة ، أى هوت وهيت وهمت ، وفتحهم عين المضارع والماضى على السواء عوضا عن كسر إحداهما كقولهم لبَس يلبَس وكسَر يكسَر على عادة الأحباش ، وكذلك تصريفهم للفعل المعتل كالصحيح كقولهم « نستحبب » و « نختيل » و « نوعد » عوضا عن استحب واختال واعد ، وهو كثير فى الحميرية والحبشية ، على خلاف عادة القحطانيين فى إسقاط الياء من صيغ مثل « جُنَت » و « عُطَت » عوضا عن

« جنيت» و « أعطيت » ، وهـى ممـيـزة لطي ولكلام الأندلس معا ٠

ولعل من هذا الباب أيضا وجودَ أفعال كثيـرة على وزن التفعيل بدون مـبالغة فى مـعانيـها ، مـثل تسمـية بعض المـلائكة بالمُعَقّبات وتفسيرها الحافظون من « عقب » الحـميـرية بمعنى الحفظ ، وشـرح هذا أن المضارع فى الحـميرية إنما يفـرق فيه بين مجزوم مقابل للمنصوب والمجزوم المضريين ومـشـدد مـقـابل لـلمـرفـوع المضـرى ، وافتراضنا أن القـحطانيين خلطوا تصريفهم هذا بالتصـريف المضرى فاخـتلطت عندهم وعـند مـقـلديهم صيغ الفـعل الثـلاثى المجرد والرباعى المشدد العين ، وقد وجدنا فـى الأنـدلسية مـا يشـهد بـذلك كـقولـهم « حـمّـيت » و « عـرّف » و « مـؤنّن » عوضا عن الأفعـال المجردة المعروفة ، إلى غـيـر ذلك مما لا يسـعنا تفـصـيله تفـاديا للإسهاب الممل ٠

وفى مسـتوى النحـو ، أى ، تركيب الكلام فكثـيرا ما كـانوا يستـعملون أدوات غـير مضـرية صيـغـة أو وظيـفة ، كقولهم « كمـا » على حسب روايتى سيـبويه وابن الأنبـــارى بمـعـنى « لكى » على غـــرار الحميـرية والحبشية ، أو يؤخرون ضـمير الفصل إلى مـا بعد الخبر كقـولهم « حرام هو » أى هو حرام ، أو « الـبرد هو »، أى الطقس بارد ، وهو تركـيب مـعـهـود فى الحبشية ٠

وأخيرا فيما يتعلق بالمعجم الأندلسى ففيه عدة ألفاظ مـعدومة أو غريبة جدا فى الفصـحى مع أنها عـادية فى الحمـيرية أو الحبشية ، كالأرخة وهى العجِلة ، والبَلَس وهو التـــين ، والعـرُوج وهـو الطلوع ، والضَـمْــد وهو النيـر ، والوضـــافـة وهو المقلاع ، والعُقاب وهو الكلب الحارس ، وفيها دليل كاف على أن اليمنيين الداخلين الأندلس أبقـوا بعض المعـجم الحمـيرى على الرغم من تمضرهم ٠

إلى هنا عرضنا لبعض خصائص كلام الأندلسيين الدالة على أن القبائل القحطانية الأصـل التـى دخـلـت الأندلس ، ومنهـا المشهورة من أمثال الأوس والخزرج وغسان وهمــــدان وطى ومـــذحج وعنس ومـــرة

وخولان ومعافر وجذام ولخم وكندة وهوزن وقضاعة وكلب وحضرموت وغيرِها بناء على معلومات ابن حزم فى جمهرته ، لم تكن متمضرة تماما ، إلا أن استنتاجنا هذا من هذه المعطيات التاريخية واللغوية لا ينحصر مداه فى الأندلس وإنما يجب تطبيقه على سائر البلاد المفتوحة غربا وشرقا بل على جزيرة العرب بعينها ، إذ منها خرجت تلك القبائل المحافظة فى كلامها على بقايا من اللغة الحميرية المتوارثة من أجدادها والتى لم تقم المضرية مقامها إلا تدريجيا وبصورة غير تامة على مايبدو.

عند الوصول إلى هذه النقطة ونظرا لما يترتب على افتراضنا من العواقب التاريخية والاجتماعية مما لا ينبغى حمله على غير محمله ، يجب أولا أن نحدد مدى نظريتنا تحديدا مضبوطا ، وثانيا أن ندلى بالحجج المساندة لها إدلاء جليا .

أما ضبط حدود نظريتنا فعلينا أن نبين بكل وضوح أننا لا نميل إلى الظن بأن العربية لغة مختلطة من عناصرِ عدنانية وقحطانية على حدٍ سواء ، وإنما مذهبنا أن كلام المضريين لم يسلم من التأثر بكلام الحميريين نتيجة لمخالطتهم إياهم ، فربما اقتبس منه بعض معجمه أو ربما احتفظ بعض الناطقين به ببعض ملامح الحميرية التى تكلموا بها من قبل من صوت أو صرف أو نحو ، ومنه ما كتب له البقاء ونسب إلى معايير الفصاحة ومنه ما ارتاب فيه النحاة أو اللغويون فاستنكر ونسب إلى الركاكة أو اللحن فلم يبق فى غير العاميات أو سقط عن ألسنة العرب تماما .

أما الحجج المساندة لنظريتنا هذه فإنها مستخرجة بالطبع ، كما قد تبين ، من مراجع اللغة العربية لا سيما كتاب سيبويه ومؤلفات كبار النحاة واللغويين العرب من العصور الوسطى إلى أيامنا هذه ، فليس غير سيبويه بنفسه مثلا الذى يصف لنا نطقا للضاد مخالفا لنطقها فى التجويد مماثلا لمقابلهافى اللهجات الحميرية الحديثة من مهرية وجبالية وسقطرية ، وفى هذا دليل على أن الضاد الحديثة ، على اختلاف أنواعها عند البدو والحضر ، ليست الضاد

العربيـة الأصلية التى لم يحتفظ بهـا سوى بعض القـحطانيـين ، إلى غـيـر ذلك من معلومات صوتية وصرفية ونحوية ومعجمية ينبئنا النـحاة واللغويون القـدماء بوقوعـها أحيانا فى العربية مع كونها غير معهودة فى كـلام المضـريين وكونـها مـميـزة لكلام الحميريين فقط .

ولعل أهم الحجج وأقطعها على التأثر بالحميرية موجودة فى المعجم العربى بعينه، ولا نعنى بذلك الآن مـقتـبسـاته الحميريةَ المـسلّمَ بها منذ قـديم ، كاسم التـاريـخ الـذى هـو حـساب الزمـان بالأقـمـار من كلـمة «ورخ» وهو القمر عندهم ، أو كلفظة المَوْثَبان المطلقة على الملك غير المحارب ومـعـناه القَـعَـدى لكون الوثـب عندهم كـالقـعود ، ولا نعنـى هنا أيضـا أسمـاء الأعلام الـحميـرية الأصل مثـل شرحبـيل وشراحيل ومعناهما « أراح الله » و «رحب به الله» بالتوالى ، بل نشير إلى نتـائج بحثنا الأخير فـى المـتـرادف من المـعـجـم العربى ، فقد تصفحنا القواميس العربية وقـيدنا مـا تتـضـمنه من المـترادفـات ، فـسرعـان مـا لاحظنا أنهـا كلما وُجِـدَتْ لفظتان لـمدلول واحد فكثـيرا مـا شاكلت إحداهما لفظا ساميا شـماليا آراميا أو عبريا إلخ ، فى حـين أن الثانـية صـادفت لفظا حمـيريا أو حـبشـيا . كـقولهم المـأجل والجب ، والتـأجـير والـكراء، والبيـعـة والكنيـسـة ، والجـبل والطور ، والودى والنهر، والهبة والإعطاء، والورود والنزول ، والوثن والصنم، والحزب والملة، والحلف والإيلاء ، والحمد والشكر أو التـسبيح ، والحماية والـستر ، والتكميل والتـتميم ، والمعـز والعنز ، والنخل والدقل، والنسر والعـقـاب ، وأسـفل وتحت، وبغـيـر وبلا، وفوق وعلى ، والـصحيـفة والكتاب إلى غير ذلك مـما لا نرى استقصاءه ونقتنع منه بمـا قل ودل ، وحسـبنا ذلك مجـالا للتفكير .

صفـوة القول ومغـزاه أن الحمـيرية، وهى لغة حضارة عربيـة صميمة حرية بأن يفتخر بها جميع العرب ،ولم تتلاش بدون أثر ، كـمـاظن بعض الناس ، إذ إنهـا ، بقطع النظر عن إمكان اعتبارها أمًّا للمهرية

والجبالية والسقطرية ، ما زالت تعيش فى المئات من الألفاظ التى اقتبستها منها العربية المضرية بصيغتها الفصيحة أو فى لهجاتها المحدثة وفى بعض العشرات من الملامح الصوتية والصرفية والنحوية التى اعتمدها النحاة ونسبوها إلى معايير الفصاحة أو وجدت سبيلها إلى إحدى اللهجات الدارجة فبقيت إلى يومنا هذا ·

وليس الاعتراف بهذه الحقيقة فى رأينا مقللا لفضل لغة مصر العظيمة الشأن العزيزة علينا ، وكيف يضر الشريف الحسيب أن يكون كما قال امرؤ القيس مع شرف والده مُعَمًّا فى العشيرة مُخْوَلا ؟

وإلى هنا حديثنا ، ونشكركم على حسن صبركم ، والسلام

فيدريكو كورينتى كوردوبا

عضو المجمع المراسل من أسبانيا

* * *

حولَ صياغَة « فَعُول »
من الفعلِ « نقَل »
صفَةً لِمَا يُمكن نَقلهُ أو انتقَالُه
للأستاذ / أحمَد شفيق الخَطيب

سيادة الرئيس

أيها الزملاء الكرام

فيْ الإنكليزية – وهى اللغة التى نترجمُ معظَمَ مصطلحاتنا العلمية والفنية والهندسيَّة عنها – مئاتٌ من الصفَات التى تَنْتهِى بالكاسعة « able- » او أحد شكلَيْها الآخَرَيْن « ble - » و« ible - » .

وإلحاقُ هذه الكاسعة (بالأفعال خاصَّةً) يُكسِبُ اللفظةَ الجديدةَ معانىَ مُختلفةً ، لكنّ مُتقاربةَ المَدلول ، تُجمِلُها المعاجَمُ الانكليزيَّةُ (*) بالمَضامين التالية :

قادرٌ أو مُقْتدرٌ (على) ، فى وسْعِهِ

able to

(أو إمكانه) أن ، له طاقةٌ (على)

or capable of

صالح (لِـ) ، قابِلٌ (لِـ)

fit for

من طبْعهِ (أن)

given to

من صِفاته أن

having qualities of

ميَّال أو نَزوع إلى

tending to

عُرضة لِـ ، يُحتمل له أن ،

يمكن أن . . . . إلخ — liable to

وكان مجمعُ اللغة العربيَّة آتخذ هذه ألف وصل عليها رأسى صاد صغيرة ليست همزة مدّ أو قطع (ن ، د) اتَّخذَ قراراً بتَرجمة هذه الكلمات بالفعل المُضارع المَبنى للمجهول ، فيُقال(*) :

يُذاب مُقابل	soluble,
أو	dissolvable
ويُؤكل مقابل	edible
وقياساً	
يُصْهر مُقابل	fusible
ويُنْقَل مُقابل	movable
أو	portable
أو	transferable

(*) ألقى هذا البحث فى الجلسة التاسعة المنعقدة صباح يوم الأربعاء ٢٩ من شوال سنة ١٤١٣ هـ الموافق ٢١ من أبريل (نيسان) سنة ١٩٩٣ م

(*) انظر :

Webster's Third New International Dictionary

أو Encyclopedic World Dticionary

(*) ص ٧٥ ، « مجموعة القرارات العلمية » – مجمع اللغة العربية فى ثلاثين عاماً ، القاهرة ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميريَّة ، ١٩٦٣ .

أو		mransmissible
ويُطْرَق	مُقابل	solable
ويباع	مُقابل	malleable
	أو	marketable

ويُترجمُ الاسمُ منها بالمصدر الصّناعى فيقال :

مأكوليّة	مقابل	edibility
ومَذوبيّة	مقابل	solubility

وقياساً :

مَصهوريّة	مقابل	fusibility
ومَنْقوليّة	مقابل	movability
	أو	transmissibility
ومَطروقية	مقابل	malleability

ويُحَقّ للطالب والدارس (بخاصّةً من غير أبناء العربيّة) استصعابُ واستغرابُ أن تُترجَمَ الصِّفــــةُ بالفِعْل المُضـــارِعِ المبـنىِّ للمَجهول ،

وأن يكونَ الاسمُ من « يُؤكل » « مأكولية » ومن « يذوب » « مَذوبيَّة » ،

إضافـةً إلى ما طلَعَ عَلَينا به بـعضُهم من صِيـاغة أسماء من هذه الصِّفات وِزانَ « يُفْعَلِيَّة » .

ولَفَتَنى فى حاشية الصفحة التى ورد فيها قرارُ المجمع المذكورُ ما يلى :

نُوقِشَ هذا الموضـــوعُ فى جلَســـات مُتَفرقّة مــن دَوراتٍ شتّى وقُدِّمت فـيه آراءٌ للشـيخ محمــد الخضـر حسين والشـيخ عبد القادر المَغْرِبى والأسـتاذ على الجارم ، وممّا هذه حرف ألف عليها رأي حرف ص هكذا آقتُرِحَ له صيغةُ « فعيل » و « فَعول »

وأرانى أمْيَلُ إلى صنيغـة « فعول » فى هذا المَقـام كصـيـغـة تُؤدِّى غالبـيَّةَ أو كُلَّ مـدلولات الكاسعـة able- وشكلَيْهـــا الآخريــن ، كمـا إنّ مـا تُؤدِّيـه صيغــةُ « فـعيل » فى هذا المقام تؤديه أيضـاً صيغةُ « فعول » ، والعكسُ لا يصِحُّ فى حالاتٍ كثيرة (*) .

وهكذا يقال فى الأمثلة السالفة :

ذؤوب	و	ذؤوبية
مَطول	و	مطوليَّة
طَروق	و	طروقية

(*) قدنقول مثلاً : مَطول ومَطيل،او نفوذ ونفيذ او كَتُوم وكتيم .

لكننا لا نقُول : « صميد » بدلَ « صمود » .

ولا « رسيب » بدلَ « رَسوب »

ولا « عطيب » بدل « عطوب »

وإنْ قُلنا « فعـيل » بدل « فعـول » فى « عجنَ » و« عصـر » و « سحقَ » و « خلَط » وأمـثالها انتـقل المعنى إلى مفـهومٍ مُختلِف .

بَيوع   و   بيوعيَّة

نَقُول   و   نقولية

صَهور   و   صهوريّة . إلخ .

حَول صيغة « فَعُول » تناقَلُ النُّحاةُ فى ما تَناقلوا أنّ هذه الصيغة تجىءُ أكثر ماتجىءُ للمُبالـغةِ أو كصـفةٍ مُشبّهـةٍ تشتَقُّ للدلالة على ثُبوتِ صِفَةٍ لِصاحبها .

وقـالوا إنَّ هذه الصِّيـغـةَ قيـاسـيَّةٌ إذا صيـغَتْ من الفِعل الـثُّلاثى المُتـعـدِّى دُونَ اللازِم ، أمّا كصِفَةٍ مُشبَّهة فتُصاغُ غالباً من الثُّلاثى المَضْموم العَيْن « فَعُل » وقـليلاً من الثلاثّى المكسور العَيْن « فَعِل » وفـيما ندَرَ من الثلاثى المَفتوح العَيْن « فَعَل » .

لكنَّ مجـمعَ اللُّغـةِ العـربيـة أقَرَّ فى الجلْسةِ التاسعة من دورته الحادية والأربعين (بتـاريخ الـثـامِن من مـارس ١٩٧٥ م) قِيـاسيَّةَ صَوْغ « فـعول » للصـفة المشـبَهَّة عمومـاً ، وأنَّها قَدْ تكونُ لِلْمبالـغة حسَبَ مقاماتِ الكلام(*) .

وكان سيادة الأستاذ محمد شوقى أمين عُضـوُ المَجـمع قـد قـدَّم مُذكّرة إلى لجنة الأُصول يقترحُ فيها إجازةَ ذلك بعد أن ورَد ما يزيدُ على المئة من كلماتٍ مُعجميَّةٍ على وَزْن« فـعول » مَصـوغـة من أفعـالٍ اتُّفق جَمْهَرةُ النُّحاة على أن صَوْغَ « فَعُول » منها ليسَ قـياسـيّاً- لا باعـتبـارِه للمُبالَغـةِ ولا باعتباره صِفةً مُشبّهة (**) .

وقد خـطَر لى استعراضُ مـا وردَ من الصفـات الإنكليزية المُنْتَهيةِ بالكاسـعة able أو أحد شكْلَيها الآخَرَيْن (ble – و ible-) فى أحـدِ معـاجم المُصطلحـات المعروفـة

(*) ص ٣ ، « كتاب فى أصول اللغة » – مجمع اللغة العربية ، الجزء الثانى ، ألطبعة الأولى ١٩٧٥ م ، القاهرة .

(**) أوردُ فى ما يلى هذه الكلمات للفائدة كما جاءَت فى الصفحة السادسة من المرجع المُشار إليه سالفاً

أبوق – أثوم – أجـوج – ارون – أزوج – اصوص – افوك – الوب – أمـون – انوح – أنوس – بتـول – بيوض – بروك – جـزوع – حرون – حنون – حـصور – خـشوع – خـضوع – خنوع – دلوح – دلوخ – ذقـون – ذلول – ذهوب – رجوف – رسوم – رقوء – سبوح – سكوت – سكور – شرود –

رسوم – رقـوء – سبوح – سـكوت – سكور – شرود – شطون – شغـوب – شمـوس – صؤول – صبـور – صدوح – صدوف – صهدوق – صلود – صموت – صمول – ضحـوك – ضلوع – ضلول – طروب – عبوس – عثور – عجول – عروب – عزوم – عـسوف – عفُوّ – علوق – غدور – غـشوم – غضوب – غيـور – غيوم – فخـور – فرور – فروق – فيوض – قتوت – قرود – قطوب – قطور – قعود – قنوط – قنوع – كؤود – كذوب – كسوم – كفور – كهود- لجوج – لجون – لحوح – لعـوب – مروح – منون – نؤوم – نجوج – نجوخ – نجـوع – نخور – نزوح – نزور – نزوع – نزوف – نسول – نشوص – نشـوط – نصوح – نضوح – نضوض – نطوف – نعور – نفوذ – نفـور – هتوف – هتون – هلوع – هيوم – ولود – ولوع – يؤوس (وهى تكملة الثالثة عشرة بعد المئة) .

(* النُّسخة المُجدَّدة من « معجم المصطلحات العلمية والفنية والهندسيَّة » . مكتبة لبنان ، بيروت . « قيد الطبع » .

لِتقَصّي مـا تُرجِـمَ منْهـا فعـلاً على صيغة « فعول » ، واستبارُ إمكانيَّة (وواقعيَّة) . تطبـيـق هذه الصِّـيـغـة علـى سـواها من الإنكليزيات .

فـخَرجْتُ بحـوالي المئـتَيْن منهـا ، أُوردُهـا فى مـا يَلى مَنْـظومـةً حَـسـبَ التـرتيب الألفبائى لِمُقابلاتها العَربيّـات مـن صـيغَـة « فعول » .

وقد قسَـمْتُ هذه العربيّات إلى فـئتين أتركُ لِسيادة الزُّملاء الكِرام تأييدَ أو مُعارضةَ ما يرتأونَه مِنْ ألفـاظ كِلْتَيْهِمـا – علماً أن الكثيـرَ من كلمات الفـئة الأولى قد عُـمِّد بالاستعمال أو هو فى طريق التعميد بوُروده فى بعض المعاجم الواسعةِ الانتشار .

وفى مـا يلى سـردٌ بـهـذه الكلمـات العربية وما يقـابِلُها أو يُمكِنُ أن يقابلَها من الإنْكليزيّات(*) .

الفئة الأولى :

أكول : صالح للأكل edible

بَخـور : نزوعُ إلى التـبخُّـر ، قـابل للتبخُّر vaporizable

بَدُول(**) : يمكن استبْدالُه أو إبداله exchangeable; replaceable

قابل للتغير أو الإبدال alterable; convertible; variable

بسُوط : قابِلُ البَسْط والمَدّ expandable

بسط : قابلُ البَسْطِ بالدَّلْفَنة rollable

بلُول : قابِلُ البَلَلَ أوالابتلال ، يَبْتَلّ ، يُبَلّ Wettable

بيُوع : صالِحٌ للبيع ، يُباعُ ، يُمكن بيعُه marketable; salable

بيُون : يمكن تبَيُّنه أو استبْيانُه detectable

تَلُوف : عُرضةٌ للتلَف ، قابلٌ

(*) لم أُدْرج فى هذا الاستقصاء الكلماتِ التى شاع وترسّخَ لها ترجماتٌ على وزن « مفعول » مثل : مُتاح available مَسموح allowable مُتغيِّر varilable مَسموع audible مَرئى (أو منظور) visible مَقبول acceptable إلخ ..... وهى قليلة .

(**) فى السياق المُناسب تؤدى هذه الكلمة معنى اسم الفاعل أيضاً .

للتلف ، يمكن تلاف Perishable, destructib

Perishable destructible

ثَقوب : يمكِنُ أن يُثْقَب

puncturable

ثقوب : قابِلُ الثقب أو الحفر

drillable

جبُول : يُمكِنُ جَبْلُه blungible;

kneadable

جثُوث : يُمكِنُ اجتثاثُه eradicable

جَمُود : قابِلُ التجمُّد، يُجَمَّد

solidifiable

(cf. gasifiable & liquefiable)

حَتُـوت : عُـرضـةٌ للحتّ ، قـابِلٌ للحتّ

corrodible

erodible

حَروق : قابلٌ أن يحترق ، صالحٌ للحَرْق

combustible

حَسُوب : قابِلٌ أن يُحسب،

computable

يمكن : حَسُابه countable

حَلول : قابل الحلّ (والتفسير)

solvable

حَلول : قابل الحلّ (بالإذابة)

dissolvable

حَموض : يُمكِن إحماضُه

acidifiable

حَؤول : عُرضة للتحوُّل ، قابل التَحوُّل أو التغيُّر

changeable;

convertible

transformable

تؤول : قابِلُ أن تُحال مِلْكيَّته

alienable; transferable

خَرُوط : صالِحٌ للخِراطة ، يُمكن خراطُته

turnable

خـــروق :يُخْــرق أو يُخْـــتـــرَق ، يمكن خرقه

Penetrable; pierceable

خَزول : يمكن اختزالُه (رياضيًّا أو كيماويًّا)

reducible

خَزون(*) : قابلٌ أن يُخْزَن ، صالحٌ

storable

(*) فى السِّياق المناسب يُمكن ان تؤدّى هذه اللفظةُ معنى اسم الفاعل ، أيضا ·

للخَزْن أو الاختزان .

خَضوع : من طبيعته أن يَخْضع

yieldable

(للضّغط أو الإجهاد)

خَلُوط : قابلٌ الخَلْط أو المَزْج

miscible; mixable

دَروب : قادرٌ على التدرُّب ، قابلٌ

trainable;

للتدريب والتعليم educable

دَرُوج : يمكنُه الدُّرج ، قابلُ rollable

الدُّروج أو الدَّحْرَجة

دَموج : قابلُ الدَّمج compactible

ذعون : من طبعه أن يذعن ، طيِّع .

yieldoble

ذَلُول : سَهلٌ يُمكنُ التغلُّب عليه

surmountable;

(عكس كؤود) superable;

ذَؤوب : قابلٌ للذوبان ، ذواب

soluble

يذوب : dissolvable

رَسوب : قابلُ الترسيب ، يترسّب

precipitable

رَضوم : يمكن رضمه ، قابلٌ أن

يَرضَم (*) compactable

ركُون : يُرْكَنُ إليه

dependable

رؤوب (**) : يُرْكَنُ إليه

قابل للرأب repa(i) rable

سبوك : صالحٌ للسَّبك castable

سُحوب : قابلٌ للسَّحب والتطويل (أو

drawable

المدّ : أسلاكاً مثلاً)

سُحوق : قابلٌ السَّحق أو friable;

سَحُون : السَّحن

pluverizable; grindable

سَدود : لا يُنفَذُ منه (عكس نَفُوذ)

impermeable

سقُوط : يمكنُ إسقاطه ، يُسْقَط

droppable

(*) رضمَ الشيء رضماً : ضمَّ بَعْضَه إلى بعض .

(**) فى السياق المُناسب يمكن أن تؤدى هذه اللفظة معنى اسم الفاعل أيضاً .

` كخزّان الطائرة الإضافى)

سلوك : صـــالحٌ لأن يُسلـك، يُمكن أن يُسلَك (كالطريق) Possable

سَيُول : قابِلُ التسيُّل ، يتسيَّل ، يُسَيَّل
liquefiable

شبُوع : يمكِنُ إشباعه
satiable; saturable

شَطور : نَزوعٌ إلى الانشطار ، قابِلُ الانشِطار
fissionable

شروب(*) : صالحٌ للشُّرب
potable; drinkable

شَعُول : قابِلٌ الاشتِعال ، عُرضةٌ للاشتعال
ignitable;
flammable

شَقوق : يَنْشَقّ ، قابِلٌ الشق أو الانشقاق
cleavable

شكُول : قابِلٌ للتشكيل
moldable;
formable; workable

صبُوغ : قابِلُ الصَّبغ ، يَنْصبغ
ntoinable;

صبُون : قابِلُ التصبُّن ، يتصبَّن
saponifiable

صَدوء : يَصْدأ ، عُرضَةٌ للصدأ
corrodible

صمُود : من طبيعته أن يصمُد مصماد
durable

(صَمودٌ للحرارة
(thermostable

صهُور(*) : قابِلٌ الانصهار ، ينصهر
fusible; smeltable

ضبُوط : قابِلٌ للضبط ، يُضبط ، يُتَحكَّم بِهِ
adjustable;
controllable

ضغُوط(*) : قابِلٌ أن يُضغَط
compressible

طبُوق : قابل التطبيق (على) ، يمكن أن ينطبق (على)
applicable

مُتوافِقُ التطبُّق (كطبقات الأرض)
conformable

(*) واللفظة فى السِّياق المناسب تحمل طبعاً معنى اسم الفاعل (الكثير الشُّرب) .

(*) فى السياق المُناسب تؤدى هذه اللفظة معنى اسم الفاعل (صَهُور : مُساعِدُ صَهْر ، مقابل flux)

(**) فى السِّياق المناسب يمكن أن تؤدى هذه اللفظة معنى اسم الفاعل أو صيغة المبالغة .

طحون (*) : قابلُ الطحن ، يُمكن طحنُه
grindable

طَروق : صالح للطَّرق ، قابل الطرق
والتطريق malleable

طعُوم : يصلحُ طعاماً ، يُؤكل edible

طوِىّ : قابلُ الطىّ foldable

عَجُون : يمكنُ عجنُه ، يُعْجَن
kneadable

عَدود : قابلٌ للعَدّ
countable; numerable

عدول(*) : قابلٌ للتعديل · adjustable

عَدون : قابلُ التعدين · min (e) able

عصُور : صالح للعَصر ، يُعْصَر
expressible

عطوب : عرضةٌ للعطب perishable

(عطوب بالحرارة thermolabile)

عَطوف(*) : قابل للعطف أو الحنى
bendable; turnable

عكُوس : يمكِنُ عكسُه ، يُعكس أو
يُقْلَب invertible

غطُوس : يغُوص أو يغطِس (فى الماء
sinkable

غمور : قابِلُ الغمر ، صالح للغَمر
submergible;

(فيعمل وهو مغمور كمضخة
submersible;

أو مُحَرِّك) immersible;

غَوّور : قابلُ التغوُّز ، يمكن تحويلُه
إلى غاز ، يتغَوّز gasifiable

فتوت : قابلُ التفتُّت friable

فَصول : قابِلٌ للفَصْل ، يَنْفَصل
separable; detachable

فكوك : يمكن فكُّه أو تفكيكه أو
نزعُه dismountable

فُلُوق : ينفلِق ، قابلُ الانفلاق
fissionable; cleavable

قَروء : يُمكن قراءَتُه readable

قصوف : قابِلُ القصف أو القَصْم
قسوم : frangible

reversible;

(*) فى السِّياق المناسب يُمكن أن تؤدّى هذه اللفظةُ معنى اسم الفاعل أو صيغة المبالغة .

قسوم : قابلٌ القسمة ، ينقسم divisible

قلُوب : يمكنُ أن يُقْلَب أو يُعكس invertible

قلُوص: قابِلُ التقلُّص contractible

قؤود: يمكن قيادته steerable; dirigible

قيُوس: يمكن قياسُه ، يُقاس measurable

كتُوم : مَسيكٌ لا ينُفذ منه (عكس نَفُوذ) impermeable

كثُوف :قابلٌ أن يكثَّف أو يتكاثف condensable

كرور(*) : قابلٌ التكرار repeatable

كسُور : عُرضةٌ للكسر breakable

كموش : قادرٌ على الانكماش shrinkable; retractable

كؤود : صعبٌ ، لا يمكن تخطِّيه insurmountable

لَحوم : يمكنُ أن يُلحم ، قابل اللِّحام weldable

لَهوب : عُرضة للالتهاب ، قابلٌ للالتهاب inflammable; flammable

لَيُوق : يليق أو يلائم ، مناسب ، صالحٌ لـ: suitable

مَدود : قابِلُ المدِّ والاتساع dilatable expandable; extensible

مَـرون : من صفـاته المُـرونة (اللين فى صلابة) ، قابلُ التثنى flexible

مَزوج : قابل الامتزاج miscible

مزوق : قابل المزق tearable

مصوص(*) : يمكن امتصاصُه ، يُمتصّ absorbable

مطُوط : قادر على الامتطاط ، قابِل المَطّ ، يُمَطّ stretchable

مَطول : قابل المطل أو المَدّ extendible; extensible

مكُوس : عُرضَة للمكس ، يخضَعُ للمكس أو الضريبة dutiable' excisable, rat (e) able; taxable

منُول : سَهْلُ المَنال ، يمكنُ الحُصول عليه accessible; gettable

---

(*) فى السِّياق المنُاسب تحتمل هذه اللفظة معنى اسم الفاعل أيضاً .

نبُوذ : يمكنُ نَبْذُه واطِّراحه (كإبَر التطعيم مثلاً) disposable

نَزوع(*) : يمكن نزعُه ، يُنْزع

dismountable;

detachable; removable

نَسوخ : قابل للنّسخ ، يمكن استِنساخُه .

reproducible

نَضوب : عُرضة لأن يُستَنْفَد

exhaustible;

نَفُود : (بالاستِهلاك) consumable

نَفُوذ :يمكِنُ النفاذ منه . مُنفذ

permeable

نَقُول : يمكِنُ نقلُه ، قابِلٌ للنقل أو التحريك ، يُنقَل . movoble

يمكِنُ نقلُه (بوسائل النقل)

transportable

يمكِنُ نقلُه أو حملُه portable

يمكِنُ نقلُه أو تحويل ملكيته (كالمال أو العقار) transferable

عُرضةٌ للانتقال ، يَنْتَقِلُ (بالعدوى) communicable; transmissible

هَدوم(*) : قابل الهَدم

destructible

هضوم(*) : يُهضَم ، صالح أو قابلٌ للهَضْم digestible

هطول(*) : يُحْتَمل هُطولُه (مَطراً)

precipitable

هَلُوم : قابِلُ التّهَلُّم

jellifiable

هيُوج : نزوعٌ إلى الهياج ، قابلُ الإثارة

exitctiable; irritable

هَيُوء : قابلٌ أو يُهيَّأ أو يهايأ

adaptable

وفُوق : يتوافقُ أو يتواءَم (مع)

comatible

يُوافِق ويُناسِب ، موافِق ،

(*) فى السياق المناسب تحتمل هذه اللفظة معنى اسم الفاعل أيضاً .

(*) فى سياق مناسب تحملُ هذه اللفظة معنى اسم الفاعل (ميّال إلى) .

: موافَقٌ علَيه agreeable

وَلُوف : قابلُ التوليف أو المُوالَفة

tunable

وَهُون : عُرضةٌ للعطَب أو السقوط

vulnerable

(لوِهَنه)

وَءوم : يمكنُ مُواءَمته ، يتواءَم

adaptable;

أو يواءَم (مع)

compatible

وكـان من ألفـاظ الفـئة الثـانيـة المُـمكنِ صياغتُها وِزانَ « فعول » الكلمات التالية :

أجور : قابل للتأجير ، صالحٌ للتأجير

rentable

أسوف : يُؤسفُ له regrettable

بَروم : قابلُ البرم والتدوير turnable

بَضُوع : يمكنُ بَضْعه (جراحيا) operable

تجور(*) : يمكنُ الإتّجارُ به trad(e) able

ثبوت يمكن إثباته والتحقُّق منه Verifiable

حصول : يمكن الحصول عليه obtainable

حكُـوم : يمـكن التـحكُّم بـه (ليضبَط)

controllable

حمول : يحمل ، يُمكن حملُه portable

دروك : يمكنُ إدراكه intelligible

خروب : قابلٌ للخراب destructble

دمور : يمكن تدميره

سجوم(*) : يَنْسجِمُ (مع) ، يتوافَق (و)

compatible' conformable

سكُون : صالحٌ للسُّكنى habitable

سَووغ : يمكن تسويغه justifiable

شغول : يمكن شُغله أو تشغيله

workable

(شغولٌ بالمكنات machinable)

شَفّى : يمكن شفاؤه curable

صَروف : ينصرف أو يُصرَّف ويُفرَغ

dischargeable

صلُوح : صالحٌ لـِ ، أهلٌ لـِ eligible

طبوع : يمكن طبعه أو الطبع عنه

صالحٌ للطبع Printable

(*) في السِّياق المُناسب تحتمل هذه اللفظة معنى اسم الفاعل .

(*) تجَرَ يَتْجُر : مارسَ البيع والشِّراء .

(*) ناقة سَجوم : تفتح رِجلَيها عند الحلب .

طفوء : يُمكن إطفاؤه extinguishable

طؤوق(*) : يمكن إطاقته ، يُطاق :

أو طيوق tolerabl; bearable

لَفوت(*) : يَلْفتُ الأنظار · يُلاحَظ بِجلاء

notable;

(لأهميته أو لمُميِّزاته) remarkable

لؤوم : صالحٌ أو ملائم لـ suitable

مَحِيّ : يمكِن أن يُمسح أو يُمحىَ

erasable

هدوف(*) : عُرضة لـ ، مُستَهْدفٌ لِـ

suscipitble

وصول : يمكنُ توصيله (كالضّوء

بالالياف الزُّجاجيَّة مثلاً) conductible

وجـدير بالذِّكر أن إقـرارَ أيٍّ من هذه الكلمات على وزن « فعول » للمعني المُبيَّن والواضح فى سيـاقِه دون لَبْس ، لا يُعطينا الصفةَ المُرادِفَةَ لمُقابلها فى الإنكليزية فقط ، بل يُيَسِّرُ لنا أيضـاً صيـاغَةَ النَّقـيض لتلك الصفةِ بِوضع « لا النافية » مُركّبةً فى أوَّلها بصيغةِ « لا فعول »

فتقول فى الشىء إنه :

مَطول	أو	لا مطول
ذؤوب	أو	لا ذؤوب
نقول	أو	لا نقول
مَزوج	أو	لا مَزوج

مـع مُلاحظـة أن سِحْرَ العــــربـيَّة وإعـجــازَها يُخَوِّلان اسـتـخــدامَ هاتينِ الصِّيـغـتين صِفـةً لـلمُذَكَّر أو المؤنَّث على السَّواء ·

كذلك يتَيَّسر لنا صوغُ الاسمِ من تلك الصفة ونَقـيضه بصيغـةِ « فعُولية » و « لا فَعوليَّة » فنَدُلُّ بهما :

على	المطوليَّة	أو	اللامَطوليّة ،
على	الصهورية	أو	اللاصهورية
على	النَّقولية	أو	اللانقولية ،
على	الذؤوبية	أو	اللاذؤوبية ،
على	المزوجية	أو	اللامَزوجية ،

(*) فى سياقها المناسب تحمل هذه اللفظة معنى اسم الفاعل أيضاً ·

يعني أن كُلَّ لفظة نُقرّها تُيَسِّر لنا مُصطلحات أربعة فيها كُلُّ السَّلاسَة والوُضح والبَلاغَة ، مُبْتَعدين بذلك عن أمثال :

« الممزوجيَّة » و « المصهوريَّة »

« والمذوبيَّة » و « المطوليَّة » ،

وبالتالى عن الأسوأ وَقْعاً من أمثال :

« اليُمْزَجيَّة » و « اليُصْهريَّة »

و « اليُذابِيَّة » و « اليُمْطَلِيَّة » ،

وفى هذا لِلُّغة كَسبٌ كبير .

ولابد من فذلكةٍ وَجيزة حول لَفْظَة « نقول » التى اخترتُها مَدْخلاً إلى هذا البحث تعقيباً على نقاشٍ قصيرٍ جرَى فى إحدى جَلَسات الدورةِ السَّادِسة والخمسينَ لَمجمعِنا المُوقَّر . والذى حَدانى إلى هذا الاختيار أيضاً هو ضيقُ وقتى عن مُعالجة موضوعٍ أتحمّسُ له كثيراً - كونى حضرتُ إلى بيروت سادسَ أيام العام الجديد (بعد غياب فى المملكة العربية السَّعودية دامَ ثلاثة أسابيع) لأجد على مكتبى دعوةَ المَجمع إلى الدورة الثامنة والخمسين ، وفيها تحديدُ موضوع « تعريب التعليم الجامعى » كمحْوَرٍ لأبحاث الدَّورة . وموضوعٌ كهذا قيلَ فيه الكثيرُ منذ قامَ فريقٌ من مُتَخرِّجى الجامعة الأمريكية عام ١٩٢٠ يُطالبون بوجوب إرجاع لُغة التدريس إلى العربيَّة ، مُعتبرين أن الكُلِّيةَ اغتصبَتْ حُقوق الشُّعوب العربيّة بإحلال اللُّغة الانكليزية محَلَّ العربيَّة كلُغة تدريس - ممّا أدى إلى تخَلُّف اللغة العربية فقَلَّتْ فيها المؤلفاتُ فى الطِّبِّ والصيدلة والعُلوم الطَّبيعيَّة بَعْدَ أن زهَتْ فى العَقْد الثامِن مِنَ القرن الماضى(*) .

ويذكُر الدكتورُ شاهين الصليبى (وهو رئيس مجلس أمناءِ المَعهد الذى عمِلْتُ فيه أستاذاً ونائباً للرئيس بين عامَى ١٩٥٠ و ١٩٦٤) أنّ الدكتور وِليم فانديك أحدَ مشاهير أساتذة الجامعة حينئذٍ ردّ على هذا المطَلْب فى خِطاب له قال فيه : إن تَغْيير لُغَة التدريس إلي اللغةِ العربية فى الجامعة صعبٌ ،ولكنّه « مُمْكِن » . وعَزا الصُّعوبةَ فى ذَلك إلى أمورٍ ثلاثةَ حدّدها بما يلى :

١ ً: صُعوبةُ ترجمة الألفاظ والمُصطلحات العلمية إلى اللغَة العربيَّة .

٢ ً: قلَّةُ الكتب والمؤلّفات فى اللغة العربيَّة بَحيثٍ يتعذّر عليٍ الطالب المُطالعةُ والتوسّع والوقوفُ على الاختبارات الحديثة .

٣ ً: صعوبةُ اللغةِ العربية على الأمريكيين وعدمُ إمكانهم إتقانَها بوقتٍ قصير ،

(*)ظلت اللغة العربية لغة التدريس فى الجامعة الأمريكية (التى كانت تدعى الكلية السورية الإنجيلية) منذ إنشائها سنة ١٨٦٦ حتى سنة ١٨٨٣ م .

وقلّةُ وجود الوطنّيين الأكـفاءِ ليقـوموا بأعَباءِ وظائفهم .

فإذا كـان الدكتـور ولْيَم فانديك يَرى إمكانيّةَ تعريب التعليم الجـامعى مُنْذُ عُقود سَبْعةَ رُغْمَ مـا يذكرهُ من صُعوبات ، فـماً هوَ مَوقفُنا نَحنُ اليـومَ بَعْدَ ان ذُلّلتْ مُعظَمُ أو حتّىَ كلُّ تلكَ الصُعوبات ؟

أعودُ بعـد هذا الاستطراد إلى فَذْلكتى حـول أفضليّة صياغـة « فَعول » من الفعل « نقـلَ » لأداء مـــعنى مـــا يُمكن نقلُه أو انتقالُه بمُختَلف المفاهيم المُؤداة فى الإنكليزية بالكلمات الخَمْس المنتهيةَ بـ able- فى القائمة الواردة أعلاه ،وهى :

movable, transportable, transferable,

transmissible communicable.

المعاجمُ الإنـكليزية العربـيّة توردُ لهذه الكلمات مَفاهيمَ مُتـعدّدةً يؤديّها العَديدُ من المُصطلحـات الـعـربيّة المُفرَدة أو المُتـعـدِّدة الكلَمات ، نذكر منها للمُذكّرَ ما يلى :

يُحرّكُ ، قابِلٌ للتحريك أو النّقل ،

متحرِّك ، مُتَنقِّل ، نقّال ،

قابلٌ للتحرُّك أو التحركة - إضافةً إلى غـيـر ثابت (فى مـكانٍ أو فى تاريخ مُعيّن) .

فى مقابل movable

أو يُمكن نَقْلُه (بوسائل نَقلٍ مختلفة)،

يُنْقَلُ و

فى مُقابل transportable

أو قـابلٌ للنقل أو التحـويل (كمال أو عقار) transmottabl

فى مقابل transterable

أو قابلُ للنقل أو الانتقال

(من شخصٍ لآخر أو من مكان لآخر)

فى مُقابل

أو قابلُ للنَّقْل أو الإبلاغ، transferable

أو قابلٌ الانتقالَ (بالعَدوى كالمرض)

فى مُقابل communicable

كما يُقال فى ترجـمة الأسماء من هذه الإنكليـزيات مُصطلحاتٌ مـتعـددة لكُلٍّ ، مثل :

مُحَرِّكية ، قابلية النَّقْل أو التَحريك ،

تَحـــريكيَّة ، تنَقُّليـــة ، تَنْقيليّة (من مكان إلى آخرَ أو من مَوعدٍ إلى آخر) .

مقابل movability مثلاً

وكذلك فى نَقائضـها ، وفى الأسماء المَصُوغةِ من نقائضها ، بما يقتضى عَشرات المُصطلحاتِ مُفردَةِ الكلماتِ أو مُتَعَدِّدَتها .

لكِنّا فى صـيغـة « فـعول » نكتـفى

(*) للدكتور شاهين الصنليبى رسالة فى هذا الموضوع نشرت فى مجلة « الكلية » ص ١٢٠ - ١٢٣ من الجزء التاسع عام ١٩٢٣ م

بمُصطلحاتٍ أربعة مُفْرَدَة الكلمات لمُختلف هَذه المفاهيم ، فالشيء « نقول » فى مقابلِ الإنكليـزيات الخَمس بمُخـتلفِ مَفـاهيمـها للمُذكّر والمؤنث ،

والاسمُ ، « نَقُولية » ؛

وهو أو هى « لا نَقُول » .

والاسمِ « لا نَقـوليَّـة » ، فى مُقـابِل نَقائضها .

وهكذا تسُـدُّ مصطلحاتُـنا الأربعة هذه مَـسَدَّ عـشَـرات المُصطلحـات لأداء تِلْكَ المَفاهيمِ بإيجاز ودِقة ووُضوح .

أنـا لا أُنكـر إنّ بعـــضَ مَصـوغـات « فعول » قد يبدو نشازاً غيْرَ مَقْبول (لأوَّل وَهْلَة بخــاصَّـة) ، لكنّـى ألفتُ إلى أنّ مسألةَ قَبوليّة (*) مُصطلحٍ مُعـيَّنٍ أو عَدَمها أمرٌ لا يَحكُمه مَنطقُ اللغـة واللُّغويين دائماً - كما يُؤكِّدُ لنا المُتتبِّعون سِيَرَ المُصطلحات فى سائر اللُّغات قَديماً وحَديثاً .

فالكثيرُ من المُصطلحاتّ التي هُلِّلَ لَها فى فَجْر عَصْر النهضة مثلاً اندثَر وتُنُوسىَ فى حين أنّ بَعْضها ممَّا حُورِبَ ورُفضَ عندَ ظُهوره ترسَّخَ مع الزَمـنِ وشاعَ على ألسِنَة الخاصَّةِ والعامَّة على السَّواء .

ويحـضُرنى فـى هذا المَقام مـا كـتَبـه الرائدان ، الفَذّان فى مَوضوع المُصطلحات ، العـالـمـان يَعقـوب صَـرُّوف وفـارس نِمَـر حولَ مَـقـبوليّة المُصطلحَيْن « مجْهَـر » و « مُنطاد » فى مَجلَّة المُقتطف (**) .

قال مُنشئا المقتطف فى مَقالهما :

« إنّ البَعْضَ لامُـونا لأنّا لَم نستـعمِلْ بعضَ الأسمـاء التى وضَعها غَيْـرُنُا لبِعْض المُسَمَّيات الجـديدةِ كـ المِجْهَر للمِكْرِسكوب والمُنطاد للبَلُّون .

جوابُـنا هو أنّ لَفْظَةَ « مكرو » دخلَتْ في كلمـات كثيـرة ، وقَدْ شَـاعَتْ فى كُلّ اللُّغات الحَيَّة . وقَد شاعَ لفظُ المكرسكوب واستعْـمَلْناه مراراً كثيرة نَحْنُ وغيـرُنا قَبْلَما وُضِعَتْ كَلِمَةَ « مِجْهَر » .

ثُمّ لَمّا وُضعَتْ هذه الكلمة رأينا أنّها لا تَدُلُّ على المَعنـى المُراد ، بَلْ قَـدْ تَدُلُّ على ضِـدِّه . فـ الأجْهر هو الضَّـعيف البـصَر الذى لايَرى فى الشَّمس كما يَعْرِفُ الخاصَّةُ والعامَّة . أمـا « جاهَر » فقلّما يَسْتَـعملها غيرُ الخـاصَّة . وهكذا إذا سمعَ الجُـمهورُ كَلمة « مجْـهَر » فالأرْجَحُ أنّهُمْ يُعلّقـونَها بضَـعْف البَـصَر - لا بقُـوَّته علي تكْـبيـر المَرئيّـاتَ . ولَـو عُرِّب المكرسكوب بكلمة « مظْهر » أو « مُظْهر » أو « مكبِّر » لكانَتْ أدَلَّ على مَعْناه » .

(*) هنا أتعمَّدُ استخدامَ صيغة « فعوليّة » حتى لِما شاع له صيغة « مفعوليَّة » ، وتَبدو لى مَقبولة .

(**) « أسلوبُنا فى التـعـــريـف » ، المُقــتطف ، ص ٥٥٩ - ٥٦٥ ، جــزء ٣٣ ، عــدد يـوليـو ١٩٠٨ .

ويتابعُ رائدا النهضة العلمية العربية تعليقَهما على كلمة « مُنطاد » بالقول :

« كذلك فإنّ كلمةَ « **مُنطاد** » وُضعت بَعْدَ أن شاعَتْ كلمةُ « **بَلُون** » أيضاً . والشائعُ منْ مادَّتها إنّما هُو كَلمةُ « **طوْد** » . وإذا ذُكِرَتْ كلمَةُ « **طَود** » انْصرفَ الذِّهنُ إلى أن المُرادَ جَبَلٌ عظيمٌ راسِخٌ . نعَمْ إنّك تَجِدُ فى كُتُبِ اللُّغة أنّ مَعنى « **انطاد** » : ذهَبَ فى الهواء صُعُداً ؛

ولكنّ هذا الفِعْل لا يَخْطِر بالبال ، ولَمْ نَرَهُ فى كتابِ غَيْرِ القواميسِ . ولمَّا رأيْنا كلمة « **مُنطاد** » أوَّل مَرَّة ظنَنَّا **دالَها راءً**. والمُرجَّحُ عِندَنا أنّ أصْلَ الدال فى « **طَوْد** » و « **انطاد** » راءٌ أخطأ النُّسّاخُ أو القُرَّاءُ فى كتابَتِها أو قراءَتها . فإنّ **الطُّور** هُوَ الجَبَلُ فى العربيَّة وغَيْرِها ، ولا يَزالُ عَلماً لجِبال مَعروفة مثْلِ **طُورِ سيناءَ وطُورِ طابور** . ثُمَّ إنَّ هَمَّ صانِعى البَلُونِ مُنْصَرفٌ الآنَ إلى مَنْعه عَن الصُّعود فى الهواء وجَعْله يَسيرُ قُربَ سَطْحِ الأرض ، فيَصيرُ مَعْنى **المُنْطاد** مُخالفاً للمُراد .

ومعَ هذا كُلِّه فلو وُضِعَتْ هاتان اللفظتان لِلْمكرسكوب والبَلُون قَبْلَ شُيوعِ كَلمَتَى مِكرسكوب وبَلُون عِنْدنا ، أو لو كانَتِ الدلالَةُ من لَفْظَيْهِما على المَعْنى المُراد واضِحَةً تَمامَ الوُضوح ، لمَا استَصْعَبْنا استِعْمالَهُا إلى أن يَقْضِىَ النَّاموسُ الطبيعىُّ ببَقاء الأصلح » .

والذى نَعْرفُه الْيَوْم بَعْدَ قُرابَة قَرْنٍ من الزَّمان أنَّ الناموسَ الطبيعىَّ قَدْ قضَى !

فماذا سَيَقُولُ الناموسُ الطبيعىُّ يا تُرى فى صِيْغَة « **فَعُول** » من « نَقَل » ؟

شُكْراً لكُم

أحمد شفيق الخطيب

عضو المجمع المراسل من فلسطين

المراجع

- البستانى ، بطرس « محيط المحيط » مكتبة لبنان ، ١٩٧٢ .
- اتحاد الأطباء العرب ، والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، « المعجم الطبى المُوَحَّد » ، انكليزى ، فرنسى ، عربى ، الطبعة الثالثة ١٩٨٣ .
- البعلبكى ، منير « المورد » ، دار العلم للملايين ، ١٩٧٨ .
- الخطيب ، أحمد شفيق « معجم المصطلحات العلمية والفنية والهندسية » ، مكتبة لبنان ، بيروت ١٩٨٤ . (ونُسختُه التى هى قيد التجديد) .
- خورى ، يوسف قزما « نجـاح الأمة العربية فى لغتهـا الأصلية » ، دار الحمراء ، بيروت ١٩٩١ .
- الكرمى ، حسن « المغنى الأكبر » ، مكتبة لبنان ، ١٩٨٧ .
- مجمع اللغـة العربية « كتاب فى أصول اللغـة » ، الجزء الثانى ، ط١ ، ١٩٧٥ ، القاهرة .
- مجمع ، « مجموعة القرارات العلمية فى ثلاثين عاماً » القاهرة ، ١٩٦٣ .
- مجمع ، « المعجم الوسيط » ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، ١٩٨٥ .
- مجمع ، معهد الإنماء العربى ، « معجم مصطلحات العلم والتكنولوجيا » ، بيروت ١٩٨٦ .
- المُقتطف ، ص ٥٥٩ – ٥٦٥ ، ج ٣٣ ، يوليو ١٩٠٨ .

Hanks, P. & Poter, S-.

"Encyclopedic World Dictionary ", Librairie du Liban 1974.

" Webster's Third New International Dictionary ", G &C Merriam Co, Springfield, 1978.

انهيار الأندلس
وشاهدان على المحنة الأخيرة *

للدكتور محمود علي مكي

يذكر المؤرخ الأندلسي ابن القوطية من أخبار الزعيم العربي الصميل بن حاتم الكلابي أنه « خطر يوما بمؤدب يؤدب الصبيان وهو يقرأ « وتلك الأيام نداولها بين الناس » (سورة آل عمران ، آية ١٤٠) فقال الصميل لفرط جهله معتقداً أنه يصحح الآية للقارىء : « نداولها بين العرب » فقال له المؤدب « بين الناس » فقال الصميل : « وهكذا نزلت الآية ؟ » قال له : نعم ، هكذا نزلت . فقال الصميل : والله إني أرى هذا الأمر سيشركنا فيه العبيد والسفال والأراذل »[١]

القصة تصور هؤلاء الأعراب الجفاة بما طبعوا عليه من عجرفية بدوية وقد أخذهم الزهو بما قيضه الله للعرب من عزة وما فتح عليهم من البلاد في عصر بني أمية حتى امتدت دولتهم من تخوم الهند وأواسط آسيا حتى جبال البرتات (البيرينيه) على الحدود الفرنسية ،ولا غرو فالصميل بن حاتم هذا هو حفيد شمر بن ذي الجوشن الكلابي الذي قتل الحسين بن علي -رضي الله عنه- وحمل رأسه إلى يزيد بن معاوية ، وضاقت الأرض بعد ذلك به فانتقل إلى الشام ولحق ابنه بالجيوش الخارجة إلى المغرب ثم كان حفيده الصميل من زعماء العرب الذين دخلوا الأندلس بعد فتحها بنحو ثلاثين سنة ، وتزايد جاهه حتى أصبح بمثابة وزير لآخر عمال بني أمية في الأندلس يوسف بن عبد الرحمن الفهري . وهو يمثل تلك العصبية البدوية التي اعتد بها خلفاء بني أمية حتى حسبوا أن ملكهم العربي باقٍ أبد الدهر لن ينازعهم فيه أحد . وقد كان ذلك ممكن التحقق لو أن العرب ظلوا محافظين على قيم الإسلام التي نقلتهم من ظلمات الجاهلية إلى نور الإيمان والتي كان لها الفضل في مد دولتهم شرقاً وغرباً وفي هداية الأمم المحيطة بهم على أيديهم خلال

(*) ألقى هذا البحث في الجلسة التاسعة من جلسات المؤتمر يوم الأربعاء ٢٩ من شوال سنة ١٤١٣هـ الموافق ٢١ من أبريل سنة ١٩٩٣ م

السنوات القليلة التى أعقبت وفاة الرسول (عليه الصلاة والسلام) . نعم ، كانت دولة العرب جديرة بالبقاء لو لم يتخلوا عن بعض القيم الإسلامية التى أبدلتهم من الذل عزا ، ومن الخوف أمنا ، ومن الفقر سعة ، ومن الجهل علماً . « ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » (سورة الأنفال ، آية ٥٣) .

لقد أتى الإسلام بتشريع كفل به حقوق الإنسان على نحو لم تشهد له البشرية مثيلا من قبل ، فقد أقر مبدأ المساواة بين البشر ، وحقن دم الإنسان وحفظ له كرامته ، ودعا إلى تحرير الرقيق، ونادى بالتكافل الاجتماعى والتسامح الدينى وأطلق حرية الفكر والتعبير ، وغير ذلك من المبادىء التى عرضها الكتاب الذى وزع علينا منذ أيام بعنوان « حقوق الإنسان فى الإسلام » بتصدير من أستاذنا الدكتور إبراهيم بيومى مدكور وبشرح وتعليق من الأستاذ الجليل الدكتور عدنان الخطيب .

غير أنه لم تكد تنقضى خلافة الراشدين الأربعة رضى الله عنهم ويتولى مقاليد الحكم بنو أمية حتى رأينا بعض هذه القيم السامية يتوارى وتعود إلى الظهور رواسب من عادات وتقاليد جاهلية عمل الرسول (عليه الصلاة والسلام) وخلفاؤه من بعده على تحرير الأمة من ربقتها ، ومن هنا بدأ الاختلال الذى قدر له أن يستشرى فيما بعد .

ولعل من أهم المبادىء التى أَصَّلها الإسلام منذ عهد الرسول وخلفائه الراشدين مبدأ الشورى الذى سرعان ما عدل عنه أول خلفاء بنى أمية إلى نظام الحكم الوراثى المستبد آخذين به عَمَّنْ جاورهم من الأمم ، وأصبح هذا قاعدة جرت عليها معظم دول الإسلام فيما بعد.

وفى ذلك يقول الجاحظ متحدثا عن عصر بنى أمية : « تحولت فيه الإمامة ملكاً كسرويًّا والخلافة غصباً قيصريًا » ويقول مهيار الديلمى - مع أنه شاعر من أصل فارسى - وهو يتحدث عن الخلافة الأموية وأول متقلديها معاوية :

وردها عجماء كسروية

يضاع فيها الدين حفظاً للدول

صحيح أن من بين الخلفاء الذين آل إليهم الحكم بالوراثة من كانوا من عظام رجال الدولة ،

غيـر أن هذا النظام أدى إلى أن يتـولى الخلافة من لم يكن أهلاً لها · وكـثيراً ما تسبب حـرص الخلفاء على توريث أبنائهم الملك فى إثارة الصـراع بين أفراد الأسـرة الواحدة · وأسند العديد منهم ولاية العهد لأبناء صغـار فإذا ولى هؤلاء الخـلافة لم يكن هناك بد من أن يكونوا تحت وصـاية قادة الجيش أو بعض كـبار موظفى الدولة أو نساء القصـر ، بما يعنيه ذلك من النزاع حول السلطة وإهمال مصالح الرعية ·

والغريب هو أن الفقـهاء الذين حفلت بهم الحياة الفكرية فى العالم الإسلامى لم يعـملوا على وضع قواعـد لتنظيم العـلاقة بين الحكام والرعيـة ، وهم الذين شرَّعوا لكل دقائق الحياة حتى لحالات فرضية لم يدر ببال أحد أن تحـدث فى الواقع · لقد كانوا يرون كل ما كان يقع على الرعية من مظالم بـسـبب هـذه الفـوضـى فى ولاية الخلافة ، ولكنهم لم يحاولوا وضع تشريع ثابت أو دستور يحدد الحـقوق والواجبات بالنسبة للحاكم والمـحكوم ، فتحول نظام الحكم فى مـعظم الدول الإسـلامـيـة إلى استبداد يتصرف فيـه الحاكم فى رعيته كما لو كانت أرواحهم وأموالهم ملكاً خاصاً ، إذ لم يكن مسئـولا أمام أحد · ولنذكر أن البـلاد الأوربية لم تبـدأ نهضـتهـا إلا منذ تحـددت العـلاقة بين الحكـام والرعيـة ، فوضع الشعب حداً لسلطة الملوك المطلقة ووضعت دساتير وتشـريعات مثل « الكارتا ماجنا » تـبين بوضوح إلى أى مـدى تصل سلطة الحكام وتجعل للمؤسسـات الشعبية رقـابة على السلطة التنفـيـذية · لقد كـان الصـراع الذى دار من أجـل الوصـول إلى تلك الدساتـير طويلا وداميـا فى كثـير من الأحيـان ، ولكنه كـان منطلقا لمـا بلغتـه هـذه البـلاد من نهضـة فى سـائر ميـادين الحياة · وكانت الشـعوب الإسلامية أولى بأن تقـوم بمثل ذلك بفـضل مـا تضمنتـه تعاليم الإسـلام من تقنين لحقـوق الإنسان لم يتـضمنه فى مـثل وضوحـه ودقتـه أى تشريع سابق ·

وسنرى من عـرضنا التـالى أن انهيـار دولة الإسلام فى الأندلس إنمـا كان يرجع إلى هذه الفـوضى فى ولاية الحكم · ولم يكن ذلك خللاً أصاب دولة المسلمين فى هذه البـلاد وحدها بل كـان عـامًا شـمل

أمصار الإسلام كلها . وهو الذى أدى فى المشرق إلى ما أصاب دول المسلمين هناك من ضعف وتخلف استفحلا على مر العصور .

أما فى الأندلس - ذلك الركن القصى الذى كانت تحيط به القوى الأوربية المعادية - فقد كانت الأوضاع مؤذنة بنهاية مأساوية فاجعة هى محو كلمة الإسلام من هذه البلاد وإن كان الشعب المسلم هناك قد أبلى أحسن البلاء فى الدفاع عن عقيدته وكيانه على مدى قرون طويلة . وعلى كل حال فهناك حقيقة تبدو لنا واضحة ، وهى أن الشعوب الإسلامية سواء فى المشرق أو فى الأندلس كانت أكثر وعياً وأرقى مستوى بكثير من قياداتها ، فظلت متماسكة إلى حد بعيد على الرغم من فساد الحكام والحكومات .

مراحل انهيار الدولة الإسلامية فى الأندلس

فتح العرب الأندلس فى سنة ٩٢ للهجرة (٧١١ م .) وسقطت غرناطة آخر معاقل الإسلام فى هذه البلاد فى سنة ٨٩٧ (١٤٩٢) أى أنه كان للإسلام وجود سياسى على أرض شبه الجزيرة على مدى ثمانية قرون ، على أن الإسلام بقى عقيدة حافظت عليها بقية الشعب الأندلسى مستميتة فى الدفاع عنها على مدى يقرب من قرن ونصف أو قرنين بعد زوال دولة الإسلام ، على الرغم من قرارات الطرد المتوالية ومن حملات الاضطهاد والتنكيل التى تعرض لها المسلمون « الموريسكيون » على يد «ديوان التحقيق» (La Inquisicion) بإجراءاته التى قل أن تعرف مثيلا فى التاريخ لقسوتها وبشاعتها .

على أن الوجود الإسلامى فى الأندلس لم يكن على درجة واحدة من القوة . فقد بدأ مع الفتوح الأولى مهيمنا على كل شبه الجزيرة ، بل إن الحملات الأولى تجاوزت جبال البرتات شمالا

وامتدت عبر مساحات واسعة من فرنسا وشمالى إيطاليا وسويسرا . ثم شرع الإسلام ينحسر بالتدريج عن هذه البلاد

حتى لم يعد للمسلمين دولة فى شبه الجزيرة خلال القرنين الأخيرين إلا فى رقعة ضيقة تبلغ نحو ثمن هذه المساحة الجغرافية وإن بقيت مجموعات كبيرة من المسلمين تعيش فى البلاد الخاضعة للحكومات المسيحية ، وكان هؤلاء يدعون « المدَّجنين Mudéjares » أى المسالمين الوادعين . وتعايش هؤلاء مع جيرانهم المسيحيين متمتعين بقدر لابأس به من التسامح أول الأمر حتى سقطت غرناطة فتحولت سياسة الدولة إلى الاضطهاد العنيف .

وسنحاول أن نعرض لمراحل تقلص دولة الإسلام فى الأندلس حتى انهيارها فى النهاية محاولين الاقتراب من الملابسات والأسباب التى أدت إلى هذا الانهيار التدريجى :

١ - بين سنتى ١٢٣ و ١٣٦ (٧٤٠ - ٧٥٣) :

لم تكد تمضى على ملحمة فتح الأندلس ثلاثون سنة حتى ثارت بين الفاتحين فتن وحروب أهلية ضارية ، بسبب ألوان من العصبيات : بين القحطانية والعدنانية ، وبين العرب البلديين (الذين شاركوا فى حملات الفتح الأولى) والشاميين (الذين قدموا بعد ذلك فيما يسمى « طالعة بلج بن بشر القشيرى » فى سنة ١٢٣/ ٧٤٠) ، وأخيرًا بين العرب والبربر . ولم تكن هذه الفتن إلا صدى لسياسة الخلفاء الأمويين فى المشرق ، إذ كانوا يعملون على إثارة العصبيات القبلية التى أتى الإسلام داعيًا إلى نبذها ، فرأى الأمويون تهييجها من جديد ، معتقدين أن ذلك يشغل العرب عن المعارضة السياسية لنظامهم . ومن ناحية أخرى كان كثير من ولاة الأمويين على الأمصار متشبعين بالعصبية للعرب ، فكانوا يعاملون الموالى (الفرس فى المشرق والبربر فى المغرب) معاملة فيها كثير من القسوة . وكان ذلك أيضا خروجًا على مبادىء الإسلام التى سوّت بين المسلمين جميعا على اختلاف أعراقهم وألوانهم . وأدى ذلك إلى ثورة الموالى فانضم الكثيرون منهم إلى الأحزاب المعارضة ولاسيما الشيعة فى شرق الدولة والخوارج

فى غـربها . وهكذا نـشبت ثورات بالغـة العنف فى شمـال إفريقـية مهـددة الوجود الإسلامى نفـسه واضطر الخلفـاء الأمويين إلى ضرب هذه الثورات بكل قوة . أما فى الأندلس فـقد تردد صدى هذه الـثورة فى أنحـاء البلاد خـلال السنوات الأخيـرة من حكم بنى أمـية . وكـان المـسلمون قـد استقروا فى المناطق التـى تقع فى المناطق الشمـالـيـة والشمالية الغـربـية مـن شـبـه الجـزيـرة (أشتوريش Asturias وجليقية Galicia) وكـان أكثـر هؤلاء من البـربر . فلما اسـتعرت نيـران الحرب فى الجنوب أسرع ساكـنو هذه المناطق من عرب وبربر بالهجرة إلى الوسط والجنوب حتى ينضموا كلٌّ إلى فـريقـه ، ودارت بين الجـانبـين معـركة هائلة فى وادى سليط GuaZalete (جنوبى طليطلة) فى سنة ١٢٤ (٧٤١) انتهت بانتصار العرب وكسر شـوكة البربر . وهكذا أخليت المناطق الشمالية من سكانها المسلمين بغير هزيمة . ومن ناحية أخرى أدى اشتـغال الفاتحـين بهذه المـعارك إلى إهمال عـمارة الأندلس فـأخذت الحـقول والمزارع تـخلو من ساكنيـها فوقـعت فى البلاد مـجاعة كبيـرة كانت سببـا آخر فى ازدياد الهجرة من الشمال . وبهذا اتسعت الدويلة المسـيحيـة الناشئة فى أشـتوريش وجليـقية اتـساعاً كـبيـراً بشكل مفـاجىء أصـبـحت به أضعـاف حجـمـهـا الأول وأصبحت تمتد على طول الشريط العريض الواقع بين حوضى نهرى المنيو Rio Min-ho والدويرة Rio Duero وكان احـتلال المسيحيين لهذه المنطقة الواسعة بغير جهد يذكر ، وهكذا خـسر المسلمـون نحو ربع شبه الجزيرة من غيـر حرب ، وإنما نتيجة للخصومات القبلية والعنصرية .

٢ - الفتنة البربرية (بين ٣٩٩ و٤٢٢/١٠٠٨ - ١٠٣٠) :

كـان من لطف الله بالـمـسلمـين فى الأندلس أن قيض لهـا خلال هذه السنوات المـضطربة قـدوم أميـر شـاب من فلول الأسـرة الأموية التى عـصف العبـاسيـون بدولتها فى سنة ١٣٢ (٧٥٠) .

هذا الأمير هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عـبد الملك الملقب بالداخل وبصقـر قريش . وقد اسـتطاع هذا الفتى الأموى الهـرب من مطاردات العـباسيـين

والوصول إلى الأندلس فى سنة ١٣٨ (٧٥٦) فى وقت كان الأندلسيون فيه قد سئموا هذه الحروب الأهلية التى لم تعد عليهم إلا بالخراب . فأسرعوا إلى مبايعته ، وبدأ بذلك بناء الدولة الأموية الجديدة التى قدر لها أن تستمر فى حكم البلاد قرابة ثلاثة قرون : بدأت إمارة مستقلة فلما استقامت أمورها وتحولت إلى دولة قوية غنية موفورة الموارد أعلن أميرها الثامن عبد الرحمن بن محمد نفسه خليفة للمسلمين وتلقب بالناصر لدين الله ، وذلك فى سنة ٣١٦ (٩٢٩) متحديا بذلك خلافة العباسيين فى بغداد والشيعة العبيدية فى القيروان . وكان أمراء بنى أمية قد أحسنوا الاستفادة من دروس التاريخ الماضية ولاسيما من أخطاء خلفائهم فى المشرق . فعملوا على أن يجعلوا من المجتمع الأندلسى المسلم مجتمعًا متماسكا موحدا لا مكان فيه للعصبيات القبلية أو العرقية ، وساسوا البلاد سياسة بعيدة عن الاستبداد الذى اتسم به سلوك العباسيين والعبيديين . فأسندوا أمور دولتهم إلى طائفة من الرجال الأكفاء الذين توخوا اختيارهم بعناية .

وهكذا استطاعوا أن يقيموا نظامًا أقرب إلى الشورى . فقد قسموا إدارة الدولة إلى مجموعة من الوظائف يقوم بها عدد من الوزراء كانوا يدعون « الْخُزَّان » كل له اختصاصه المحدد ، وكان لهؤلاء سلطة الاعتراض حتى على الأمير نفسه . ويكفى للتدليل على ذلك أن نذكر هذا الخبر الذى احتفظ لنا به المؤرخ ابن القوطية فى معرض أخبار المغنى المشهور زرياب . ذلك أن زرياب غنى الأمير عبد الرحمن بن الحكم الأوسط يوماً صوتاً استحسنه فقال : يؤمر الخُزّان أن يدفعوا إليه ثلاثين ألف دينار . فأتاهم صاحب الرسائل بعهد الأمير ، وكان لهؤلاء رئيس هو الحاجب موسى بن حدير تولى الإجابة على مطلب الأمير ، فقال : نحن وإن كنا خزان الأمير أبقاه الله فنحن خزان المسلمين : نجبى أموالهم وننفقها فى مصالحهم . ولا والله ما ينفذ هذا ولا منَّا أحد يرضى أن يُرَى هذا فى صحيفته غدًا : أن نأخذ ثلاثين ألفاً من أموال المسلمين وندفعها إلى مُغَنٍّ فى صوت غناه . يدفع إليه الأمير أبقاه الله ذلك من عنده . فانصرف صاحب الرسائل بهذا

الجواب إلى الأمير ، ولكن عبد الرحمن لم يغضب بل وافق على ماقاله الحاجب وأثنى عليه ودفع لزرياب ما أراد من ماله الخاص ·

وقد سارت أمور الدولة بفضل هذه السياسة الحكيمة على جادة الاستقامة، وبلغت ذروة عظمتها فى أيام عبد الرحمن الناصروابنه الحكم المستنصر (٣٠٠ - ٣٦٦ / ٩١٢ - ٩٧٦) · غير أن الأمور بدأت فى التغير فى أواخر عهد الحكم ، ولعل بداية الاختلال كانت الخروج على التقليد الذى جرى عليه الأمويون من تولية العهد أكفأ الأبناء أو رجال الأسرة · وقد تنبه مؤرخ الأندلس ابن حيان القرطبى بثاقب نظره إلى ذلك فى تقويمه لخلافة الحكم المستنصر إذ يقول :

« انتهت خلافة بنى مروان إلى الحكم تاسع الأئمة فيها ، فتناهت فى السرو والجلالة والكمال والأبهة · ونظم رواة الأخبار وحملة الآثار من مناقبه ماطار كل مطار فى جميع الأقطار· إلا أنه- تغمد الله خطاياه - مع ماوصف من رجاحة كان ممن استهواه حب الولد ، وأفرط فيه ، وخالف الحزم فى توريثه الملك بعده ابنًا فى سن الصبا ، دون مشيخة الإخوة وفتيان العشيرة ومن يكمل للإمامة بلا محاباة ، فرط هوى ووهلة انتقدها الناس على الحكم وعدوها الجانية على دولته · وقد كان يعيبها على ولد العباس قبله ، فأتاها هو مختاراً · ولامَرَدَّ لأمر الله ! · · وذلك أنه نفس بسلطانه على ثلاثة رجال من إخوته ولد الناصر : عبد العزيز شقيقه ، والأصبغ والمغيرة ، مع جماعة من ولد الخلفاء كهول وشبان مافيهم إلا مضطلع بالأمر قوى عليه: فتخطى جماعتهم إلى ابنه هشام وهو فى الوقت طفل ما بلغ الحلم » ·

كان هذا هو الخطأ الأول الذى ارتكبه الخليفة الحكم إذ ولى عهده ابنه الطفل هشامًا مع وجود من كان كفئا لتولى الأمر من إخوته وأبناء عمومته ، مقلدًا فى ذلك ما كان جاريا فى دولة العباسيين فى المشرق · وقد أدى ذلك بعد وفاة الحكم إلى أن هذا الخليفة الطفل أصبح تحت وصاية أمه وبعض الوزراء وقادة الجيش ، فبدأت المؤامرات والدسائس والصراع على

السلطة بين القوى السياسية وانتهى الأمر إلى أن آل الحكم إلى المنصور بن أبى عامر الذى ولى الحجابة (أى رياسة الوزراء) ولكنه فرض على البلاد حكمًا استبداديًا غَيَّر به رسوم الدولة ، فأزال عن طريقه من كان يخشى منافستهم من أكفاء الرجال الذين كانوا دائما من أعمدة نظام حكم الدولة الأموية ·

وأما الخطأ الثانى الذى نص عليه ابن حيان أيضا فهو أن الحكم قد استكثر من استجلاب الجنود المرتزقة من بربر شمال إفريقيا ولاسيما من قبيل صنهاجة ، وكان أمراء بنى أمية الذين سبقوه يستعينون بفرق من هؤلاء الجنود كانوا يدعون « الطنجيين » ولكن بشكل محدود · إذ إنهم كانوا يعتمدون فى نظامهم الحربى على عسكر الأندلس · ولما أتى المنصور بن أبى عامر استكثر من هؤلاء البربر المرتزقة حتى أصبحوا عماد جيشه ، واستغنى بذلك عن كثير من الجنود الأندلسيين لشكه فى ولائهم له · وقد كانت هذه « الأرستقراطية » العسكرية التى أوجدها المنصور هى العامل الأول المحرك لما خضب أرض الأندلس بعد ذلك من الدماء فى الحروب الأهلية · ويقول ابن حيان إن هؤلاء هم السبب فى « إبطال الخلافة وتفريق الجماعة والتمهيد للفتنة والإشراف بالجزيرة على الهلكة »

وكان المنصور بن أبى عامر الذى حكم الأندلس باسم الخليفة الطفل هشام المؤيد فيما بين سنتى ٣٦٧ و ٣٩٢ (٩٧٧ – ١٠٠٢) من أكثر رجال الدولة الذين عرفهم التاريخ دهاءً وأقواهم شخصية · وكان يعرف أنه مغتصب للملك فأراد أن يكتسب أمام شعبه الأندلسى من المآثر ما يؤصل تقديره وحبه ·

فكان الجهاد فى سبيل الإسلام هو طريقه إلى ذلك · ومن هنا كانت غزواته المستمرة للإمارات النصرانية فى الشمال ، وهى غزوات وصلت إلى اثنتين وخمسين بلغ فيها مالم يبلغه حاكم مسلم من قبل ، غير أنها كانت حملات ضئيلة الحصيلة والمنفعة للمسلمين وإن كانت تبهر النظر وتحيط شخصيه قائدها بهالة من المجد ، ذلك لأنه كان يعمد فيها إلى تخريب مدائن النصارى وتدميرها ثم العودة بالأسلاب والغنائم ،

ولم يحـاول أن يحمل رعـاياه على سكنى المناطق التى كانت جيوشـه تفتحها · ولو أنـه فعـل لـرسخـت أقدام المـسلمين فيها ولاستردوا بذلك ما كانوا فقدوه من قبل ·

واستطاع المنصور بشخصيته القوية أن يسيطر على كل القـوى السياسـية فى أثناء حيـاته ، غير أنه بعد وفـاته وبعد سنوات قليلة من ولايـة ابنه عـبـد الملك المظفـر الحجابة انتهت السلطة إلى ابن آخر له هو عبد الرحمن الملقب بشنجول ، وكان فتى أرعن لم تتوافـر له كفاءة أبيه ولا أخـيه ، فـسـرعان مـا نشبت الثـورة التى أعلنهـا المطالبون بـالخلافة من الأسـرة الأموية ، ولكن التنافـس بين هؤلاء وتدخل الفـرق العـسكرية البـربرية انتهـى إلي إشعـال نار الحرب الأهلية التى استمرت نحو ربع قرن وكان ختـامها إلغاء الخلافـة الأموية جملة وبدء عـصر جـديد تمـزقت فيـه الأندلس وهوالمعروف باسم عصر ملوك الطوائف ·

وهكذا أسرع الفساد إلى الدولة الأندلسية التى ظلت على مـدى ثلاثة قرون نمـوذجًا للحكم السليم الصالح ، ومما يصور مأساة الأندلس خلال هذه السنوات المشئومة أن المتنافسين على الخلافـة قد استعانوا بفرق مـرتزقة من الجنـود النصارى من إمـارتى قـشـتـالة وقطـلونيـة وهكـذا بدأ تدخل الدويلات المسيحية فى شئون الأندلس بعد أقل من عشر سنوات من وفاة المنصور بن أبى عامر ·

٣ – بين كائنة بربشتر وسقوط طليطلة :

(٤٥٦ – ٤٧٨ / ١٠٦٤– ١٠٨٥) :

منذ أن ألغـيت الخـلافـة وتغلب كل قـائد أو والٍ على مـا بيـده إذا بنا نرى الأندلس وكانـت دولة واحدة قوية تنـقسم إلى نحوستين دويلة يحكمها أمراء ضعاف قصار الـنظر ، كان هَمُّ كل منهم أن يوسع إمارته على حسابِ جيرانه ، فنشبت بينهم فـتن وحروب لم تنقـطع ، وكان الشـعب الأندلسى المـسلم هو الذى يدفع ثمن كل ما كان يرتكبه هؤلاء الأمراء من جرائم فى حق دينهم ووطنهم · وكـثـيـراً ما حـاول بعض الفقهـاء ورجال الفكر الإصلاح بين هؤلاء الأمراء وإفهامهم مدى جنايتهم على الإسـلام ، فـكانوا يولون مـواعظ هؤلاء الناصحين آذاناً موقرة ، واستمروا سادرين

فى مبـاذلهم وفى صراعاتـهم ، على حين كانت أوروبا التى بدأت تصحو من غفوتها تتربص بهم وترقب أول فـرصة تسنح لكى تلحق بهم ضرباتها ٠

وحانت هذه الفرصة فى رمضان سنة ٤٥٦ (سبتمبر ١٠٦٤) حينما تألفت حملة أوربية كـبيرة دعـا لها البابا واشـترك فيـها «جيوم دى مونترى» حامل شعار البابوية ، وملك أرغـون وكـونت أورخيـل قـائد الجيـوش القطلانية وروبيـركريسبـين قائد جيوش أكويتانيا فى جنوبى فرنسا و « جى جوفـروا » قائد جيوش بواتيـيه وبوردو ٠ فهـاجمت هذه الجـيوش المـؤتلفة مـدينة بربشتر Barbastro الواقعة على سفح جبال البرتات وعـاصمة بـلد برطانية Boltana وكانت مـدينة قد رسخت فـيها الحـضارة الإسلامية منذ الفـتح وكانت تعد من أزهر مدن الثـغر الأعلى ، فـحاصـرها الأعداء محـاصرة طويلة وتقـاعس ملوك الطوائف عن نصرتها ، ففتحـوها بعد مقاومة باسلة من أهلهـا وألحـقـوا بهـا مـن المـذابح والتخريب ما أسهب فى وصفه ابن حيان٠

والحقيقة أن هذه هى أول حملةصليبية بمعنى الكلمة فهى تسـبق الحملة الصليبية الأولى على الشـرق العربـى بنحو أربعـين سنة ٠ ولا شك أن نجـاح الصليبـيين فى الاستيـلاء على بربشتر هو الذى شـجعهم على خوض مغامرتهم الشرقية ٠ صحيح أن المسلمين استردوا المدينـة فى السنة التالية ، ولكن قـدرة الإمـارات الأوربيـة المؤتلفـة على مهـاجمة حـدود الأندلس كشف عن ضعف المسلمين فى هذه البلاد وكان نذيراً بأن مـثل هذه الحـمـلات سـوف تتكرر مادامت الأوضـاع هناك على هذا النحو من التدهور ٠

وحدث ذلك بالفـعل ، إذ لـم تمض على كـائنة بربشتـر عـشرون سنة حـتى روعت الأندلس بالواقعة الكبـرى التى تعد البداية الحقـيقـية لانهيـار سلطان المسلـمين فى البلاد، وتـغير مـيزان القوى لصالح الدول النصـرانيـة ٠ ونعنى بذلك اسـتيـلاء ملك قـشـتـالة فى سنـة ٤٧٨ (١٠٨٥) على طليطلة عـاصمة الـقوط القـديمـة ٠ وأخطر مـا فى الأمر أن طليطلة تقع فى وسط شبه

الجـزيرة فكـان سـقـوطها مـؤذنا بفـصل الجـبهة الشـماليـة (الثغـر الأعلى) عن الجنوب . وبهذا يمكن القـيام بضرب كل منطقـة على حـدة . وهذه الحـقـيـقـة « الإستـراتيجية » هى التى عـبر عنها الفقـيه الطليطلى ابن العسـال فى أبياته التى يقول فيها :

يا أهل أندلس حثوا مطيكم

فما المقام بها إلا من الغلط

الثوب ينسل من أطرافه وأرى

ثوب الجزيرة منسولا من الوسط

وملأت واقـعة طليطلة بالذعـر نفوس ملوك الطوائف ، ولكنهم كانوا أعجز عن محاولة استرداد المدينة ، وبلغ أسماعهم قيام دولة إسلامـية فـتية علـى الشاطىء المقابل للبحر المتوسط هى دولة المرابطين من أهل اللثام التى كان مهدها موريطانيا الحالية والصحراء المغربية ، فبادر ملوك الطوائف تحت ضـغط رعـايـاهم إلى الاستنجاد بيوسف بن تاشفين أمير هذه الدولة ولم يقصر هذا الأمير العظيم فى الاسـتجابة لضريخ الأندلسيين فجـاز المضـيق بقواته والتأم به بعض ملوك الطوائف وتوجه الجيش إلى طليطلـة ،ولم يكد الأذفـونش(ألفونسو السادس) يسمع بقدوم يوسف بن تاشفين حـتى جـمع جـيـوشـه ومن التف به من المتطوعين الفرنسـيـين وسار للقاء التحالف الإسلامى وقـد أسكره غرور ظفـره السهل بطليطلة . ودارت الـمعـركـة الهـائلة فى سهل الزلاقة بجـوار مدينة بطليوس -Bada joz ، وانتـهت (فى سنة ٤٧٩/ ١٠٨٦) بانتصار كـبير للمسلمين أحيـا فى نفوسهم الأمل بتـجدد الدولة : غيـر أن يوسف بن تاشفين لم يعمل على اسـتثمار هذا النصر فى اسـتـرجـاع طليطلة لـظروف ليس هنا محل استقصائها .

ومع أن هذا الانتصـار كان كفـيلا بأن يوقظ ملوك الطـوائف ويقنعـهم بضـرورة الأئتلاف لمواجـهة الخطر المشتـرك فإنهم عادوا - بعد رجوع يوسف بن تاشفين إلى المغـرب - إلى نزاعاتهم وإلى استعـانتهم بالنصارى المـجاورين لهم ، بل وإلى دفع إتاوات لهم . وحينما ضـاقت الرعية بهم بعثـوا وفودًا إلى ابن تاشـفين يدعـونه إلى الجواز من جديد وإلى خلع هولاء الأمراء

الذين لم يعد هناك سبيل لإصلاح أمورهم وهكذا عاد ابن تاشفين إلى الأندلس ، فخلع كل هؤلاء الملوك وأصبحت الأندلس إحدى ولايات دولته الكبيرة . وكان ذلك أول خطوة فى توحيد المغرب والأندلس تحت راية واحدة . ولاشك فى أن حكم المرابطين للأندلس هو الذى حمى هذه البلاد ومد فى عمر الإسلام فيها وقد كان مشفيا على الانهيار .

٤ - سقوط الثغر الأعلى سنة ٥١٢ (١١١٨) :

غير أن المرابطين على الرغم من جهودهم فى حماية الأندلس وفى التصدى لهجمات الممالك النصرانية لم تهنأ لهم الأحوال فى حكم الأندلس ، بل واجهوا صعوبات كثيرة كان من أولها ما كان ينشب من ثورات على حكمهم من جانب الزعماء والقادة الأندلسيين الذين كانوا يرون فى هؤلاء الصحراويين من أهل اللثام شعبا أدنى منهم فى مضمار الحضارة ، فكانوا يضيقون بحكمهم ويتوقون إلى رفع وصايتهم عن أعناقهم متناسين فضل هؤلاء المجاهدين فى حماية أرواحهم وعقيدتهم ومن ناحية أخرى كانت الدولة النصرانية المحيطة بالأندلس لاتكف عن توجيه حملاتها على أرض الإسلام ، وأخطر من ذلك كان الثورة التى أعلنها عليهم فى صميم بلاد المغرب محمد بن تومرت مهدى دعوة الموحدين منذ أوائل القرن السادس . وهكذا رأى المرابطون أنفسهم بين نيران ثلاث : تذمر القادة الأندلسيين وإثارتهم الشغب فى وجوههم ، وحملات الدول النصرانية التى لم تتوقف قط ثم ثورة المهدى فى جبال السوس فى عقر دارهم . وكان عليهم أن يقاتلوا فى هذه الجبهات الثلاث . وقد أدى ذلك إلى انهيار خطوطهم الدفاعية ولاسيما فى الشمال. وأخيراً تمكن ملك أرغون ألفونسو الأول المعروف بالمحارب Alfonso I, el Batallador من الاستيلاء على سرقسطة عاصمة الثغر الأعلى الأندلسى بعد حصار استمر أربع سنوات ، وذلك فى سنة ٥١٢ (١١١٨) .

٥ - من معركة العقاب حتى سقوط إشبيلية :

(٦٠٩ - ٦٤٦ / ١٢١٢ - ١٢٤٨)

كانت القوى التى تكالبت على دولة المرابطين من نصرانية وإسلامية أقوى من أن تتحملها دولتهم ، مع أنهم أخلصوا النية وأبلوا أحسن البلاء فى مدافعة أعدائهم فى

الخارج والداخل . فلم تلبث دولتهم أن انهارت فى المغرب على أيدى الموحدين بزعامة عبد المؤمن بن على أول خلفائهم ووارث دعوة ابن تومرت . ولم يكد الموحدون يحرزون هذا الانتصار حتى جازوا إلى الأندلس فى سنة ٥٤١ (١١٤٧) وانضم إلى دعوتهم كثير من الزعماء الثائرين على المرابطين ، وشرعوا يستولون على القواعد الأندلسية تباعا حتى لم تمض سنوات إلا وقد ورثوا دولة المرابطين فى البلاد ، وورثوا معها مسئولية حماية الإسلام فيها ، وقد اضطلعوا بالفعل بهذه المسئولية بقدر من الكفاءة طوال خلافة السلاطين الثلاثة الأولين: عبد المؤمن بن على وابنه يوسف وحفيده يعقوب المنصور أى إلى نهاية القرن السادس الهجرى . ولعل أبرز مظهر لذلك انتصارهم الكبير على الائتلاف النصرانى الذى حشد بزعامة ملك قشتالة ألفونسو الثامن فى معركة الأرك Alarcos فى سنة ٥٩١ (١١٩٥) وهى معركة كانت تشبه فى ضراوتها معركة الزلاقة ، ولكن يعقوب المنصور لم يستثمرها بدوره فى استعادة مساحة كبيرة من أرض المسلمين المفقودة ، إلا أنها على الأقل حافظت على مابقى فى أيديهم من شبه الجزيرة .

ومع ذلك فقد كان أداء الموحدين العسكرى أقل كفاءة من أداء المرابطين ، هذا على الرغم من أن جيوشهم كانت غاية فى الضخامة وكثافة العدد ، وذلك لأن قياداتهم – وكانت فى الغالب تسند « للسادة » أى أبناء الأسرة الحاكمة – لم تكن على درجة عالية من الكفاءة ، ثم إن الاستكثار من عدد الجنود ولاسيما من المطوعة غير المحترفين وثقل المعدات التى كانوا يستخدمونها وتنافر العناصر التى كانت جيوشهم تتألف منها – كل ذلك كان كثيراً ما يؤدى إلى بطء حركة الجيوش وصعوبة تموينها واضطراب صفوفها .

وقد بدا ذلك واضحًا حينما ولى خلافة الموحدين رجال لم يتمتعوا بمواهب الثلاثة الأول فقد خلف يعقوب المنصور ابنه محمد الناصر الذى أعد حملة كبيرة أراد أن يحقق بها على المسيحيين نصرًا مثل نصر والده . والتقى به من جديد

ألفونسو الثامن زعيم الائتلاف النصرانى الذى منى بالهزيمة قبل · ودارت هذه المعركة فى الموضع المسمى بالعقاب Navas de Tolosa فى سنة ٦٠٩ (١٢١٢) ، ولكنها انتهت بهزيمة ساحقة للمسلمين

وكشفت هزيمة العقاب عن خلل نظام الدولة فى عصر محمد الناصر ومن أتى بعده من خلفاء الموحدين ، وسرعان ما عاد التنافس على الحكم بين الإخوة وأبناء العمومة ، فدارت بينهم حروب أهلية طاحنة كان مسرحها المغرب والأندلس، وبدأت دولة الموحدين مرحلة احتضار بطىء استمر على مدى أكثر من نصف قرن· وانتهزت القوى المسيحية هذه الفرصة فوجهت ضرباتها المتوالية على الأندلس الإسلامية ، لاسيما وقد ولى الحكم ملوك على قدر كبير من الكفاءة والحماسة الدينية فى المملكتين الرئيسيتين : قشتالة وأرغون · أما قشتالة فقد كان يحكمها فرناندو الثالث المعروف بالقديس Fernando III, el Santo (٦١٣ - ٦٥٠ / ١٢١٧ - ١٢٥٢) وهو الذى انتزع من المسلمين قواعدهم الكبرى فى موسطة الأندلس : قرطبة فى ١٢٣٦/٦٣٣ ومرسية فى ١٢٤٣/٦٤٠ وجيان فى ١٢٤٦/٦٤٣ وأخيرًا إشبيلية كبرى مدن الأندلس فى ١٢٤٨/٦٤٦ · وأما أرغون فقد كان يحكمها أيضا ملك لم يكن دون ملك قشتالة مقدرة ورغبة مسعورة فى القضاء على سلطان المسلمين فى شرق الأندلس · وفى خلال حكمه الطويل (٦١٠ / ١٢١٣ - ١٢٧٦/٦٧٤) استطاع أن يستولى على جزر البليار بين سنتى ٦٢٦ و ٦٢٩ (١٢٢٩ - ١٢٣٢) ثم منطقة بلنسية وشرق الأندلس بين سنتى ٦٢٩ و ٦٤٢ / ١٢٣٢ - ١٢٤٥ · وخلال هذه السنوات نفسها نشأت مملكة البرتغال التى تكفلت بالاستيلاء على مدن غرب الأندلس · وهكذا لم تمض أربعون سنة على معركة العقاب حتى كانت ممالك إسبانيا المسيحية تتقاسم معظم ما كان بأيدى المسلمين من أرض الأندلس· وفى هذه الظروف المأساوية ظهر زعيم أندلسى

أوتى قدرًا كبيرًا من الحكمة والشجاعة ، فعمل على استنقاذ مابقى من أشلاء الأندلس مؤسسا آخر دولها الإسلامية فى غرناطة · هذا الزعيم هو محمد بن الأحمر النصرى من سلالة قيس بن سعد بن عبادة الأنصارى ·

مملكة غرناطة حتى معركة طريف (سنة ٧٤١ / ١٣٤٠) :

لم تكن مملكة غرناطة التى أسسها الأمير النصرى محمد بن الأحمر إلا رقعة صغيرة لا تبلغ إلا ثمن شبه الجزيرة · وكانت ظواهر الأمور بعد الزحف المسيحى الجائح الذى انطلق على الأندلس الإسلامية من جبهات ثلاث هى قشتالة وأرغون والبرتغال - نقول : كانت ظواهر الأمور توحى بأن نهاية الإسلام فى الأندلس لم تعد إلا مسألة سنوات معدودة · ومع ذلك فربما كان من غرائب التاريخ أن هذه المملكة الإسلامية الصغيرة استطاعت مواجهة القوى المسيحية المتكالبة عليها على مدى قرنين ونصف قرن · وكان ذلك بغير شك بفضل صلابة الشعب الأندلسى وقدرته على التحمل وبفضل مهارة معظم سلاطين الدولة النصرية وتمكنهم فى براعة سياسية ذكية من محاربة الأعداء بنفس السلاح الذى استخدموه ضد مسلمى الأندلس ، وهو التضريب بين القوى المسيحية ومحالفة بعضها على بعض وانتهاج سياسة تزاوج بين المسالمة والمواجهة الشجاعة إذا اقتضى الأمر ذلك · كذلك استعان الأندلسيون بإخوانهم المسلمين فى العدوة المقابلة لسواحل بلادهم ، وكان يحكم المغرب آنذاك دولة ورثت ملك الموحدين هى دولة بنى مرين ، وكان سلاطينهم الأولون لايقلون رغبة فى الجهاد عن أسلافهم المرابطين والموحدين ·

وقد استمر هذا التعاون النصرى المرينى خلال القرن الأول من حياة دولة غرناطة وإن كان يشوبه أحيانا نزاع أو فتور فى العلاقات . وآتى هذا التعاون أكله فى حماية مملكة غرناطة ، فلم ينتقص من أطرافها شيء تقريبا حتى أواخر القرن الثامن الهجرى . هذا على الرغم من الهزيمة الكبيرة التى منى بها التحالف

النصرى المرينى فى سنة ٧٤١ (١٣٤٠) فى المعركة المعروفة باسم وقعة طريف Batalla del Tio Salado وكان يحكم غرناطة آنذاك أبو الحجاج يوسف الأول ويحكم المغرب أعظم سلاطين بني مرين أوب الحسن . وترتب على محنة المسلمين فى هذه الموقعة تحطيم الأسطول المغربى واستيلاء ألفونسو الحادى عشر ملك قشتالة على ثغرى الجزيرة الخضراء وطريف بالإضافة إلي العديد من المواقع فى شمالى مملكة غرناطة .

غير أن الغرناطيين سرعان ما استعادوا قدرتهم على المبادرة والحركة خلال حكم محمد الخامس الغنى بالله أعظم ملوك بنى الأحمر الذى حكم دولته لفترة طويلة توافق النصف الثانى من القرن الثامن (٧٥٥ - ٧٩٣ / ١٣٥٤ - ١٣٩١) وكان يعاونه فى معظم سنوات حكمه وزيره الأديب المؤرخ المشهور لسان الدين ابن الخطيب . وقد عرف محمد الغنى بالله كيف يزاوج فى علاقاته بالممالك النصرانية المجاورة بين المهادنة والحرب واستطاع أن يبث هيبته فى نفوس الملوك المجاورين وأن يمنح الشعب الأندلسى فترة طويلة من السلام والرخاء . وهكذا تجاوزت غرناطة محنة معركة طريف وبدت فى صورة من القوة المتجددة .

غرناطة خلال القرن التاسع :

قرن كامل انقضى بين وفاة أعظم سلاطين غرناطة محمد الغنى بالله وسقوط غرناطة الأخير فى أيدى الملكين الكاثوليكيين (٧٩٣ - ٨٩٧ / ١٣٩١ - ١٤٩٢) وهو القرن الذى يوافق احتضار هذه الدولة البطيء إلى أن أفضت إلى النهاية المحتومة . وقد ضنت علينا المصادر بأخبار مملكة بنى الأحمر خلال هذه الفترة الأخيرة ، فلسنا نجد فيها مؤرخين كباراً يتتبعون أخبارها كما كان الأمر بالنسبة للقرن الثامن الذى ازدان بشخصية الوزير المؤرخ الأديب لسان الدين بن الخطيب (توفى ٧٧٦ / ١٣٧٤) . وكل ما لدينا حول غرناطة خلال القرن التاسع أخبار متفرقة احتفظت لنا بها موسوعات عامة مثل نفح الطيب وأزهار الرياض للمقرى أو مدونات تاريخية

صغيرة مجهولة المؤلف مثل كتاب أخبار العصر فى انقضاء دولة بنى نصر ، وفيه تاريخ للسنوات الأخيرة من حياة هذه الدولة . ولهذا فإننا كثيرًا ما نلجأ للمدونات المسيحية التى نجد فيها تفاصيل أكثر حول الدولة النصرية مما نجده فى المصادر العربية . حتى أسماء ملوك بنى نصر وتواريخ حكمهم لا تسلم من الاضطراب والتناقض. ومازال جدول أنساب هؤلاء الملوك وتسلسل إمارتهم غامضا لم يستقر بعد .

أما الحياة السياسية فقد كانت تتسم بالاضطراب الشديد ، ويكفى أن نذكر أن معظم ملوك هذا القرن ولوا الحكم أكثر من مرة وذلك لكثرة الانقلابات التى كان يدبرها ضدهم أفراد من الأسرة الحاكمة ممن كانت تحدو بهم المطامع إلى تدبير انقلابات على السلطان القائم ، غير أن السلطان المخلوع كان بدوره يعمل جاهدًا على استرداد العرش. وكثيراً ما رأينا هذه النزاعات الدموية تنشب بين الإخوة أو بين الأب وابنه كما حدث فى آخر سنوات غرناطة حينما وقع ذلك الصراع العنيف بين أبى الحسن على وابنه أبى عبد الله محمد الذى تم على يديه سقوط غرناطة الأخير. وقد بلغ اضطراب الأمور حدًا رأينا معه أحد سلاطين غرناطة وهو محمد التاسع الغالب بالله الملقب بالأيسر يلى عرش البلاد خمس مرات على الأقل مابين سنتى ٨٢١ و ٨٥٨ (١٤١٩ - ١٤٥٤)، إذ تتخلل حكمه ثورات وانقلابات متعاقبة، مع أنه كان من خير ملوك غرناطة وأحكمهم تدبيرًا وأكثرهم شجاعة . وأسوأ ما كان فى هذه الانقلابات هو أنها كانت دائماً بتدخل أو بتحريض من ملوك قشتالة وكان الأمير الطامع فى العرش المضطلع بالثورة كثيرًا ما يسلم للملك المسيحى لقاء معونته عددًا من المدن أو القلاع أو يدفع له إتاوة باهظة أو يتعهد بالخضوع الكامل له . فإذا وصل هذا الثائر إلى العرش وأخل بوعوده - وكان ذلك كثيرًا ما يحدث إما تحت ضغط جماهير الشعب أو نتيجة صحوة ضمير يسترد خلالها شيئا من النخوة والحمية - فإن الحملات المسيحية المتوالية لاتفتأ تشن غاراتها على أرض غرناطة منتزعة بالقوة مالم تستطع أخذه بالمعاقدات والعهود . والحقيقة أن العلة

الأولى فى هذا الاضطراب السياسى هو ماسبق أن أشرنا إليه مما أصبح عرفاً سائدًا فى كل دول الإسلام ، وهو عدم تحديد نظام ثابت لولاية الملك منذ أن استبدل بالشورى مبدأ وراثة الخلافة . ولم تكن دولة غرناطة بدعًا فى ذلك ، غير أن الأمر هنا كان أخطر ، إذ إن هذه الدولة الإسلامية الصغيرة التى بقيت جسمًا غريباً فى قارة أوربا المسيحية كانت محاطة بالأعداء من كل جانب ، وكانوا أعداء يزدادون شراسة يومًا بعد يوم .

ولهذا فإننا نعد من عجائب التاريخ أنه على الرغم من هذه الأحوال التى كانت تتفاقم سوءًا فإن مملكة غرناطة استطاعت أن تقاوم ذلك الزحف المسيحى المستمر على مدى قرن كامل . وقد كانت من قبل- حتى نهاية القرن الثامن - تستمد بعض القوة من المعونة التى كانت تتلقاها من بلاد الشمال الإفريقى المجاورة ولاسيما من دولة بنى مرين فى المغرب الأقصى ، فالواقع أن المغاربة لم يقصروا أبدًا فى مَدِّ يَدِ العون لدولة غرناطة باسم الجهاد فى سبيل نصرة الإسلام . غير أن أحوال المغرب تدهورت تدهورًا خطيراً خلال القرن التاسع الهجرى ، ونشب النزاع أيضا بين أفراد الأسرة المالكة فى المغرب فأصاب حكوماته العجز والشلل حتى لم يعد قادرًا على حماية أراضيه فضلا عن تقديم المساعدة لغرناطة باسم الأخوة الإسلامية . وضاعف من هذا العجز استيلاء المسيحيين على المواقع البحرية التى يمكن أن تصل عن طريقها المعونات إلى الأندلس مثل الجزيرة الخضراء وجبل طارق وطريف . وكثيرًا ما شخص الغرناطيون بأبصارهم إلى بلاد المشرق الإسلامية ، فبعثوا سفارات إلى تونس حيث كان الحفصيون يحكمون وإلى مصر يستصرخون سلاطينها المماليك ، ولكن تونس ومصر كانتا فى حالة لاتقل سوءاً عما كان يسود الأندلس ، فقد كانت الدولتان هناك فى أواخر القرن التاسع تلفظان آخر أنفاسهما . ولهذا فلم تظفر غرناطة منهما إلا بالتمنيات الطيبة والتأييد العاطفى . وأحيا الأمل فى نفوس الغرناطيين ماوصل إلى أسماعهم من استيلاء السلطان العثمانى محمد الفاتح

على القسطنطينية سنة ٨٥٧ (١٤٥٣) فبعثوا بسفارة إلى هذا السلطان أيضا ، غير أن العثمانيين كانوا مشغولين بتدبير خططهم لفتح الشرق العربى من ناحية وللامتداد عبر أوروبا الشرقية من ناحية أخرى ، فلم يولوا صريخ الأندلسيين آذانا صاغية . بل إن هذا التوسع العثمانى فى أوربا المسيحية زاد من ضراوة المسيحيين الغربيين وتصميمهم على القضاء على دولة الإسلام فى ذلك الطرف القصى من جنوبى القارة الأوربية ،حتى أصبح طابع حرب غرناطة طابعًا صليبيًا خالصا تعاونت فيه جميع بلاد أوربا الغربية . وانعكس ذلك أيضا على معاملة المسلمين الذين كانوا يعيشون فى قشتالة وأرغون والبرتغال وهى الدول التى كانت تتقاسم شبه الجزيرة ، وكان هؤلاء المسلمون الذين اصطلح على تسميتهم بـ « المدجَّنين » (mudéjares) ينعمون حتى ذلك الوقت بتسامح نسبى، فتغيرت العلاقات معهم خلال القرن التاسع الهجرى وأصبحوا يلقون من الحكومات المسيحية معاملة تزداد خشونة وسوءاً يومًا بعد يوم .

ولنا أن نتصور كذلك مدى تدهور الأحوال الاقتصادية فى غرناطة الإسلامية نتيجة للضعف السياسى المتزايد ، فقد أدت الثورات والانقلابات بالإضافة إلى استيلاء المسيحيين على الثغور والمرافىء الرئيسية للبلاد إلى كساد التجارة ، وكانت الحملات التى لاتفتأ قشتالة تشنها على الأراضى الغرناطية تهدف إلى انتساف البسائط وإتلاف الزراعات وانتهاب مايقع فى أيدى الغزاة من مواشى وأغنام . ثم كانت الإتاوات التى فرضها القشتاليون على ملوك غرناطة كلما عقدوا هدنة أو صلحًا ، فيضطر الملوك إلى فرض مزيد من الضرائب على الرعية . كل ذلك أثقل كاهل الغرناطيين ، وأدى إلى ارتفاع أسعار السلع وإلي تضخم متزايد . وقد كشفت لنا الوثائق الغرناطية التى حققها المستشرق الغرناطى لويس سيكودى لوثينا - وهى فى جملتها عقود بيع وشراء وعقود زواج وهبات ومعاوضات - عن مدى ماكان يعانيه الغرناطيون من وطأة الغلاء وتردى الاقتصاد ، هذا مع قلة موارد غرناطة الإسلامية بطبيعتها ، فهى منطقة أكثرها جبلى وعر يسوده الجفاف . وكأن ذلك لم

يكن كافيا ، إذ انتشرت فى البلاد خلال القرن التاسع بعض الأوبئة مثل الطاعون ، كما اجتاحت حقولها أسراب من الجراد غير مرة ٠

وعلى الرغم من كل هذه الأحوال التى كانت منذ أوائل القرن التاسع توحى بقرب النهاية فقد استطاعت هذه الدولة الأسلامية الصغيرة التى تركت تواجه مصيرها وحدها بغير أن تتلقى من العالم الإسلامى حولها معونة تذكر - نقول استطاعت غرناطة أن تقاوم على مدى قرن كامل ٠ بل إننا رأينا هذا الشعب المسلم مع قلة عدده وإحاطة الأعداء به ينهض بعد كل عثرة فإذا به وكأنه قد دبت فيه حيوية جديدة ، فلا يكتفى بأن يصد هجمات الأعداء بل يتقدم جنوده وأكثرهم من المتطوعين فيتحولون إلى الهجوم ويتوغلون فى الأراضى القشتالية المتاخمة لهم ويوقعون الهزائم الفادحة بجيوش الأعداء كما حدث فى سنة ٨٥٢ (١٤٤٨) حينما اجتاح الغرناطيون أرض قشتالة فأوغلوا فى مناطق مرسية وجيان ووصلوا إلى قرطبة عاصمة الخلافة القديمة ٠ بل إننا نرى الغرناطيين فى سنوات الحصار الأخيرة فى عهد السلطان أبى الحسن ثم فى عهد ابن أخيه أبى عبد الله محمد آخر ملوك غرناطة - يكسرون طوق الحصار وينتقلون من الدفاع إلى الهجوم فى بسالة منقطعة النظير ٠

هذه الفورات التى نراها متكررة متجددة على طول القرن التاسع تحتاج إلى وقفة لتفسيرها ٠ فهى تدل على أن هذا الشعب كان فى جوهره لم يطرأ إليه الفساد الذى أصاب كثيراً من قياداته ٠ فعلى حين نرى التنافس على العرش يفرق صفوف الأسرة الحاكمة ويحمل بعض أفرادها على الخيانة الصريحة لقضية الدين والوطن فإن جماهير الشعب كانت أنضج وعيا وأسلم كيانا من هؤلاء الأمراء ، بل لعل المحن التى كانوا يتعرضون لها هى التى زادتهم صلابة وقوة ٠ ولهذا فإننا ننكر مايردده كثير من المؤرخين حينما يتحدثون عن أسباب انهيار الدولة الأندلسية فى عصرها الأخير إلى ماشاع فى أوساط الشعب من فساد أوما ينسبونه إلى الأندلسيين من الميل إلى الترف والإغراق فى اللذات ٠ لقد كان

الشعب الأندلسى واعيًا ومدركاً لهذه الحقيقة : وهى أن بلاده كانت آخر خط دفاعى عن الإسلام فى مواجهة أوربا المسيحية ، فجاهد فى الذود عن دينه ووطنه بكل ما وهبه الله من قوة ، ولو أن قيادات هذا الشعب كانت على مستوى التبعة ، ولو أن المسلمين فى البلاد الإسلامية المجاورة كانوا أقل سلبية وانصرافًا عن واجب الجهاد لما انتهى أمره إلى ماانتهى إليه .

وإذا كنا قد تحدثنا عن الفرقة والتنازع بين أمراء الأسرة الحاكمة وكون ذلك هو السبب الأكبر فى انهيار دولة الإسلام فى الأندلس فإن الانصاف يقتضى منا أن نعترف لبعض ملوك هذه الدولة بالنخوة والشجاعة ، وكثير منهم كان يتميز بالدهاء وحسن التدبير ، فقد عرفوا كيف يحاربون أعداءهم بمثل سلاحهم ، إذ إنهم كانوا يعملون أيضا على التضريب بين ملوك إسبانيا المسيحية بعضهم ببعض ، فحالفوا ملوك أرغون مثلا على ملوك قشتالة وكانوا يعملون على إيواء الثائرين والمتمردين من مملكة قشتالة وتشجيعهم على إعلان الثورة على ملوكهم ، واستطاعوا بذلك أن يمدوا فى عمر دولتهم ماكان يبدو أنه على وشك الانقطاع . وأعانهم على ذلك ماكان يضطرب فى الدول المسيحية المجاورة لهم من ثورات من جانب النبلاء الإقطاعيين أو ما كان يشتعل بينها من حروب أهلية . ولهذا فقد استطاعوا الحفاظ علي دولتهم الهشة طالما بقيت إسبانيا المسيحية موزعة بين قشتالة وأرغون ونبارّة ، بالإضافة إلى البرتغال المجاورة . ولم تسقط دولة غرناطة إلا بعد أن توحدت قشتالة وأرغون بعد زواج ملكة الدولة الأولى إيزابيل من ملك الدولة الثانية فرناندو فى سنة ٨٧٣ (أكتوبر ١٤٦٩) فقد أصبح هذا الزواج وما أعقبه من اندماج الدولتين هو أكبر مسمار يدق فى نعش آخر دول الإسلام فى الأندلس .

ولست أشك فى أن هذه الصلابة التى تميز بها شعب غرناطة المسلم حتى فى سنوات محنته الأخيرة إنما ترجع إلى عمق تدين الأندلسيين وتمسكهم بالقيم الإسلامية على نحو نعتقد أنهم فاقوا فيه كثيرا من الشعوب المسلمة فى المشرق . فقد ظلت الأسرة الغرناطية - وهى نواة الجماعة - متماسكة وعلى قدر كبير من الألتزام بالقيم الخلقية ، ولم يصبها ما أصاب الأسرة

الحاكمة من تفككك وفرقة . ولعل مما يدل على ذلك أن الحياة الثقافية والعلمية ظلت فى غرناطة الإسلامية خلال هذا القرن الأخير على جانب كبير من النشاط. وعلى الرغم من قلة ماوصل إلينا من النتاج الفكرى الغرناطى ومن ضياع أكثره فإن الشواهد التى جمعناها حول هذا النتاج تدل على أن هذا الشعب الأندلسى ظل كما كان أسلافه من أكثر الشعوب الإسلامية حرصاً على التعلم وإقبالا على الأخذ بأسباب المعرفة . فنحن نجد فيما أثبتة لنا كتب التراجم عدداً كبيراً من الفقهاء والمحدثين والنحاة والشعراء والأطباء وعلماء الفلك والرياضيات يبرزون فى القرن التاسع . وكثير من هؤلاء العلماء ورجال الثقافة كانوا يزاوجون بين نشاطهم العلمى والجهاد بأيديهم . حتى أهل الحرف والصناعات كانوا يزاولون أعمالهم وفنونهم فى همة لم تفتر أبدا . والدليل على ذلك ماوصل إلينا من أوصاف للصناعات والفنون الغرناطية مما ورد فى كتب الرحلات سواء منها الأوربية أو العربية ، كما نرى فى رحلة Navajero الإيطالى ورحلة عبدالباسط بن خليل المصرى .

شهود على النهاية الأخيرة :

أشرنا فيما سبق إلى ندرة المصادر التاريخية التى تطلعنا على أخبار هذه الفترة الحزينة من تاريخ غرناطة الإسلامية . ومع ذلك فقد بقيت من هذا التراث الغرناطى بقية صالحة نعد كاتبيها شهوداً على هذا العصر الذى أسلمت غرناطة فيه الروح وإن كانت قد قاتلت فى سبيل وجودها إلى آخر رمق .

هؤلاء الشهود عديدون منهم فقهاء ونحاة وأدباء ورحالة وكتاب فهارس جمعوا فيها تراجم شيوخهم ، غير أننا سنكتفى بشاهدين متميزين أحدهما أديب موسوعى هو أبو يحيى ابن عاصم ، والآخر شاعر من عامة الشعب هو عبد الكريم البسطى .

أما الأول فهو أبو يحيى محمد بن محمد بن عاصم القيسى (المتوفى فى نحو سنة ٨٥٧ / ١٤٥٤) الذى كان من أسرة غرناطية اشتهرت بالعلم وتولى كثير من أفرادها مناصب كبيرة فى الدولة ، فقد كان جده الأعلى محمد بن عاصم من

أعلام القرن الثامن الهجرى ، واشتهر بالعلم والفروسية · وابن عم أبيه أبو يحيى محمد بن عاصم كان فقيها وكاتبا وصاحباً للأحكام فى غرناطة أخذ العلم عن أبى إسحاق الشاطبى الأصولى صاحب « الموافقات » وعرف بالشهيد لأنه استشهد فى الوقعة التى أخذ النصارى فيها مدينة أنتقيرة سنة ٨١٣ (١٤١٠) · ووالده هو الفقيه المشهور أبو بكر محمد بن عاصم (ت ٨٢٩ / ١٤٢٦) قاضى الجماعة بغرناطة ومؤلف كتاب « تحفة الحكام » وأرجوزة فى الأصول وقصيدة فى القراءات وكتاب « حدائق الأزاهر فى مستحسن الأجوبة المضحكة والحكم والأمثال والحكايات والنوادر » وغير ذلك من المؤلفات التى تشهد بسعة معرفته ·

أما أبو يحيى هذا فقد ولد فى أواخر القرن الثامن ودرس على أبيه وغيره من شيوخ غرناطة ، ويظهر أنه تولى الكتابة الديوانية بعد وفاة أبيه الذى كان يتولاها أيضا (فى سنة ٨٢٩ هـ) وبعد ذلك بسنوات ولى قضاء الجماعة فى غرناطة سنة ٨٣٨ (١٤٣٥) مع حداثة سنه آنذاك ، فقد كان يناهز الأربعين من عمره ، وكان من أصفياء سلطان غرناطة محمد الأيسر الذى ولى الملك خمس مرات (مابين سنتى ٨٢١ و ٨٥٨ / ١٤١٩ - ١٤٥٤) وفى سنة ٨٥٧ (١٤٥٣) قدمه محمد الأيسر فى ولايته الأخيرة للنظر فى شئون الفقهاء ، وذلك يعنى الإشراف على الحياة الفقهية والثقافية كلها · ويقول مترجموه إنه ولى اثنتى عشرة خطة ما بين القضاء والكتابة والوزارة والخطابة والإمامة وغير ذلك من التضلع فى سائر العلوم ، ولهذا لقبه معاصروه بـ « بن الخطيب الثانى » ·

ويبدو أن تشبيهه بالوزير الكاتب المشهور ابن الخطيب كان صحيحا تماما ، فقد خاض غمار السياسة كما فعل صاحبه من قبل ، وأدى به ذلك إلى نهاية مأساوية فاجعة ، إذ إنه لقى مصرعه أيضا من جراء ذلك ، فقد نشبت الثورة ضد محمد الغالب بالله المعروف بالأيسر ، وهى الثورة التى قتل فيها مخدومه ، وقام الثوار بذبحه هو أيضا فى نحو سنة ٨٥٧ (١٤٥٤) بسبب صلته الوثيقة بهذا السلطان · وهذا مظهر من مظاهر المحنة التى طالما أودت بالمثقفين والعلماء على أيدى المتوثبين على السلطة ·

ولابن عاصم مؤلفات عديدة أهم ماوصل إلينا منها كتابه « جنة الرضا فى التسليم لما قدر الله وقضى » وكان من حسن الحظ أن قام بتحقيق هذا الكتاب ونشره الباحث الأردنى الدكتور صلاح جرار فى ثلاثة مجلدات بعمان سنة ١٩٨٩، فأسدى بذلك خدمة جليلة للمشتغلين بالدراسات الأندلسية ولاسيما فيما يتعلق بتاريخ دولة الإسلام فى غرناطة خلال القرن التاسع الهجرى ٠

وقد عاش ابن عاصم خلال هذه السنوات المضطربة التى توافق النصف الأول من القرن التاسع ، وتوثقت صلته بالسلطان محمد الأيسر الذى ولى له الكتابة والوزارة والقضاء ٠ وكان هذا السلطان أعظم ملوك غرناطة خلال القرن التاسع على الرغم من الأزمات التى أحاطت بفترة ولايته ، إذ خلع عن عرشه أربع مرات من جراء ما كان يدور فى بلاطه من مؤامرات وثورات لقى مصرعه هو وصفيه ابن عاصم فى آخرها ، ومع ذلك فقد كان من أكثر ملوك عصره دهاءً ومهارة فى إدارة شئون الدولة ، وكانت سياسته تقوم على المزاوجة بين مهادنة أعدائه من ملوك قشتالة إذا رأى ذلك كفيلا بتوفير جو من الأمان لمملكته ، فإذا لم يجد مناصاً من المواجهة خاض غمار الحرب مجاهدًا بنفسه أو بقواده ، وكثيراً ما أحرز انتصارات كبيرة على أعدائه القشتاليين كما حدث فى سنة ٨٥٢ (١٤٤٨ - ١٤٤٩) حينما أوقع بهم هزائم متوالية سجلها ابن عاصم فى رسالة مشهورة « فى قصد التنبيه على هذه اللطائف والإيقاظ لأرباب الدولة من الغفلة » وقد أورد هذه الرسالة بنصها فى كتابه « جنة الرضا » (٢ / ٢٨٩ - ٣١١)

على أن ابن عاصم بحكم تمرسه بالسياسة فى أيامه ومعرفته ببواطنها ماكان لينخدع بهذه الانتصارات ، فقد كان يعرف أن الجو السياسى فى غرناطة بما كان يستشرى فيه من فساد ومؤامرات وأطماع ماكان ليضمن الاستقرار الذى يؤدى إلى صلاح الأحوال ، ولهذا فإن جوالتشاؤم هو الذى يسود معظم صفحات الكتاب ،

ويكفى أن نشير إلى عنوانه الذى يوحى بالاستسلام لقدر محتوم ماكان لبلاده منه مفر . فالهدف الأساسى من كتابه هو تذكير القارىء بأن الأيام دول وأنه لاثبات لحال بل ينبغى على العاقل أن يكون حذرًا من صروف الدهر وتقلب الدول : « أما بعد ، فإن فى حوادث الأيام لأولى الأفهام اعتبارًا ، وفى طوارق الليالى لأرباب الهمم العوالى اختبارًا ، وفى مجارى الأقدار للذوات الشريفة الأقدار استظهاراً . . . » (ص ٩٤ من المجلد الأول) ثم يقول : « وإنى وقفت بالحنكة والتجربة من استحالة أحوال الدنيا وسرعة تقلبها إلي الغاية القصيا مما كان لى مدركا علميا وحاصلاً حصولاً حكمياً على عجائب حتى ليس فيها عجائب ، وغرائب تستحلى بها أسمار وتحدى نجائب ، شاهدت فيها أنواعًا من العبر ، وعاينت بها أشباها من الآيات الكبر ، ووقفت منها على أنموذج من قيام الساعة ، واعتبرت منها بمختلف من عاقبة المعصية والطاعة ». (المجلد الأول ١ / ٩٥)

وهو لهذا يستشهد ببيتين لأبى العتاهية فى الحديث عن تقلب الدول وزوال السلطان من ملك إلى آخر :

ما اختلف الليل والنهار ولا
دارت نجوم السماء فى الفلك
إلا لنقل السلطان عن ملك
قد انقضى ملكه إلى ملك
(٩٧/١)

إحساس ابن عاصم بقرب وقوع البلاء وتوقع النهاية - مع أن غرناطة لم تكن فى أسوأ أحوالها أيامه - هو الذى يحمله على أن يبنى كتابه على أنواع ما سماه بـ « الابتلاءات » ، فهو يقول « إن هذه الابتلاءات المعهودة فى هذه الدار لايخلو أن تكون متوقعة فى الاستقبال أو واقعة فى الحال ، وأيًا ما كانت فلا يخلو أن تكون فى المقتنيات العزيزة على النفوس كالمال والجاه وما أشبه ذلك أو فى النفوس ومالحق بها من أعضاء وقوى . . . ثم لا يخلو الواقع من ذلك فى الأموال وماشابهها أو فى النفوس وماشاكلها أن يكون مأمول الجبر مرجو الارتفاع أو غير مأمول الجبر ولا مرجو الارتفاع » ولهذا فهو يوزع تلك « الابتلاءات » على ست صور :

١ - أن يكون الإبتلاء فى القتنيات العزيزة على النفوس كالمال والجاه وما أشبه ذلك متوقعا فى الأستقبال وليس واقعا فى الحال .

٢ - أن يكون الأبتلاء فيها واقعا فى الحال وهو مأمول الجبر ومرجو الزوال.

٣ - أن يكون الأبتلاء فيها واقعاً فى الحال إلا إنه غير مأمول الجبر ولامرجو الزوال .

٤ - أن يكون الابتلاء فى النفوس أو ماالحق بها من أعضاء وقوى متوقعًا فى الاستقبال وليس بواقع فى الحال .

٥ - أن يكون الابتلاء فيها فى الحال وهو مع ذلك مرجو الزوال .

٦ - أن يكون الابتلاء فيها واقعًا فى الحال إلا أنه غير مرجو الارتفاع والزوال . (١/١٠٨ - ١٠٩) .

ثم يفصل أنواع هذه الابتلاءات ويذكر تحت كل نوع منها جزئيات متعددة ويأتى عليها بشواهد كثيرة ، تكاد كلها تمثل جو الخوف وتوقع البلاء فى كل لحظة . إذ يقول فى الحديث عن الصورة الأولى للابتلاء « فما من قنية مالية أو جاهية إلا وهى بصدد الذهاب والزوال فى كل لحظة » (١/١٧٩) وهو يضرب على هذه الصورة مثلا بالثورة التى قام بها الرئيس إسماعيل أحد أمراء بنى الأحمر فى قمارش Comares فى صفر سنة ٨٥٤ (منتصف مارس ١٤٥٠) منتزيا على السلطان محمد الأيسر (التاسع) وكان الرئيس إسماعيل هذا لاجئا إلى قشتالة فى خدمة ملكها . فحرضه الملك القشتالى على الثورة وأمده ببعض قواته فاحتل قمارش ثم مالقه Malaga وكانت فتنة كبيرة تداركها السلطان إذ حاصره وضيق عليه حتى انفض عنه أنصاره وانتهى الأمر بمقتله (١/١٩٠ - ١٩٣) .

وعلى الرغم من أن ابن عاصم يذكر من أنواع الابتلاء مايؤمل فيه الجبر ويرجى الزوال فإن أكثر حديثه عن الحالات التى لايرجى فى الابتلاء بها ارتفاع ولازوال ، وهو ما يؤكد الصورة القاتمة التى تغلب على كتابه . فهو يردد مادرج عليه المؤلفون ولاسيما فى هذا العصر من أن الزمان إلى فساد ، وهو فساد لامحيص منه

ولاراد له، إذ يقول : « وقد انتصف القرن التاسع، وتباعد بنا عن مظان رحمة الله الوطن الشاسع » (١ / ١٠١) .

وحينما يتحدث عن السلطان نحس بالخوف الذى يتملكه ، فقد كان الرجل قريباً من السلطان ، وهو يعرف أن الملوك فى جميع الدول الإسلامية كانوا قد تحولوا إلى طغاة مستبدين، ولهذا فإنه على حظوته من سلطانه وجاهه فى دولته يتوقع تقلب الأحوال فى أى لحظة ، ويحمله ذلك على المداراة ، فلا يصارح بنقد الملوك وإنما يحاول تلمس الأعذار لهم .

يقول : « السلطان مظهر لحكم الله فى الوجود ، وسبب يناط به ماقَدَّر الله من رزق أومنح من جود ، إلى سوى هذا من أحكام دائرة بين نقض وإبرام هو فيها بحسب إرادة الله مصرف » (١ / ٩٩) .

وهو يرى أن مصير السياسة إلى فساد، ولكنه يستند فى ذلك إلى حديث نبوى شريف حتى لايتهم بالنقد أو الاعتراض . وهذا الحديث هو « سيليكم أمراء يفسدون ، ومايصلح الله بهم أكثر ، فمن عمل منهم بطاعة الله فله الأجر وعليكم الشكر ، ومن عمل منهم بمعصية الله فعليه الوزر وعليكم الصبر» (١/ ١٠٠ والحديث فى مسند أحمد بن حنبل ١ / ٤٢٤) . ولهذا فإنه يلقى بالتبعة على الرعية ومن جديد يستند إلى الحديث النبوى « كما تكونون يولى عليكم » فيعلق عليه بقوله : « فالحق فيها أن نستغفر الله ونتوب إليه ، فيصلح لنا سيرتهم ونسترشد الله لبصائرنا وسيرشد الله بصيرتهم » (١ / ١٠٠) .

ويشارك ابن عاصم فى هذا الرأى مؤلف غرناطى معاصر له وكان مثله قاضياً للجماعة هو ابن الأزرق فى كتابه « بدائع السلك فى طبائع الملك » (الذى كتب سنة ٨٨٢ / ١٤٧٧) إذ يقول : « يجب على الرعية ملاحظة أن جور السلطان وعماله نتيجة أعمالها الحائل عن نهج الصراط السوى لما سبق من تقرير مدلول قولهم « كما تكونون يولى عليكم » وبذلك أجاب ابن الجزار السرقسطى عن المستعين ابن هود - أحد ملوك الطوائف - وقد تشكى إليه بعض رعاياه من بعض عماله :

نسبتم الجور لعمالكم

ونمتم عن سوء أفعالكم

لاتنسبوا الجور إليهم فما

عمالكم إلا بأعمالكم

تالله لو ملكتم ساعة

لم يخطر العدل على بالكم

(بدائع السلك ١ / ٢٣٥)

على أن المؤلف يعرف أن بقاء الإسلام فيما بقى من شبه الجزيرة رهين بائتلاف القلوب واجتماع الشمل ، وهو أمر لعل الأندلس هى خير نموذج لكونه حقيقة لامجال للشك فيها ، فالاتحاد والفرقة فى بلاد الشرق العربى قد يكونان دافعين إلى القوة أو الضعف ، أما فى الأندلس فهما خطتا وجود أولا وجود ، وقد فطن إلى هذه الحقيقة مؤرخو الأندلس منذ قديم . نراها مبسوطة فيما كتبه ابن حيان وابن حزم فى منتصف القرن الخامس الهجرى ، ومازال مفكرو الأندلس وصفوتها المثقفة ينبهون إليها ، فوعاها الشعب ولكن قياداته لم يستوعبوها كما ينبغى . يقول ابن عاصم : « ومن استقرأ التواريخ المنصوصة وأخبار الملوك المقصوصة علم أن النصارى - دمرهم الله - لم يدركوا فى المسلمين ثارا ، ولم يرحضوا عن أنفسهم عارا ، ولم يحرقوا من الجزيرة منازل وديارا ، ولم يستولوا عليها بلاداً جامعة وأمصارا ، إلا بعد تمكينهم لأسباب الخلاف واجتهادهم فى وقوع الافتراق بين المسلمين والاختلاف، وتضريبهم بين ملوك الجزيرة ، وتحريشهم بالكيد والخلابة بين حماتها فى الفتن المبيرة » (٢/ ٢٩٦ - ٢٩٧) ثم يقول وكأنه يتنبأ بالمصير الذى قدر أن يأتى بعد نصف قرن : « تعلمون حقا أن هذا الوطن الأندلسى كان قد تعين للهلاك بسبب هذا الخلاف، وتوقعت القلوب المشفقة حدوث الفاقرة بوقوع هذا الاختلاف » (٢ / ٣٠١) .

ولكن الملوك ظلوا سادرين فى فرقتهم وخلافهم ولم يستوعبوا دروس التواريخ المنصوصة ولا الأخبار المقصوصة ، فحلت الفاقرة . . .

ترى هل استوعب ملوكنا وقادتنا هذا الدرس بعد خمسة قرون من سقوط غرناطة ؟

ومع ذلك فلكل قاعدة استثناء يؤكدها . فالمؤلف يذكر من العجائب استرجاع المسلمين لكثير من الحصون التى فقدوها ، وذلك في أيام الفتنة الناشبة بين يوسف بن أحمد بن نصر (يوسف الخامس) والسلطان محمد الأيسر ، فقد حمل كل من السلطان والثائر عليه راية الجهاد وتنافسا فى التصدى للعدو ، كسبًا لمشاعر الجماهير ، فكانت النتيجة أن أحرز كل منهما انتصارات هائلة ، ويبدى ابن عاصم تعجبه من ذلك إذ يقول إن هذا هو مالم يتح للمسلمين أثناء الاجتماع والألفة (٢/ ٢٧٩ - ٢٨٤) . ولم يورد ابن عاصم تفسيرًا لهذه الظاهرة التى قد يفهم منها نقض القاعدة المستقرة ، ولكن معاصره ابن الأزرق الذى تورك فى كتابه على مقدمة ابن خلدون فطن إلى تعليل يستند إلى نظرية ابن خلدون حول العمر الطبيعى للدولة ، حيث يقول : « وربما تحدث عند آخر الدولة قوة توهم أن الهرم قد ارتفع عنها ، ويومض ذبالها إيماضة الخمود كما فى الذبال المشتعل فإنه عند مقاربة انطفائه يومض إيماضة توهم أنها اشتعال وهى انطفاء »

عبد الكريم القيسى البسطى :

وهذا هو الشاهد الثانى على العصر .. لم يكن وزيرًا كبيرًا ولارجلا موسوعى الثقافة مثل ابن عاصم وإنما هو شاعر متواضع ينتمى إلى الطبقة المتوسطة أو دون المتوسطة .

اسم هذا الشاعر عبد الكريم أو محمد بن عبد الكريم القيسى ، فهو ينتمى إلى نفس القبيلة التى ينتمى إليها ابن عاصم ، ولكن المصادر بخلت علينا بذكر أى شىء حول حياته . وكل ماعرفناه عنه إنما يرجع إلى ديوان له مخطوط عُثِر عليه فى المغرب فى خزانة الأوقاف ، وقد لفت انتباهى هذا الشاعر المغمور بقوة ، فقمت بالتعريف به والحديث عنه لأول مرة فى مقال طويل نشر بمجلة العربى التى تصدر فى الكويت منذ ست وعشرين سنة (فبراير ١٩٦٧) ثم أفرد له صديقى العالم المغربى الدكتور محمد بنشريفة دراسة جيدة نشرت فى بيروت سنة ١٩٨٥ ،

واضطلع بنشر ديوانه الباحثان التونسيان الدكتور جمعة شيخة والدكتور محمد الهادى الطرابلسى فى قرطاج سنة ١٩٨٨ ، وهى نشرة لابأس بها وإن كان عليها كثير مما يستدرك .

وينتمى هذا الشاعر إلى مدينة بسطة وكانت من أهم ثغور مملكة غرناطة ، ويبدو أنه كان من أسرة تشتغل بالفقه والتوثيق . ولسنا نعرف متى ولد ، ولكن نستخلص من قصائده المؤرخة ومن الإشارات فى ديوانه إلي الشخصيات التى اتصل بها أن مولده كان فى أوائل القرن التاسع . وكان من بين هذه الشخصيات ابن عاصم نفسه الذى تحدثنا عنه وعديد من معاصريه . وفى ديوانه تمدح ببلده بسطة ووصف جميل لمتنزهاتها وروعة طبيعتها ومدائح لكبار من أقاموا بها من قضاة وقواد ، وقد تجول فى أنحاء المملكة فرأينا شعراً قاله فى مالقة والمرية وهما كبريا مدن بلاده ، وينص فى قصيدة له على أنه عمل إماماً فى مسجد برجة Berja (التابعة لمدينة المرية) لقاء أجر سنوى يبلغ خمسين ديناراً . على أنه بعد ذلك انخرط فى سلك المجاهدين عن بلاده ، ويظهر أنه أسر فى إحدى غارات العدو على حدود بلاده وحمل إلى مدينة أُبَّذة Ubeda التى كانت آنذاك من ثغور قشتالة تنطلق منها حملات المسيحيين ، وظل فى الأسر مدة استطالت بعض الشيء ، ووصف لنا حياته فى الأسر تصويراً يأخذ بمجامع النفس ، فقد كان « العلج » النصرانى الذى ملكه يقيده بكبول قاسية ويكلفه بأعمال شاقة وصفها لنا بقوله :

فحصلت فى الأسر الذى أدواؤه

لرهينه من أعظم الأدواء . . .

أجنى مذلته وضيق قيوده . . .

بعد اجتناء العزة القعساء

مابين قوم كافرين تلونوا

فى كفرهم كتلون الحرباء

لايرحمون موحداً فى أرضهم

إن جاءهم يشكو بخطب عناء

ما إن أرى منهم سوى من قلبه

من قسوة كالصخرة الصماء

أصل الصباح مع المساء لديهم

في الخدمة المعهودة الإعياء

حتى ضعفت ورق جسمي بينهم

وتغيرت عن حالها أعضائي

وأَمَرُّ ما ألقاه أني عاجز

عن أن أخص فريضتي بأداء

وعلى الرغم من هذه الحياة القاسية وهو فى الأسر فقد استروح عبد الكريم نفحة من نفحات الحب فهو يروى لنا كيف وقع فى غرام فتاة نصرانية تدعى إلبيرة Elvira ويروى لنا خبرها فى أبيات رقيقة جميلة :

وأعجب عباد الصليب صبية

سبتنى بوجه مثل بدر متمم

فبت حليف الهم من فرط حبها

وباتت بهجرى فى فراش تنعم

وكم نعمتنى من لذيذ وصالها

بمالم تصل نفسى له بتوهم

فقبلت منها الخد وهو مورد

وثنيت بالثغر المليح التبسُّم

ويظهر من هذه الأبيات أن الفتاة بادلته الحب ، ولم يكن ذلك أمرًا غريباً فى العلاقات التى كانت تنشأ بين المسلمين والنصارى على الرغم من الحرب السجال التى كانت تدور بين الطرفين .

ويستجيب الله لدعاء الأسير وصلاته، فيطلق سراحه ، ولا نعرف كيف تم له ذلك ، فلسنا نعتقد أنه استطاع أن يدفع الفدية التى طلبها العلج النصرانى ، وهى كما ذكر فى شعره « ألف من الصفر » أى من الدنانير ، ولعل مجاهدى غرناطة استطاعوا تخليصه من أسره فى إحدى غزواتهم التى أثخنوا فيها فى بلاد العدو على نحو ماذكر لنا ابن عاصم .

وديوان عبد الكريم القيسى وثيقة نادرة تصور لنا من حياة غرناطة الإسلامية فى عصرها الأخير مالم تصوره كتب التاريخ . فهو مثلا يصور لنا الأزمة الاقتصادية التى كان الغرناطيون يعانون منها فى قصيدة وجهها إلي قاضى الجماعة بغرناطة أبى حامد ابن الحسن .

رب بيت أكتريه | لعيالى مع كرم
ودقيق أشتريه | مع ملح ثم لحم

ولايزال يعدد لنا وجوه النفقات المختلفة : زيت الوقود والحطب والفحم والعسل والسمن والشحم والخليع (ضرب من اللحم المطبوخ فى الخل والأفاويه) إلى آخر ذلك · ويختم القصيدة عن قيمة المال فى هذا البلد الذى أكبت عليه النكبات من كل لون :

درهمى أكثر رفقا | من أبى بى مع أمى
أنا للناس أخ ما | دام عندى وابن عم
وإذا لم يك عندى | هجرونى دون جرم

وفى شعره تسجيل لأحداث غرناطة ، فقد كان الرجل من أشد الناس إحساساً بمحنة وطنه ، فلا نراه بمعزل عما يجرى فى بلده من أحداث سياسية · لم يكن الرجل شاعر بلاط ولا كاتبا فى ديوان أمير ، بل هو رجل من عامة الشعب شارك فى المعارك الكبرى التى كانت بلاده تخوضها من أجل البقاء ، ولهذا فقد كان حديثه عن محنة غرناطة أكثر صراحة وأقل مداراة مما رأيناه لدى الوزير القاضى ابن عاصم · فهو ينتقد قومه من أهل الأندلس وينتقد الملوك والأمراء على حد سواء ·

وكان من الوقائع التى أوقع فيها القشتاليون بالمسلمين معركة استولوا فيها على حصن اللقون Castillo de Alicun فى يوم الجمعة ٢٣ من ذى القعدة سنة ٨٣٦ (١١ من يوليو ١٤٣٣) وكان هذا من أهم حصون وادى آش ، فنعى الشاعر على أهل المدينة إغفالهم الدفاع عن الحصن :

ياأهل وادى الأشا لادر دركم
ولابرحتم لَقىً للكرب والكمد
ضيعتمُ سفهاً حصن اللقون ولم
تراقبوا فيه حق الواحد الصمد

ثم تلت ذلك وقعة أخرى يسميها الشاعر كائنة لورقة وهى هزيمة ألحقها النصارى بالمسلمين فى ٢٥ من صفر ٨٥٦ (١٧ مارس ١٤٥٢)

وتدعى فى المراجع المسيحية باسم البورتشونس Alporchones . وفيها نظم عبدُ الكريم مخمسة أولها :

لمصاب أندلس تصوب الأدمع

ولما جرى فيها تذوب الأضلع

فلها مع الأعداء حال تفزع

تقضى بحسرة من يرى أو يسمع

وتكاد مهجته له تتصدع

وفى سنة ٨٦٤ (١٤٦٠) اشتدت وطأة النصارى على الأطراف الغربية لمملكة غرناطة وكان من أقسى ماوجه إليها من ضربات سقوط جبل طارق أو جبل الفتح، إذ بسقوط هذه القلعة المنيعة تمكن النصارى من قطع الإمدادات والنجدات التى اعتاد أهل المغرب أن يشدوا بها أزر إخوتهم مسلمى غرناطة. وأحس عبد الكريم كما أحس الشعب الأندلسى المسلم بعظم هذه الفاجعة فقال يرثى جبل طارق :

وقائلة مالى أراك مقطبا

كأنك للتقطيب هُدِّدْتَ بالذبح

فقلت دعينى الحزن فرض على الورى

أما قد حوى أعداؤنا جبل الفتح

حرام علينا البشر والسمح بعده

وفى القلب من آلامه أعظم الجرح

ولم يَمْضِ على هذه الكارثة إلا نحو سنتين حتى دوت فى أنحاء غرناطة أصداء حدث آخر هو سقوطُ أرشذونة Archidona فى سنة ٨٦٦ (١٤٦٢) بعد حصار طويل مرير ضربته عليها الجيوش النصرانية بقيادة لويس دى بيرنيا Luis de Pernia وبدرو فالدافيا Pedro Valdavia ، وديبجو فيجيريدو Diego FieguerEdo والقومس (الكونت) دييجو فرناندث دى كوردوبا Diego Fernandez de Cordoba

وقام أهل أرشذونة وقائدهم إبراهيم بمقاومة باسلة أبدوا فيها كل ألوان البطولة حتى كادوا يهزمون محاصريهم غير مرة ولكن العدو تكاثر عليهم حتى اضطروا للاستسلام ·

ويصور لنا عبد الكريم هذه الوقعة فى قصيدة أولها :

مخايل هذا الحال تؤذن بالهلك

وتقضى لنا بالذل والعز للشرك

ويتأمل أحوال الأندلس وما كان يجرى بين أمرائها من التنازع على السلطان ونبذ تعاليم الدين على حين كان العدو آخذًا بمخنق البلاد ، فيطلقها فى وجوه أولئك الحكام الظلمة المستخفين بشعبهم صرخة احتجاج لاتعرف المداراة :

ونحن على نهج الشتات مسيرنا

لإدراك مال المسلمين أو الملك

وهيهات من إدراك حق بباطل

وغش وتدليس وبهتانٍ أو إفك

فوا أسفا للدين أهمل حقه

وقوبل منه الستر بالكشف والهتك

أفيقوا أفيقوا واهجروا النوم إنه

حديث صحيح ما أقول وما أحكى

غير أن ملوك غرناطة ظلوا « على نهج الشتات » وكان ما لابد أن يكون، فلم تمض على تلك الواقعة ثلاثون سنة حتى نفذ قضاء الله لادافع لأمره ولامرد لحكمه ... وسقطت غرناطة ولله وحده البقاء .

لقد كان صوت عبد الكريم القيسى من آخر الأصوات التى انطلقت بالشعر العربى فى آخر قطعة بقيت للإسلام من أرض الأندلس فى مملكة متداعية كأنها كانت تنشد مع الشاعر قوله :

إنما الدنيا سراب

لاح أو أضغاث حلم

محمود على مكى

عضو المجمع

أشعار الموسيقى الأندلسية : موضوعاتها ، لغتها *

للدكتور عبد الهادى التازى

هناك تراث من نوع بديع رفيع ما تزال بلاد المغرب الأقصى تعرفه إلى الآن ، ويتعلق الأمر بالموسيقى الأندلسية التى تحمل عند عامة الناس اسم (الآلة) تمييزاً لها عن (غرناطى) وجدة وتلمسان، و (مألوف) تونس وطرابلس.

ويعرف الشخص الممارس لهذه الموسيقى بالآلى ، ويجمع جمع مذكر سالم : الآليّن .

وترجع هذه التسمية إلى استعمال الآلات فى أدائها : الرباب ، العود الخ .. تمييزاً لها عن الموسيقى التى تقتصر على السماع .

ويتأكد أن هذه التسمية كانت شائعة منذ عهد الدولة السعدية . ولهم فى ذلك حكاية طريفة ودالّة كذلك ! لأنها تعبر عن الفرق بين أهل العِلم وأصحاب الموسيقى فى المكافآت والتشجيعات !!

فلقد روى الوُفرانى[1] فى النزهة : أنه بمناسبة بعض المواسم وفد على المنصور 987 - 1012 = 1578 - 1603 وهو بمراكش - شيخه : أبو مالك عبد الواحد الحُمَيدى مع طائفة من علماء فاس .. فلما انصرفوا عائدين من الحضرة جمعتهم الطريق برجال الفن من أرباب الموسيقى وأصحاب الأغانى الذين كانوا وردوا بدورهم لتلك المناسبة ...

وحدث أن أحد الموسيقيين أخرج شبّابة من الذهب الإبريز مرصعة ، أعطاها له المنصور ، وبعضهم قال : أعطانى كذا وقال ثالث : أجازنى بكذا مما لم يعط مثله للقاضى وشيعته من المثقفين ! فقال القاضى : إنْ بلغتُ فاسًا لأرُدَّن أولادى

(*) ألقى هذا البحث فى الجلسة الحادية عشرة من جلسات المؤتمر يوم الأحد ٣ من ذى القعدة سنة ١٤١٣هـ الموافق ٢٥ من أبريل سنة ١٩٩٣ م .

(1) الوُفرانى : نزهة الحادى بأخبار ملوك القرن الحادى ، تصحيح هوادس 1888 طبعه ثانية ص 109 وحسب قاموس دوزى وكازيميرسكى فإنْ الشبّابة تعنى بكل بساطة النّيرة (FLUTE)

لصنعة الموسيقى فإن صنعة العلم كاسدة !! ولولا أن الموسيقى هو العِلم العزيز ، ما رجعنا مخفَّفين ورجع الآلي بشبَّابة الإبريز!

ومنذ أواخر القرن الماضي نعت العالم الرباطي الشيخ إبراهيم التادلي رحمه الله ، هذه الموسيقى بالأندلسية في مخطوطته (أغاني السقا التي ألفها عام 1303 = 1885 (1)

وقد لفت نظري وأنا أحرر موسوعتي عن (التاريخ الدبلوماسي للمغرب) حضور هذه الموسيقى في المَراجع التي استشيرها ، وجدت الحديث عنها أولاً في بطون الكتب التي تهتم بالموسيقى كتراث ، وثانياً في تقارير الأجانب من السفراء والقناصل وغيرهم . .

ومنذ أواخر عهد بني مرين وبداية عهد بني وطاس ، أي في بداية القرن العاشر الهجري = بداية القرن السادس عشر الميلادي ، قرأنا للقاضي أبي سالم إبراهيم الفجيجي (ت 954 = 1547) قصيدته المعروفة بروضة السلوان التي يشبه فيها الذين لا يهزهم الوتر ولا يتأثرون بالنغم بأنهم مختلّوا المزاج ! بل وبأنهم أشبه بالحمار منهم بالإنسان !!

فمن لم يحركة الربيع وزهره *

ولا العود حين تعتريه الأصابع

ولم يتأثر بالسماع ونحوه *

ولم يستمله الصَّقر إذ هو دافع

فذاك مختل المزاج حقيقة *

ولاشك للحمار فيه طبائع !!

وعندما زار المغربَ السفير البريطاني على العهد السعدي : جيل بين Giles) (Penn وجدناه يتحدث عن جوقة كانت تعزف (الآلة) التي كانت تنبعث من خلال مشْرَبِيات ساترةٍ لأهل الغناء الأمر الذي كان يزيد في بهاء الاستقبالات الملكية (1) .

---

(1) المخطوطة : بالخزانة العامة بالرباط رقم 3285 .

د . التازي : الطرق الصوفية في المحافظة على التراث الموسيقي . مجلة (المناهل) العدد 13 - شهر المحرم 1399 = دجنبر 1978 .

(1) د . التازي = التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج 1 ص 86 وما بعدها ج 8 ، ص 212 ،رقم الإيداع القانوني 1986/25 ، مطابع المحمدية فضالة .

وقد ورد فـي تأليف مـن وضع ل ، أديسن (L. Addison) الذى طبع عـام 1671 حـديث عـن استقبال السفير ديكو (Diegno) بالموسـيقى حيـث أدى وصفًا دقيقاً لأدوات الموسيقى(2) . .

وقد وجدنا طوماس بِيلُّو (T. Bellow) يرسم فى مذكراته عام 1720 عهد السلطان مـولاى إسمـاعيـل صـورة للعـود الـذى كـان ضمـن آلات الـطرب المـستـعـملـة ببلادنا(3) . . .

وقد ورد فى سفارة جوهن روسيل (John Russel) الذى ورد على المغرب فى صيف 1729 مبعوثاً من الملك جورج الثانى إلى السلطان مولاى عـبد الله بن إسماعيل أن فى جملة ما أتى بـه آلات موسيقيةً كان العاهل المغربى طلبها من إنجلترا (4) !

ويتحـدث الأسير السويـدى ماركوس بيرك (M. BERG) عـن جوقـة مـن الجوارى بقصر دار الدبيبغ من فاس كانت - عام 1756 - تقوم بأداء « نوبات » بالآلة فى المناسبات الخاصة ، كما يتحدث عن الحاسـة الموسيقية الـتى كان ينعـم بها السلطان مولاى عبد الله(5) .

وقد استمرت (الآلـة) فى ازدهارها عـلـى عـهد الملك مـحـمد الثـــالث (1204 = 1790) . وهـكذا قـرأنا فـى مذكرات أحمد الغَزَّال السـفير المغربى لدى الملك كارلوص الثالث ملك إسبانيا ، قرأنا أن هذا السفير يتـحدث فى عدد من المرات عن أن الـنُّوبـة « ضربت » تحـيةً للـسفـير الإسبانى لـدى وصوله إلى القصـر الملكى بالمغرب (1)

1179 - 1180 = 1766 - 1767...

2) المصدر السابق ج 1 ، ص 87 ، ج 2 ص 160.
3) المصدر السابق ج 2 ، ص 163.
4) المصدر السابق ج 1 ، ص 86 ، ج 9 ص 71 .
5) المصدر السابق ج 1 ، ص 87 ، ج 2 ص 162.

1) أحمد بن المهدى الغزال : نتيجة الاجتهاد فى المهادنة والجهاد ، تحقيق الفريد البستانى ، منشورات مؤسسة فرانكو - تطوان 1941 ص 92/91.

(2) ذ . التازى : التاريخ الدبلوماسى للمغرب ج 1 ص ، 87 ، تعليق 3 ،

وقد قرأنا حديثاً عن الموسيقى الأندلسية وأدواتها بتفصيلٍ فى تأليف هام للقنصل الدانماركى جورج هوست(G.hhost) 1779 (1)

ومن المهم أن نعرف أن القائد محمد بن عبد المالك سفير الملك محمد الثالث راح إلى فيينا عام 1196 = 1782 مصحوباً بجوقة للطرب معروفة بأسماء أصحابها الأحمدِين : أحمد الشيخ وأحمد الحليّق ، وأحمد المكينسى(2) ؟

ومن المعروف أن التآليف حول هذه الموسيقى كثرت بالمغرب على هذا العهد ، وقد وقفتُ على مجموعٍ جدير بالتنويه به، وهو الذى أمر بتأليفه الأمير مولاى عبد السلام بن السلطان سيدى محمد بن عبد الله (محمد الثالث) وقد جمعه مؤلفه المجهول فى رمضان 1602 = يونية 1788 وتوجد منه نسخة مخطوطة فريدة فى الخزانة الداودية بتطوان(3) .

وهكذا فلم يكن محمد بن الحسين الحايك الأندلسى التطوانى هو المنصف الأول والأخير فى الموضوع(4) فقد ظهرت محاولات ، كان منها أيضا تأليف البوعصامى الذى نقل عنه العلمى فى (أنيسه) .

وإذا كانت (نوبات) الآلة قد أُسكتت فى عهد بعض الملوك من الذين كانوا يرون أن الغناء يهدم المروءة ! فإنها ،أى تلك النوبات،لم تلبث أن استرجعت مكانتها فى عهد الملوك اللاحقين من أمثال الملك محمد الرابع (1290 = 1873) الذى تتحدث سائر المراجع عن ولوعه شخصيًا بالآلة وعن تشجيعه للآليين فى مختلف جهات المغرب .

1) المصدر السابق ج 1 ، ص 87 ، ج 9 ص 215

2) يشتغل الزميل الأستاذ مالك بنونة اليوم على تحقيق هذا التأليف .. وبهذه المناسبة أجدد الشكر للسيدة الفضلى كريمة الشيخ = داوود ومحافظة الخزانة الداودية بتطوان .

3) تحدث الشيخ حسن حسنى عبد الوهاب فى كتابه :ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية (نشر مكتبة المنار تونس) (1966 ص169) تحدث عن فنان موسيقى ممتاز سمى الحسن بن أحمد الذى اشتهر بنسبه (الحايك) الأندلسى التونسى ، قال : وقد تربى بالحاضرة وترعرع بها وانتقل إلى مدينة تطوان وبها كانت وفاته .

-(4) د. التازى : تحقيق مقدمة الحايك (بحث قدم لأكاديمية المملكة المغربية ...)

ونذكر بهذه المناسبة أن الوزير الأول الجامعي انشأ عام 1303 = 1885 لجنة للاهتمام بالأشعار الخاصة بالآلة الأندلسية، وتحتفظ الخزانة الملكية بمجموعة الموسيقى .. ويردد الناس في المغرب إلى اليوم عبارة : موسيقى الخمسة والخمسين وهي كناية عن نوبات الموسيقى التي تصل في واقع الأمر إلى إحدى عشرة نوبة يتفرع كل منها إلى خمسة موازين ، وذلك هو مجموع (الخمسة والخمسين) .

وتلك النوبات الإحدى عشرة هي على التوالي : رمل الماية ، الأصبهان ، الماية ، رصد الذيل ، الاستهلال ، الرصد، غريبة الحسين ، الحجاز الكبير ، الحجاز المشرقي، عراق العجم ،العشاق .

أما الموازين الخمسة ، فهي البسيط ، القائم ونصف ، البطايحي ، الدرج ، القدام .

ومن تلك (الخمسة والخمسين) يستمد الجوق الملكي (الموسيقى الكبيرة) اسمه إلى اليوم ، وهو جوق أنشأه - على ما يبدو - الملك محمد الثالث لعزف الموازين الأندلسية ، ولكن بالآلات النحاسية ، ويظهر أن تأسيس هذا الجوق جاء ليكون حقلاً تجريبياً لما أقرته بعض التآليف سالفة الذكر ...

وما يزال هذا الجوق يقوم بعرض أعماله في المناسبات الكبرى : عند استقبال رؤساء الدول وتعيين السفراء ، وبمناسبة (الأعياد الوطنية والدينية ولأعضائه لباسهم الخاص الذي يعتمد على الجابا دور[2] Jabador الذي يحكي لباس الأتراك القدامى .

ولعل من الطريف أن نعرف أن الرقم الذي يعطى للملوك في نظام (الشفرة) المغربية هو رقم (55) فكأنَّ اسم الجوق مأخوذ من هذا[1] !

(1 عبارة عن قطع ثلاثة مطرزة : الأولى صدرية وفوقها المتان ، وفوق هذا شبّه قفطان ... ويختلف لون الجابا دور من أحمر إلى أخضر فيتوزع على أفراد الفرقة حسب اختصاصهم ...

2) د . التازي : الرموز السرية في المراسلات المغربية عبر التاريخ نشر ، المعهد الجامعي للبحث العلمي = 1983 1403 مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط ، ص 68.

وقد احتضنت القاهرة قبل نحو من ستين سنة أى منذ عام 1350 = 1932 المهرجان الأول للموسيقى العربية ، وكانت الموسيقى الأندلسية ممثلةً فيها بعدد من الآليين المغاربة أذكر منهم الفقيه المطيرى والحاج عثمان التازى . . .

كما احتضنت فاس فى سادس مايه 1939 أول لقاء حول الموسيقى المغربية حيث اجتمع لأول مرة مطربون من تونس والجزائر بإخوانهم المغاربة .

وبعد أن استرجع المغرب استقلاله ازداد شعورنا بأهمية الحفاظ على هذا التراث الجليل ، حيث وجدنا المغرب يعمل على إنقاذ ما أمكن إنقاذه من النوبات التى اختفت بوفاة حُفاظها . . .

وقد حضرتُ شخصياً الاستقبال الذى خص به الملك محمد الخامس الدكتور الحفنى المسؤول عن إدارة الموسيقى فى الجامعة العربية ، ذلك الاستقبال الذى أكد فيه العاهل رحمه الله عن عزمه على الحفاظ على هذه المَعْلَمة الحضارية الكبرى التى تمثلها ، موسيقى الآلة .

ولعل من المفرح أن أذكر هنا بأن معظم المدن المغربية تتوفر على جمعيات وطنية تُعنى خاصة بالحفاظ على هذا التراث الذى وجد فى الشباب المغربى - لحسن الحظ - نعم النصير . . .

وهكذا فإن معظم النوبات - إن لم أقل سائرها - سجل اليوم على (كاسيطات) فى استطاعة كل واحد أن يستمع إلى موضوعاتها ويستمتع بقراءة كلماتها . . .

وأحب أن أثير الانتباه هنا إلى أن نوبة رصد الذيل هى التى وقع عليها اختيار الخطوط الجوية الملكية المغربية لتقدِّمها لزبائنها فى الرحلات الطويلة كالرحلة بين مصر والمغرب . . . .

والمغاربة يقولون : (إذا طال الليل ، فعليك برصد الذيل) !

وقد ورد فى مخطوطة للوزير الجامعى أن هذا الطبع استخرجه محمد بن الحارث الخزعى صاحب الخليفة هارون الرشيد ،

وكان الرشيد مولعاً به جداً فكان يقول : نسبة هذا الفرع من أصله كنسبة السكّر إلى قصبه ! وهو طبع فخيم على مايحس به الذين يستمعون إليه . . . . !

ومما ينبغي أن ننبه عليه هنا أنه قبل أن يأخذ الجوق في أداء هذه النوبة المشار إليها يقوم بأداء مدخل أو ما يسمى في المصطلح الموسيقي بالمشَالْية ، والمشالية - كما يعرف بها أصحاب الفن - مقدمة تستهل بها النوبة (أيّ نوبة) قبل الدخول في الميزان الأول ، وهي عبارة عن جولة عبر طبوع النوبات الأندلسية ، وتهدف إلى خلق الجو النفسي الملائم وتهيىء المستمع للاستقبال ، ويجري ذلك من خلال أداء مقاطع لَحْنية قصيرة ، حرة الإيقاع ، يخضع عزفها لمزاج رئيس المجموعة الذي يحدد الوقفات الفاصلة بينها ، ويجتهد في إبراز إرتكازاتها النَّغَمية الأساسية . وهناك (المشالية) الكبرى والصغرى .

ويقابل (المشالية التي يُبتدأ بها) مصطلحٌ (الانصراف) الذي يختتم به ويعني آخر حركات الميزان ، وفي العادة أن يكون إيقاع هذا الميزان سريعاً . . .

وتبتدىء أشعار نوبة رصد الذيل بعد (المشالية) على هذا النحو :

أهلاً بكم يا مَن لهم عقلي صبا *
عُدتُم فعاد ليّ الصبا !!
هواكم قد صار عندي مذهبا *
وحبّكم عقلي سَبَا !

ثم تأتي بعدها « نفْقَة » من أبياتٍ أخرى على بحر آخر على ما نقف عليه في الأوراق المرفقة .

والنفقة (بسكون الفاء) كما ينطقون بها تعني الانتقال من صنعة إلى أخرى والربطِ بينهما دون توقف في الإنشاد ، والمعروف أن رئيس المجموعة هو الذي يقوم بدور النَّفَّاق . . .

ومما ينبغي أن نعرفه ونحن نتحدث عن هذه المصطلحات أن نذكر ما يسمى بالبيتَيْن، وهما بالفعل بيتان من شعر فصيح ينشدهما مغن منفرد في مستهل ميزان أو في وسطه ، وهم يجمعونها على (بيْتِينَات) ! ومما يدل على أصالة ظاهرة

إنشاد البيتـين أن الوفرانى (سالف الذكر) نقل فى نزهة الحـادى ، ص 146 ، عن الفشتـالى مؤرخ الـدولـة السـعدية قوله : « ويتخلل ذلك نوبة المنشدين للبيتين » !!

وكـمـا نلاحظ جـمـيـعـا فـإن هذه المـوسيـقى نشأت فى فـضاءٍ خـاص هو الغرب الإسلامى : أى أن ألفاظها ونغماتها كـانت تتردد بين العـواصم الأندلسيـة من جهـة ، وبين عواصم المـغاربة من جـهة ثانية . . . .

ومن هنا فإن المستمع إليها من خارج هذه المنطقة قد يـحتاج إلى وقتٍ من أجل أن يشـعر بما يشعر به « اللذون » اعتادوا أن يرقصوا لها ويغيبوا بين ثناياها ومنعرجاتها !! وقـد حدث مـعى ، مراتٍ عـديدة ، أننى كنـت أُحـسن الظن فى انفعـال أو انشراح الأجـانب الذين استـدعيـهم لسماع هـذه (الآلــــة) ،وكنــت انتـظر منهــم أن يتواجدوا مــعها على الفور مـثلمـا نتواجد نحـن المـغاربة! أكـثـر مـن هـذا كـنت اعتـــمد أحيـــاناً عـــلى أن المستـــمعين إلـــى هـــذه المـوسيـقى مـــن خـــارج البيـــئة المـــغربية يـــفـــهمون بسهولةٍ الكـلـمـات الـتى يرددهـــا الآليـون ، لكنى اكتشـفت أن معظم أولئك لا يتأثرون بسـهـولة . . . وهم لا يعـرفـون مـعنًى للكلمـات ، الأمر الذى كـان لا يساعـدنا على تحقـيق الغرض الذى نسـعى إليه من حـمْل ضيـوفنا على الإحسـاس بمثل مـا نُحس به . . . !

ومن هنا وردت الفكرة التى تهدف إلى تقـريب هذا اللون من التـراث إلى غـيـر المنتسبين للمنطقة التى ترعرع فيها ، أملاً فى تحسيسهم بمـا لا يزال المغرب يستأثر به - وحـده - من تراث أصـيلٍ أثيلٍ بقى بعيداً عن التأثير العثمانى ، كما بقى بعيداً كذلك عن الهيمنة الغربية التى لم تُعمِرّ فى المغرب إلا قليلا . . ! !

ومن هنا كـان لزامـا أن نتحـدث عن مـحـورين اثنين : مـوضـوعات الشـعـر وأغراضه ، ثم لغته وبِنْيَتَها .

ولهـذا وحـتى نـقـرّب زمـلاءنا إلى الصورة . . نخـتار اليوم - كمـا أشرنا - الحـديث عـن النوبة الرابعـة مـن النوبات الإحدى عشرة : نوبة رصد الذيل - ميزان البطايحى منها .

ولنبدأ أولا بما يتصل بأغراض الشعر وموضوعاته المطروقة ... إنه لم يكن غريباً علينا أن نجد أن الشعر المستعمل فى الطرب الأندلسى يتناول سائر الأغراض التى تناولتها الأشعار الأدبية : فهنا المدح الذى يتناول نوعين : الأول مدح الرسول صلى الله عليه وسلم والثانى سائر الأمداح....

وهنا وصف الطبيعة بمياهها وأشجارها وزهورها وطيورها ، وهنا النسيب بمختلف أنواعه : الحبّ والهيام : والبكاء على الديار ... وربما ضبطنا بعض حالات التغزّل بالغلمان : هذا إلى الفخر والمراثى والأوصاف والأمثال والحِكَم وذم النقائص والزهد والمواعظ . وهنا الحديث عن التصوف والتوجه إلى الله والانقطاع إلى الجهاد والمرابطة والدعوة إلى الشهادة فى سبيل الله ..

والطريف فى شعر الموسيقى الأندلسية أن فيها ما يعبر عن بعض الظواهر التاريخية الحضارية : مثلاً استعمال حمام الزاجل كوسيلةٍ من وسائل البريد المستعملة على ذلك العهد ، وسنقرأ ضمن أشعار رصد الذيل قطعة تبتدىء هكذا :

إحمل ياحمام *

كُتبى لمن تهواه ، ولا تنساه !

أبلغه السلام *

منى فى حق الله عندما تلقاه !

وقل له : المستهام *

يرغب إلى مولاه الذى أعطاه !

أحسن من هذا أن نقف على بعض اللقطات التى تشير إلى العلاقات التجارية التى كانت تربط مغرب الأمس ببعض الدول المتوسطية !!

وهكذا انعكست تلك العلاقات فى بعض القطع الموسيقية التى كان يرددها جوق (الآلِيين) ، فإن مما يُحبب إنشاده عند الأصائل والعشايا زجلاً يتحدث عن الأوانى التى كان المغرب يجلبها من جمهورية (فينيزيا) المشهورة - فى إيطاليا - بـ (كريستالها) الرفيعِ وخزفِها الممتاز ، والتى كانت تربطها بالمغرب علاقة وثيقة عبر التاريخ الطويل .

يا شمس العشيّةْ *

أمهل لا تغب ، بالله رفقا !

(هيجت ما بيا *

حتى زدتني في القلب شوقا)

في الوادى المذهب *

ووجه المليح مثل الثريا

والساقى مؤدب *

يسقى بأوانى البندقيَّةّ !!

إلا أن من الجدير بالتنبيه أن معظم الأشعار التى تتضمنها المجاميع الموسيقية لاتقف على أسماء أصحابها ومؤلفيها .. وهو فراغ نشعر به عندما نحاول أن نعرف شيئا عن ظروف تلك الأشعار ..

ويكفينا هذا القدر للإشارة إلى أغراض الشعر ، فلننتقل إذن إلي ما يتصل بالبِنْيَة اللغوية فى تلك القطع !

إن المتتبع للقطع التى تستعمل فى هذه النوبة : رصد الذيل ليجد نفسه منذ البداية مضطراً ليعيش مع اشعار تسمو أحيانا ، لكنها تنزل إلى دركات الابتذال حينا آخر وإلى اللحن والتحريف الفاحش حينا ثالثا ! !

ولا يقتصر الأمر على ركوب متن بعض الكلمات المبتذلة التى يلوح أحيانا أنها إنما تملأ فراغاً يضطر صاحب الكلمات لمثله ! ولكن الأمر يعدو إلى بعض التصورات والتخيلات والمعانى التى لا تحمل كبير فائدة !! فمثلا نجد من هذا الشعر هذه الكلمات :

وكن رؤوفاً بمُضنى *

وأعطف بقلبٍ سليمًا (كذا)

فهل تُداوى كِلاَمِى *

من ريقِك بقلبٍ سليمًا (كذا)

وفى مقابلة هذا ، قد يتضمن الشعر أحيانا بعض الكلمات التى تسير فى نهج الأسلوب العربى :

ترجرجتْ ردفاه *

مثل الأكام !!

ثم انطوت خِصراه *

طيَّ العَنَم !!

وقد تستعمل القطع بعض المفردات

الغريبة عن القاموس العربي مثل إطلاق كلم (الصبيَّة) على مَاتُطلق عليه اليوم إسم (الآنسة) :

أحاط الوجد بيًّا *

ولاوجدتٌ له راقى ؟ !

متى يا صبية *

يكن التلاقى ؟ !

ويحدث أحيانا أن المرء لا يتوصل إلى فهم المفردات الواردة فى القطع التى يرددها الآليون ... مثلا نجم الدَّبْدَوج فى القطعة التى تبتدىء هكذا :

يالوالع بالحب إذا صغيت ليًّا

غير صبّر قلبك دابا يفرج الله

كان عندى نجم الدبدوح والثريا

والفجر حين يعلم ويلوح بضيًا !

ومع كل ذلك الابتذال الذى نشعر به، ومع سوء التركيب الذى يطبع أحياناً بعض القطع ، مع كل ذلك فإن الهواة لهذه الموسيقى يشعرون بالمتعة الزائدة وهم يسايرون - على ما أسلفنا - تلك المرتقيات والمنحدرات والمنعرجات !! لماذا ؟ لأن جانب الوتر والنغم كان يطغى عندهم على الإبداع فى التعبير والبلاغة فى القول !

وإن كل من أتاحت له الفرصة لزيارة المغرب ليعرف عن تعلّق المغاربة - إن لم نقل هيامهم - بهذا النوع من الموسيقى حتى لتعتبر بمثابة مخدر بالنسبة لمعظمهم ! لاحظتْ هذه الظاهرة السيدة أم كلثوم لما حضرت مجالسنا الموسيقية بالمغرب ، كما لاحظها غيرها ممن رافقناهم وعايشناهم عن كثب ... لقد كان المغاربة يستظهرون نوباتها ويترنمون بكلماتها ، بل ويستعملون بعضها شاهداً على مايروج بينهم أحيانا من ظروف وصروف .. !

وكما أشيد ببعض الأقطاب من المعلمين الموسيقيين الذين اهتموا بالآلة وأبرزوا مكامنها ومفاتنها وأدخلوها إلى كل بيت فإنى أغتنم هذه الفرصة لأشيد بمبادراتٍ جيدةٍ صدرت عن بعض زملائنا فى المغرب الأقصى ممن لهم ولوع بالمعاجم

وخاصة معاجم الأصوات والموسيقى ، ويتعلق الأمر بعدد من الأساتذة الذين اهتموا بالموضوع من أمثال زميلنا الراحل العلامة محمد الفاسي الذى قام علاوةً على بحوثه حول هذه (الآلة)(1) - بتأليف معلمة للطرب الملحون تصل إلى عشرين جزءا تقوم اليوم أكاديمية المملكة المغربية على نشرها(2)

وقد قام الزميل الدكتور عباس الجرّارى بوضع معجم لمصطلحات الملحون الفنية (3)

ولا أنسى أن أذكر بهذه المناسبة (معجم المعاجم) الذى أصدره أخونا الأستاذ أحمد الشرقاوى إقبال ، والذى يعرِّف بنحو ألف ونصف ألف من المعاجم العربية التراثية ، وقد خصص حيزا لكتب الأصوات : أصوات الغناء والطرب (4)

ونحن اليوم مع معجم مركز ولو أنه صغير الحجم لكنه كبير الفائدة وقد صدر قبل شهور فقط وهو من تأليف زميلنا الأستاذ عبد العزيز بن عبد الجليل الذى يعتبر من الهواة الأوفياء لهذه الموسيقى (5)

وقد سلك المؤلفون المغاربة فى جمع المصطلحات سبل البحث الميدانى الذى يعتمد على الاتصال المباشر برجال الفن الأندلسى ، وهكذا فإنهم كانوا يستمعون إلى شروح أساتذتهم كما كانوا يسجلون أحاديثهم ..

وقد لوحظ أن المصطلح الذى انتقل من الديار المشرقية إلى الغرب الإسلامى يشكل النسبة الكبرى ، ويدخل فى عداد هذا مانقله العرب عن لغات غيرهم ، وفى

---

(1) محمد الفاسى : الموسيقى المغربية المسماة أندلسية مجلة تطوان- العدد 7 - 1962 .

الذوق العربى فى الموسيقى الأندلسية مجلة اللسان العربى شوال 1388 يناير 1969 .

(2) رقم الإيداع القانونى للجزءالأول بقسمية 227 - 1986شعبان 1406= أبريل

(3) الجرارى عباس : معجم مصطلحات الملحون الفنية ، ربيع الأول 1398 = مارس 1978

(4) طبع دار الغرب الإسلامى بيروت 1987 = 1407 .

(5) عبد العزيز بن عبد الجليل : معظم مصطلحات الموسيقى الأندلسية منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب 1992 .

مقدمتهم الفرس والأتراك ، كغالبية أسماء الطبوع : الأصبهان و الرصدوالزوركند وتجدر الإشارة في هذا الصدد إلى أن المصطلحات الشرقيةفقدت - بعد انتقالها إلى الغرب الإسلامي - مدلولاتها الأصليةوذلك مايفسرالفرق القائم اليوم من مفاهيمها في الموسيقى الأندلسية المغربية والموسيقى العربية الشرقية ...

أما المصطلح الأندلسي فهو ما ابتكره الأندلسيون ومثاله التراتن (1) والتوشيح والقنطرة ...

ويبقى المصطلح المغربي ، ويقصد به المصطلح الذي ابتكره المغاربة ، والواقع أن المغاربة الذين أثروا الموسيقى الأندلسية بالطبوع والأوزان وأغنوها بما أضافوه إليها من ألحان كان عليهم أيضا أن يملأوا قاموسها المعجمي بمصطلحات جديدة زادت من سعة أفقها ومثال هذه المصطلحات الاستهلال والدرج والبرولة وغير ذلك كثير

ويذكر أن معجم ابن عبد الجليل يعتبر محاولة لتجاوز محيطه الموسيقي إلى مجالات أدبية فرضتها العلاقة الجمالية التي تربط بين الموسيقى وبعض فنون الأدب ، وبذلك يؤكد هذا المعجم - إلى حدّ ما - حضوره بين المعارف الإنسانية ويربط طبيعة العلاقة التي تربط الموسيقى بتلك المعارف.

وبعد ، فهذه إطلالة قصيرة على نوبة واحدة من نوبات (الآلة) قصدت بها لفت نظر زملائي في المجمع إلى هذا اللون من التراث الذي يستأثر المغرب باحتضانه ، لفت النظر إليه للمزيد من الدراسة التي تتصل بموضوعاته وبلغته ، مؤملا أن تصل دراستنا إلى تحديد الزمن الذي استعملت فيه تلك المصطلحات ... ومؤملا أن نصل في النهاية إلى تحديد معالم هذا التراث الذي يظل مفخرةً للإنسانيـة جمعاء.

عبد الهادي التازي

عضو المجمع من المغرب

---

(1) التَّراتن : إمتدادات لَحْنية غنائية يرددها المنشدون في أداء الصنعات المشغولة على مقاطع وصيغ متواقف عليها من قبل بالآلات - طِيري طان - طارَالأَطي - هَانَانا . عبد العزيز بن عبد الجليل معجم مصطلحات الموسيقى ص11 .

ميزان البطايحى *

أهلا بكـــــــم

أهْلاً بـكُمْ يَامَنْ لَـهُمْ عـقْلى صَـبَـا — عُـدتُّم فــعـــاد لى الصَّـــبـاَ

بوَصْلِـكُمْ قَـدْ بَشَّـرتْ ريحُ الصَّـبَـا — أهْـلاً بِكُـمْ وَمَــرْحَـــبَـا
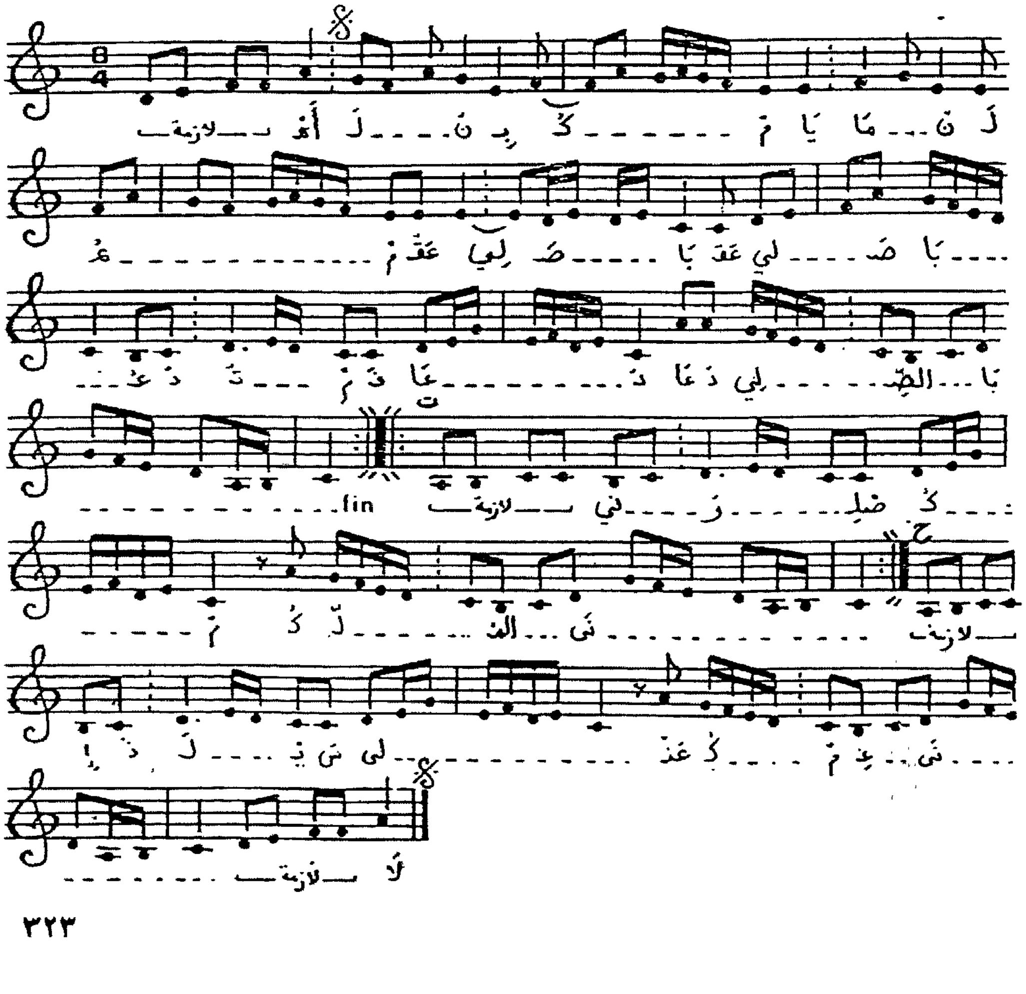
هَوَاكُـمْ قَـدْصَــارَ عِندِى مَــذْهَبـا — وَحُــبُكمْ عَـــقلى سَــبَـا

ت / فــى وَصْـلِـكُـم كُـلُّ الْمُنـى — خ/ إذ لــيْسَ لــى عَـنْـكُـمْ غِـنَـى

لاَتهْـجُـرُوا عَـبْـدًا أتَاكُـمْ يَامِـلاح — هَـجْــرُ الْمحِبَ لاَيُبَــاح

Andantino ♩ = 66
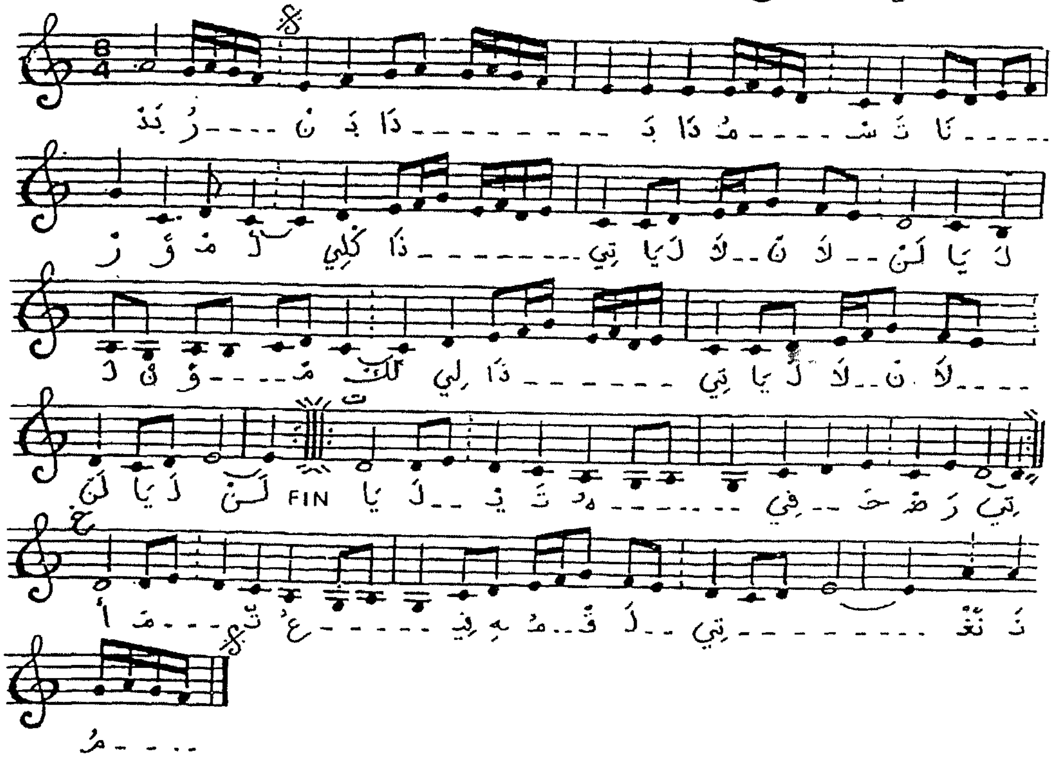
يبدأ الغناء من الشكلة الأولى في الميزان.



الدنيا حلت بالنوار

الدُّنْيَا حُلَّتْ بالنّوارْ — وَفِيهَا نُزَيْهَة
وَالْماءُ يَاصَديقى آنْهَمَرْ — يَروى كُلَّ جِهَة
والأغصان تَمِسْ بالثَّمَارْ — وَالأطْيَارْ عَلَيْنَا يُدُورَ
ت / وَنطْقُوا جَمِيعُ الطُّيورْ — خ / وَاشْرَقَتْ عَلَيْها
وَنِلَنَا النغم والسرور — بأصْواتْ حِسَانِ

Allegretto ♪ = 112 — الدّخول في الميزان من السّكتة الأولى.



جفونـــــى
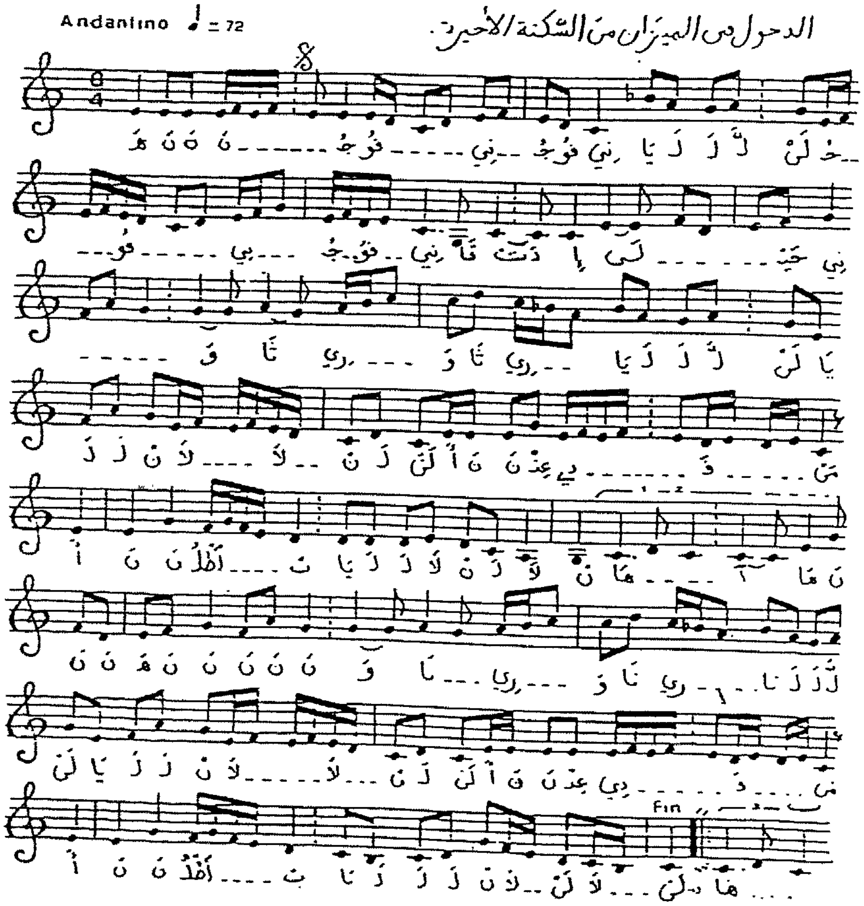
جُــفُـــونَى قَـــبادَتْ إلى حَـــيْنِى — وثَـارى عِـنْدى فَـــمَنْ أَطْـلُـبْ
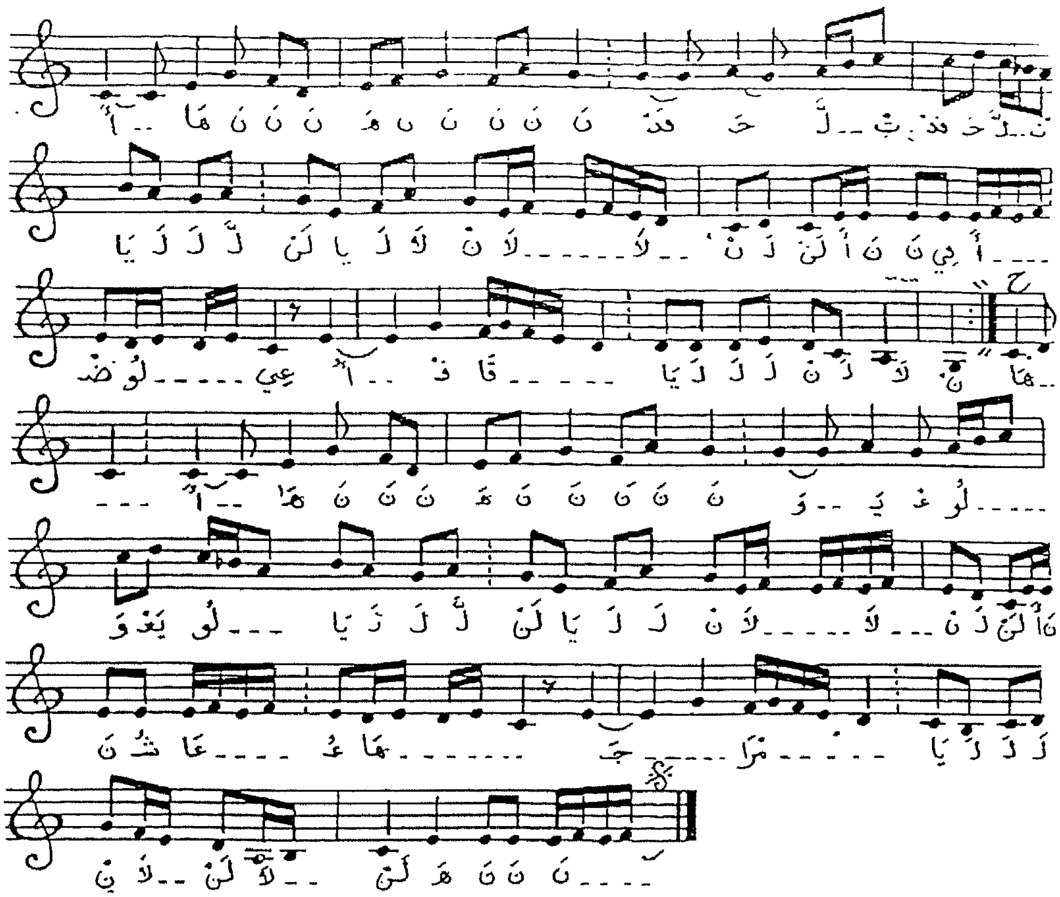
دَعُـــونَـى أَقْــتَصُّ مِنْ جَـــفْنِى — بِسُــهْــدٍ وَعَــبْــرة أَسْكُبْ

لا مُـــونـى إنَّ الْهَـــوَى دِينِى — وَجِـــبّى كَـالشَّـمْس لاَ تَحْـجَبْ

ت / قَـدْ حَـلَّتْ فى أضْلعى أفْـقَـا — خ / ويَعْلـوا شـعَـاعُـهَـا جَـمْـرَا

وبَدْرِى كَــسَــانِى الْمُحَــقَــا — وَحَـــازَ جَـــمَـــالاً وَنَـصْـرَا





يَامَن نقض عَهْدى
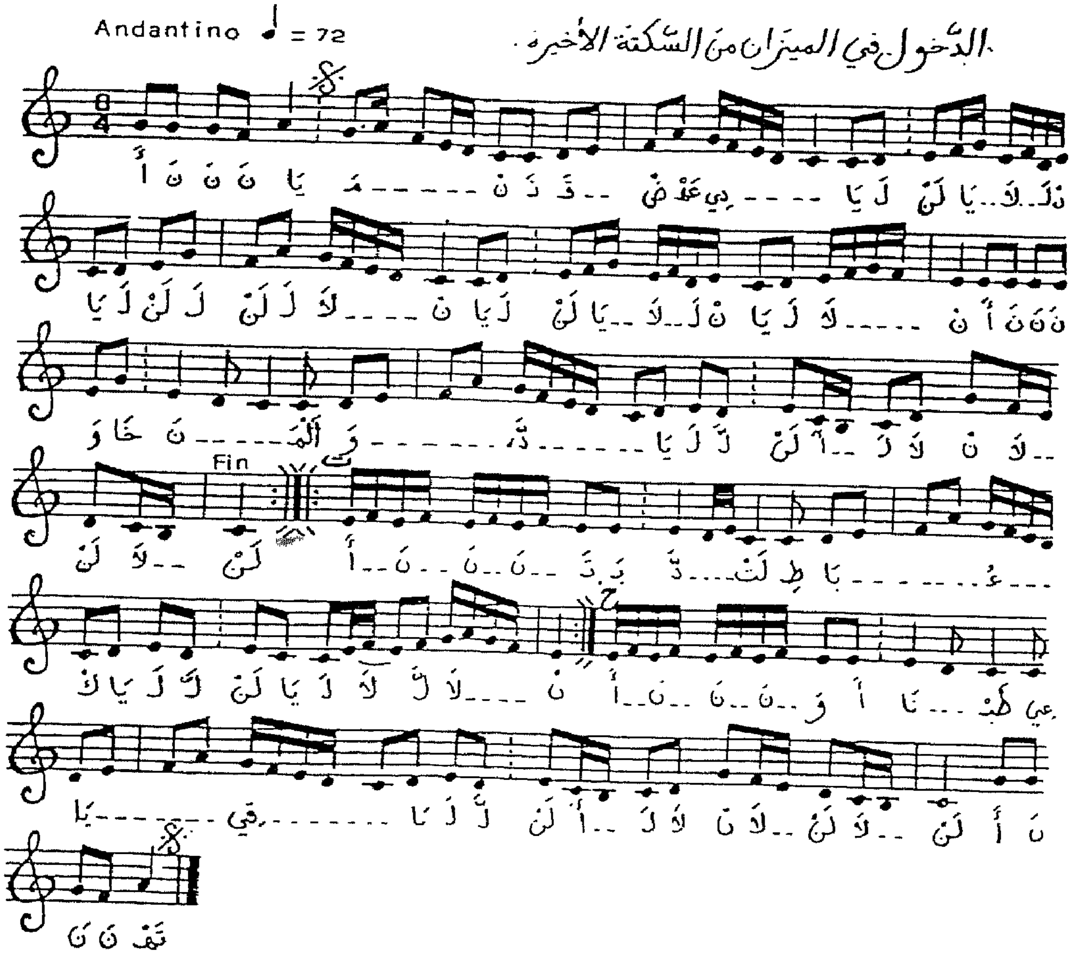
يـامَـنْ نَقَـضْ عَـهْـدِي   وَخَـانَ الْـمَـوَدَّة

أسْـرَفْـتَ فى البُـعْـدِ   وَهَـجْـرُكْ تَـعَـدَّى

يَـاغَـايَـةَ القَـصْـدِ   عُـبَـيْـدَكْ تَـرَدَّى

ت / تَـبَـدَّلَتْ طِـبَـاعُـكْ   خ / وأَنَـا طَـبْـعِى بَـاقِـى

تَـهْـجُـرْ مَـاعَلَـىْ   آشْ عَـلَـيكْ بِـهَـجْـرِى



فى القلب موضـــــع

فِى الْقَلْب مَـــوْضِعْ لِلْحَـبَـيبْ — إنْ غَـــابَ عَنِى أَوْ حَـــضَــرْ
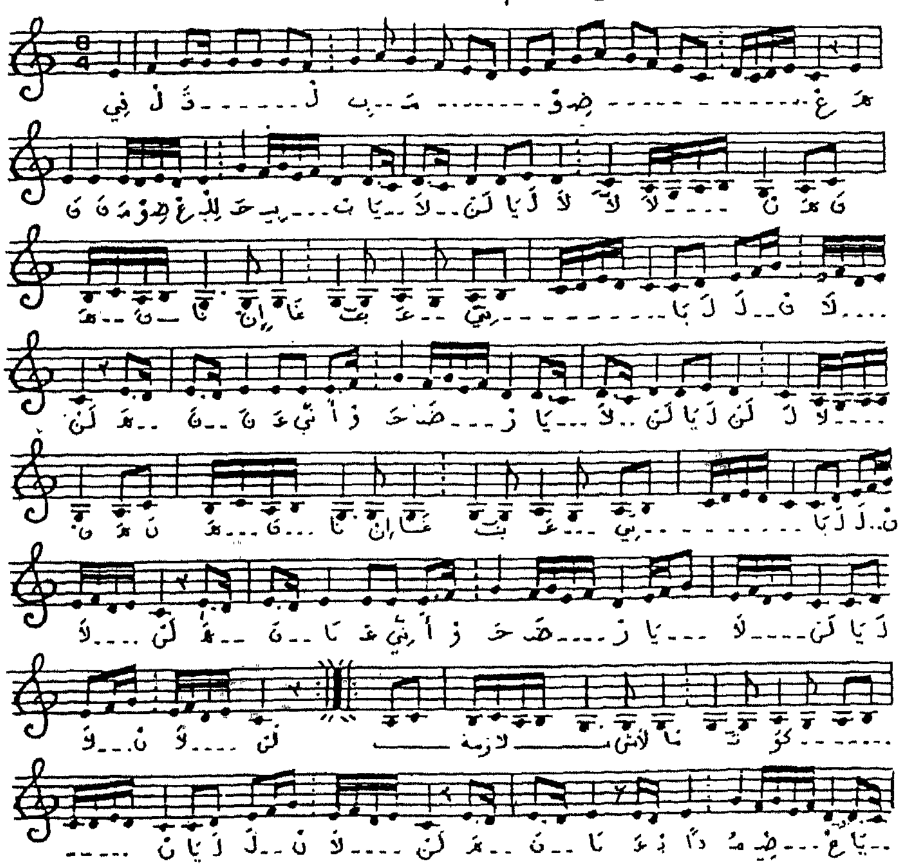
وَالغَـيْــرُ مَــالُه فِـيــهْ نَصِـيبْ — أَنَـا المُتَـــيَّمْ فِى الْبَـــشَـــرْ
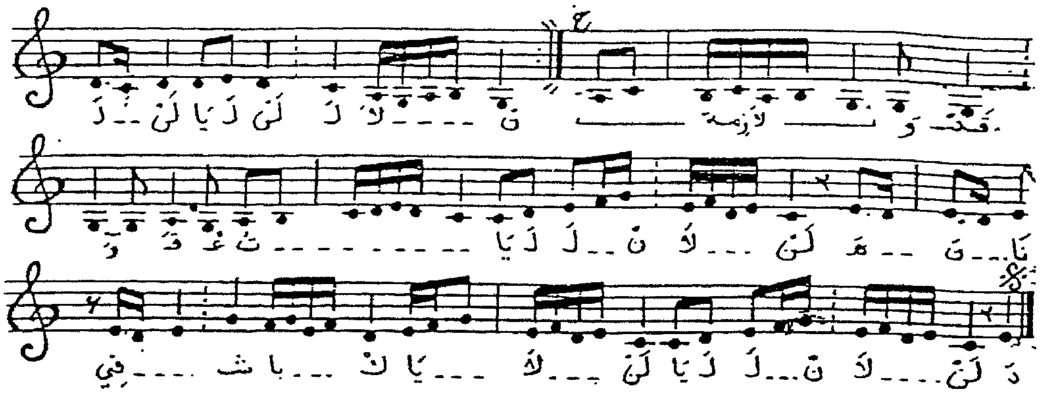
دَعْـنِـى وَإنْ طَـالَ المَــغــــيــبْ — أَحْــــفَـظْ ودَادُه كِــــيـفْ أَمَــــرْ

لاشْ مَــــانَكونْ عَـــبْــــدًا مُطِيعْ — وَقَــــدْ وَقَــــعْتُ فِـى شِــبَـــاكْ

دَعْـــــهُ يُحَــــرِرْ أَوْ يَبِـــيعْ — مَنْ يَمْنَعْــهُ فِـــيَـــمَـــا مَلَكْ

Moderato ♩ = 80 — الدخول في الميزان من الدم الثاني





أحمَل ياحمَام

أَحْـــمِـلْ يَـاحَـــمَـــامْ   كُـــتْــبِى لِـمَنْ نَهْـوَاه وَلاَ نَـنْسَـاه

أبـلِـغْــه الـسَّـــلاَمْ   مِنِى فى حَــقِ الله عِـنْدمَـا تَلقَـاهْ
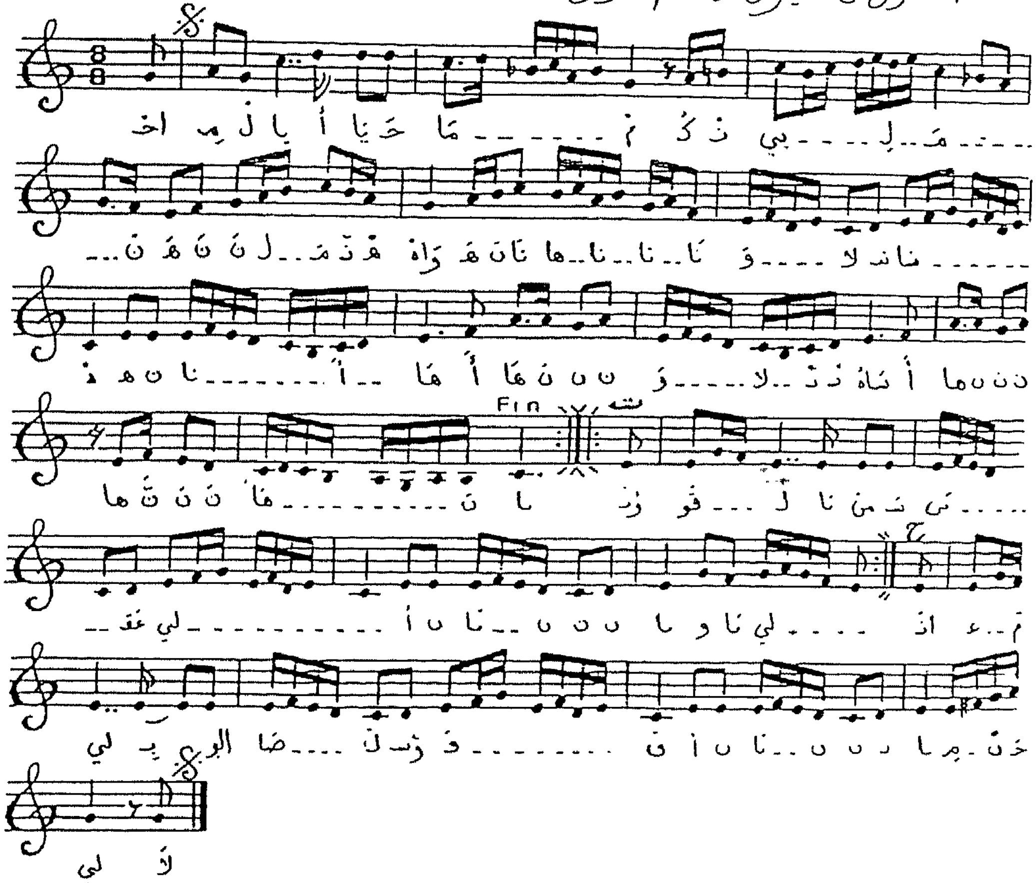
وَقُـلْ مُـسْـتَـهَـامْ   يَـرْغَبْ إلـىَ مَـولاَهْ الـذّى أعْطَاهْ

ت / ونقُـولْ يَـامَنْ سَـبَـا عَـقْـلِي وبَالِي   خ / إنْعَمْ لِي بِالوِصَالْ وَأشْفَقْ منْ حَالِي

لاَ تَخْشَ مِنْ رَقِيبْ لا غِنَى عَنِ الحَبِيبْ   عَـيْـشِى يَطِيبْ

Allegretto ♪ = 112

الدّخول في الميزان من الدّم الأوّل



ارحَم قلبِى
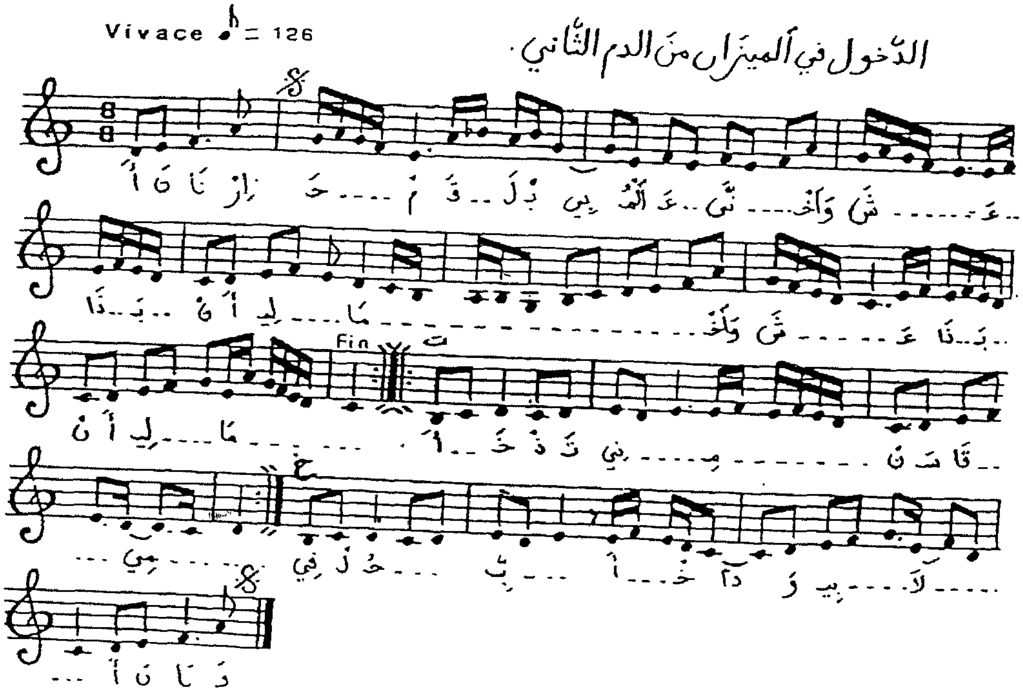
ارحَـمْ قُلـيْـــــــبِى الْـمُـــــعنَّى   واَخْـشَ عَـــذَابًا أَلِيـــــمَـــــا

يَــاشَـــــبادِناً قَـــــــد تَـرنّى   بـالله كُنَ بِـى رَحـــيـــمـــــا

وكُـنْ رؤوفــــــا بِمُـــضْنَى   واعطِفْ بِقلبٍ سَلِيــــمــــا

تِ / أخَــذْتَـنِى مِن سَــقَــامِى   خ / فى الْحُبِّ أخــذاً وَبِيــــلاَ

فـــــهَـلْ تُـدَاوِى كِــــلاَمِى   مِنْ رِيـقكَ السَّلْـسَــبِـيـــلاَ



حَاط الوَجْدُ بى

ت / خ : حَاطَ الْوجْدُ بِىَ — وَلاَ صِبْتُ رِاقِى

مَتى يَاصَبِيَّة — يَكُونَ التَّلاَقِى

مَنْتى يَاغَزالِى — تَنْعَمْ لِى بِوَصْلَكْ

وَنَبْلغْ أمَالِى — بِقُبْلَة فى خَدّكْ

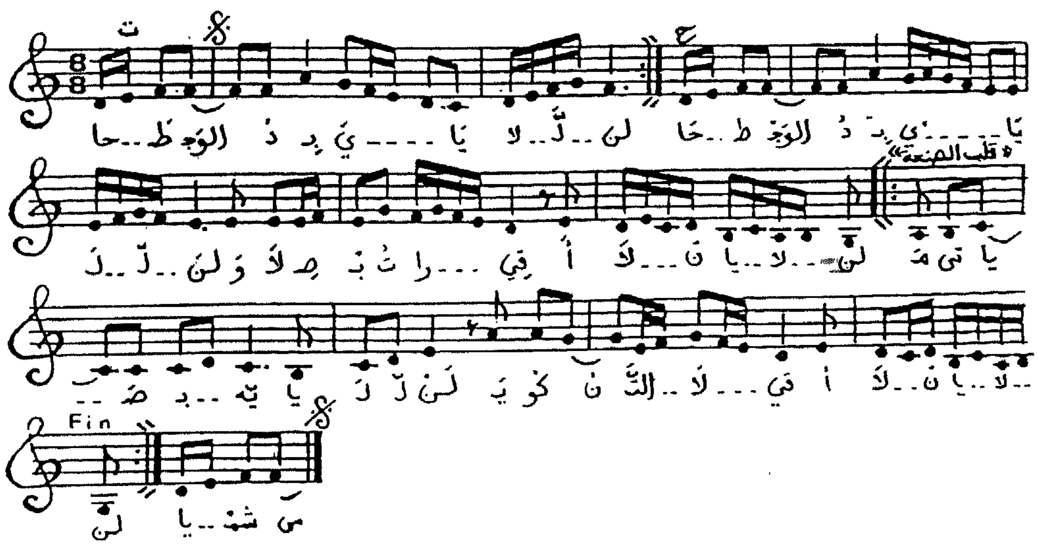
نعْطِى جَمْعَ مَالِى — أمَّا الرُّوحْ قَعِنْدَكْ

ت / خ : يَاشَمْس المضيَّا — عَنْدَكْ هُو وثَاقِى

مَتَى يَاصَبِيَّة — يَكُونُ التَّلاَقِى

الدّخول في الميزان من الثّلث الأوّل

Presto ♪ = 152



حبكم مزّق فؤادي

حُـبُّكُمْ مَـزَّقْ فُـؤَادي — وَسَـكَـنْ قَـلْـبِـي هَـوَاكُـمْ

مِـنْ غَـرَامِـي وَوِدَادِي — لَـمْ أزَلْ أَطْـلُـبْ رِضَـاكُـمْ
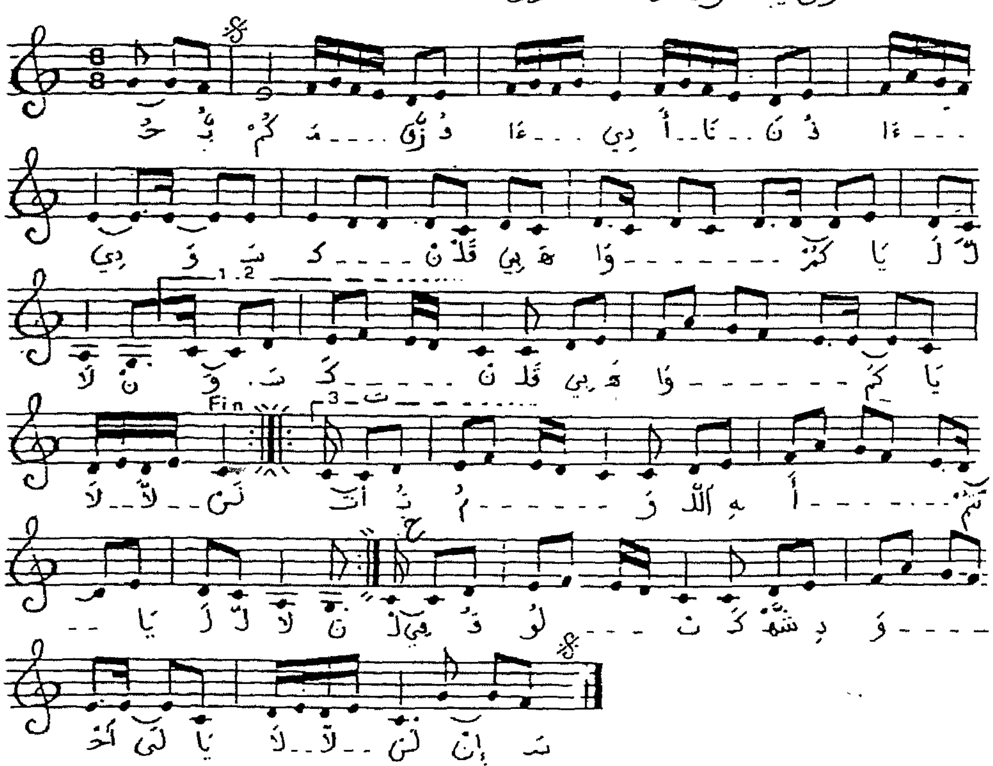
أَنْـتُـم غَـايَـةُ مُـرادِي — عَـالِـجُـونِـي بِـدَوَاكُـمْ

ت / أنـتُـمْ وَالله أَنْـتُـمْ — خ / فِي الْقَلُوبْ كَالشَّهْد وَاحْلَى

إن سَـمَـحْـتُم أوْ عَـفَـوتُمْ — أَنْـتُـمُ لِـلْـجُـودِ أَهْـلا

Presto ♪ = 160

الدّخول في الميزان من التك الأول



بمهْجَـــتى تيَــــاه

ت / بِمُــهْــجَـتِي تَيَّــاهْ   خ / نَهْــواه خَــامْ

تَسَــاقِنى عَــيْنَـاهْ   كُــؤوس سَــامْ

ظَبْى مِنَ الغِــيــدِ   كَــمَــا تَشَــا
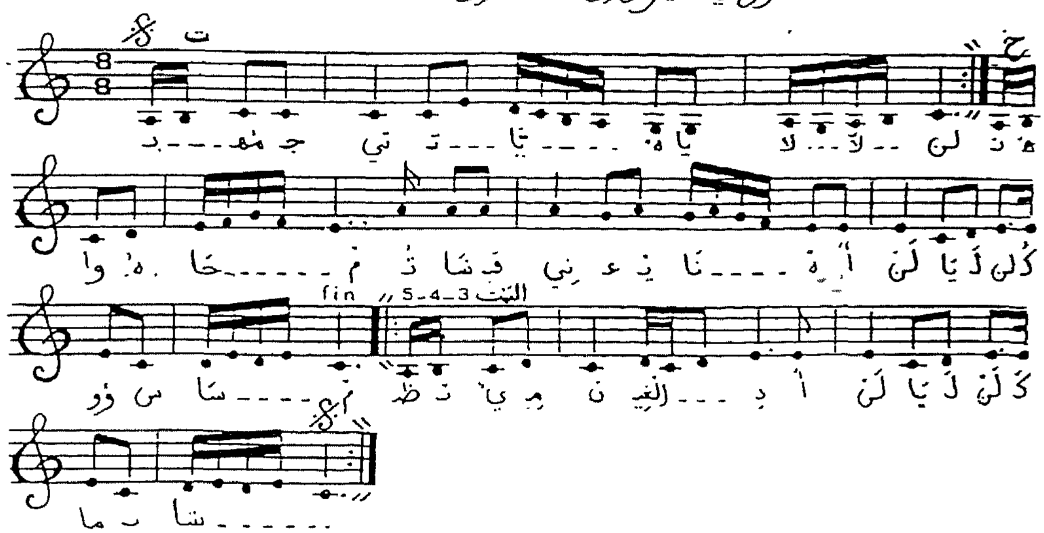
مــقَلَّد الْجِــيــدِ   طَاوِى الْحَــشَــا

كَــبَنَاتِ الزَّنْدِ   إذَا مَــشَــى

ت / تَرَجْــرَجَتْ رِدْفَــاهْ   خ / مِــثْلَ الأَكَــامْ

ثُمَّ آنْطوَتْ خِــضْــرَاهْ   طَــيَّــى الْــعَــنَــمْ

Presto ♪ = 160 . الدّخول في الميزان مِن الثلث الأول



يَاالوالع بالحب
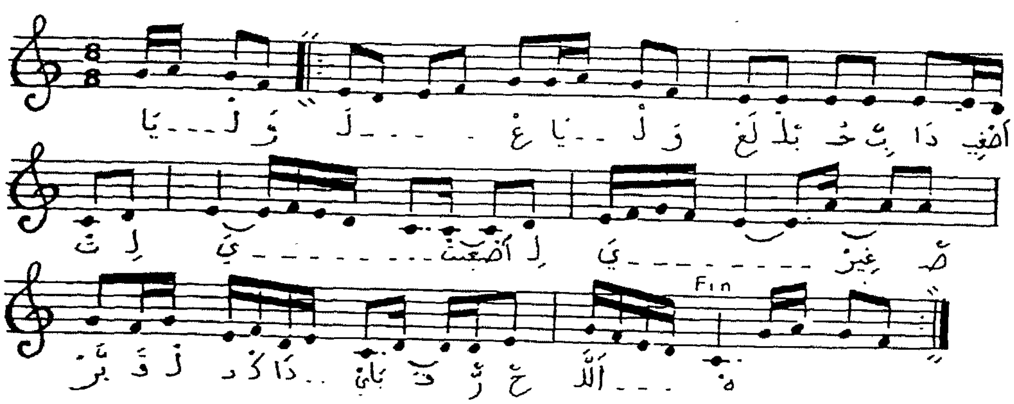
يَاالْـوَالَعْ بالْـحَبَّ إذَا ضَـــغِـيـتْ لِيَ   غِـيــرْ صـبَّــرَ قَلْبكْ دَابَا يْفَــرَّج الله

مَـــابْـقَــاوْا فِيْ قَلْـبِيَ إذَا سْـخَــاوْبِيَ   كلُّ مَنْ عَنْده مَـحْـبُـوبَة يِيَاتْ يْـرعَـاهْ

سَلْ عَنِـى نَجْـمَ الدّبْـدوحْ والثّـــريّـا   والفُـجـر حِينِ يْعَلَّمْ ويلُوحْ بضْـيَـاهْ

لاَشْ يَامَــخْـبوبِى تْـجِـفى بْلاَنُويَا   فى الْمْنَامْ يَامَسْ رِيتك والجـمْـيل لله

Presto ♪ = 160   الدخول في الميزان من التلك الأول



بَدرَ بَدا مُستنار

بَـدْرٌ بَـدَا مُـــستَـنَـارْ   وامْـــلِــكْ لِـــي ذَاتِـــي

لَـهُ خُـــدُودْ كَـــالْـجلَّـنَـارْ   حُـــسْـنُـه يُـوَاتِـي
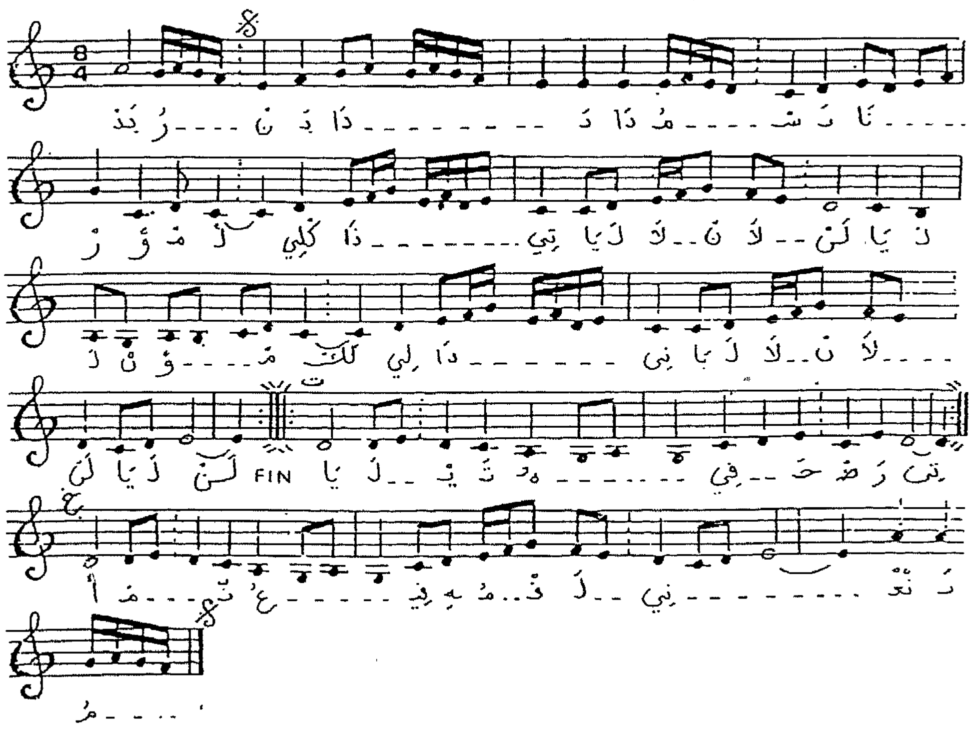
مَـــالُه شَـبِيـهْ فِي ذَا الـبْـشَـرْ   مَـــاضِـي وآتِـي

ت / يَالَيْـتَـهُ فـي حـضْـرَتِي   ح / أمَـتّع فِـيـه مُـقْلتِي

نغْـنمَ الـسُّـرُورْ مَـابَـين البُـدُورْ   وَوجُـوهْ حِـسَـانِ

نغنمَ السُّرورْ مَابَينَ البُدورْ   وَوجُوهْ حِسَانْ

Allegretto ♪ = 112   الدّخول في الميزان من السّكتة الأولى.



طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

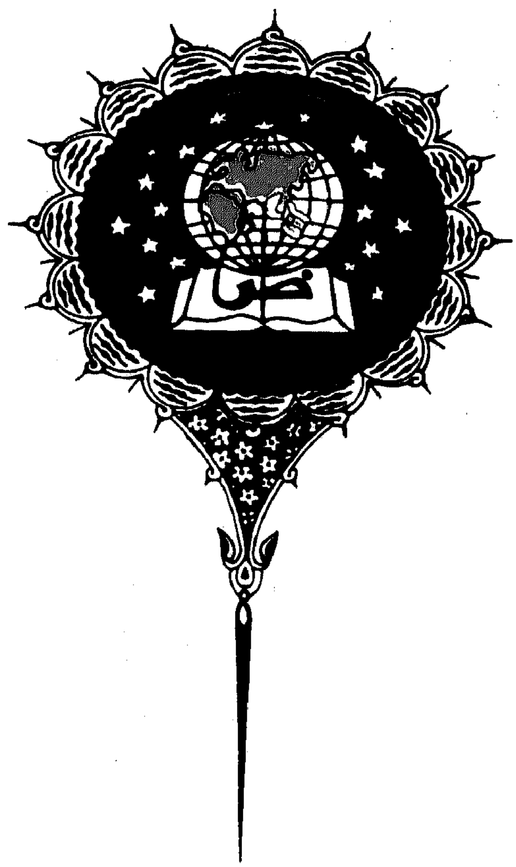
رقم الايداع ٩٦/٦٣٢

رئيس مجلس الإدارة

مهندس / إبراهيم السيد البهنساوى

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

١١٧٧١ س ١٩٩٤ - ٢٠١٤



Thanks to
assayyad@maktoob.com

To: www.al-mostafa.com